سجل تحت رقم
تاريخ
الرقم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان –

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الثقافة الشعبية

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفنون الشعبية

المآذن في الغرب الجزائري
دراسة فنية ومعمارية

مكتبة الكلية

إعداد الطالبة: ليلي بن أباجي

تحت إشراف: أ.د. معروف بلحاج

لجنة المناقشة

أ.د. عبد الحميد حاجيات	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان– –رئيسا
أ .د. معروف بلحاج	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان–مشرفا
د. عبيد بوداود	أستاذ محاضر	جامعة معسكر– عضوا
د. الغوتي بسنوسي	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان – عضوا
د.عبدلي لخضر	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان – عضوا

مكتبة الكلية

السنة الجامعية 2009-2010

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمدا كثيرا طيبا كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

الحمد لله الذي وفقني على إنجاز هذا العمل المتواضع فلله الشكر والحمد.

إلى من تعلمت فيهم روح الجهد والنزاهة والعمل، أطال الله في عمرهما، أثمن لؤلؤتين أملكهما في الوجود أبي وأمي.

إلى من شجعني وآزرني ورافقني في رحلتي العلمية، وكان نعم الرفيق زوجي.

إلى من كانوا لي في الحياة بهجة ونعمة أولادي آسيا وأكرم وقد سرقني البحث منهم طويلا.

إلى إخواني وأخواتي على وقوفهم إلى جانبي في السراء والدراء.

إلى سلفتي لطيفة التي منحتني معظم وقتها وتحلت بالصبر وساعدتني كثيرا في وأسرتها

إلى إبنة عمي نبهات

ليلى

كلمة شكر

أتقدم بالشكر والتقدير إلى أستاذي الدكتور معروف بلحاج الذي أشرف على هذا البحث وأمدني بالنصائح القيمة ومنحني معظم وقته للقراءة ودعمني بالمراجع التي بسطت لي الأمور في مجال رسالتي.

أتقدم بالشكر والعرفان إلى الأستاذ بلحاج طرشاوي

والأستاذ الدكتور محمد السعيدي

أتقدم بفائق الشكر والتقدير والاحترام إلى كل معلم وأستاذ

قام بتعليمي في مشواري الدراسي.

كما لا يفوتني أن أشكر السيد بوزيد عبد القادر و زكرياء قديري

إلى جميع زميلاتي أخص بالذكر: صليحة، نادية، فاطمة، مليكة،

فتيحة، بهيجة، نبيلة، وحسنة.

ليلى

المقدمة

تمثل العمارة الإسلامية جانبا ماديا من الجوانب الحضارة الكبرى التي تعكس حياة المسلمين، فتنوع الطرز المعمارية وتعبر تعبيرا واضحا على القيم الروحية والجمالية للمجتمع الإسلامي و تقاليده العريقة التي تتحلى بمميزات تختلف من بلد لآخر، وذلك حسب المحيط البيئي والسياسي واالإقتصادي.

تشكلت المباني الدينية الإسلامية في العمارة من عناصر معمارية كان لابد من توفيرها حتى تساهم جميعها في الدلالة على انتماء المبنى للإسلام، وتعتبر المئذنة من أهم تلك العناصر المعمارية التي أولى لها المعماري المسلم عناية خاصة وصب فيها كل ما أنتجته عبقريته، من أجل إعطائها طابعا مميزا، وإبراز عمارتها وزخرفتها لأنها أكثر عناصر المسجد وضوحا، ومؤرخو الفن الغربيين من أكثر العلماء إهتماما بهذا العنصر المعماري في دراستهم حول خصوصيات العمارة الدينية الإسلامية، وذلك ابتداءا من القرن الثامن عشر للميلاد حتى وقتنا الحاضر.

و تبعهم في ذلك الباحثون المسلمين الذين ساروا على نفس المنهج، وقد شملت الأبحاث أيضا عنصر المنبر والمحراب والعناصر المعمارية الأخرى المشكّلة لعمارة المسجد بصفة خاصة، ورغم كلّ تلك الدراسات فإن موضوع المئذنة مازال يثير الكثير من الإشكاليات عند العلماء والباحثين.

يعود تأخّر ظهور عنصر المئذنة في الاسلام إلى أن المسلمين الأوائل لم يتخدوا موضعا مستقرا في المسجد للإعلان عن الصلاة، وذلك مند عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتعد المئذنة عنصرا معماريا جديدا أضيف إلى المسجد، فأعطت له ميزة معمارية تميزبها، وقد تطوّرت المئذنة عبر العصور، وأعطت طابعا خاصا لمختلف المناطق الإسلامية، فقد جاوزت حدود أقاليم الإسلامية إلى التأثير على الشعوب المجاورة، وتميزت المئذنة بالأناقة والأصالة، وأضافت إلى المسجد الجمال والعظمة وأعطت للمدينة الإسلامية ميزة على بقية مدن العالم.

لقد دفعني للخوض في هذا المجال أسباب عديدة منها الذاتية والموضوعية، فالذاتية تتعلق بميولي وإهتمامي بالفن المعماري الإسلامي، وقد ساعدني في ذلك تكويني في الهندسة المعمارية وإشتغالي كمهندسة معمارية في الحياة العملية، و أضف إلى ذالك

إعجابي الشديد بما خلفه المسلمون من تراث معماري في الجزائر أو خارجها يستحق منا كل الإهتمام كمهندسين معماريين.

أما الأسباب الموضوعية فتتمثل في النقص الذي تعانيه المكتبة الإسلامية والجزائرية بالخصوص من مثل هذه الدراسات، بالرغم من أن المعماريين إهتموا بهذا العنصر المعماري لكونه أكثر وضوحا وشموخا في المدينة الإسلامية ، إلاّ أنّ الأبحاث في هذا الموضوع اقتصرت على الطابع الوصفي للمئذنة فقط، وهذا ما شجعني لاختيار هذا الموضوع لإنجاز مذكرة الماجستير.

إنّ الدراسات حول المآذن الجزائرية كان عاما لذلك رأيت من الضروري تحديد مجال البحث على الغرب الجزائري فقط، فقد مرّت على هذه المنطقة خلال الفترة الإسلامية عدّة دول وإمارات ممّا أدّى إلى التنوعّ في شكل المئذنة، فتدخل في ذلك عدّة عوامل.

فما هي العوامل التي ساهمت في تشكيل المئذنة؟ وما هي الطرز المعمارية التي طبّقت في هذه البقاع؟، وهل للبيئة المحلية دور في تشكيل طراز المآذن؟، وماهي التقاليد المعمارية المحلية التي فرضت وجودها بقوة في هذا العنصر المعماري؟

وللوصول إلى نتائج علمية، قمت بإختيار نماذج للدراسة و راعيت في ذلك الإختلاف الزمني بإعتبارها تنتمي إلى فترات تاريخية مختلفة مع الإختلاف في أسلوب البناء، نظرا لانتمائها إلى مدارس معمارية مختلفة، والهدف من هذا الاختيار يتمثّل في إعطاء صورة واضحة حول تطوّر هذا العنصر المعماري في الغرب الجزائري.

ولقد فرضت علينا الدراسة إتّباع بعض المناهج البحثية للوصول إلى نتائج علمية سليمة، وعليه فقد اعتمدنا على المنهج التاريخي لتتبع المراحل التاريخية التي مرت بها منطقة الغرب الجزائري، ولوضع المعالم الأثرية المختارة في إطارها التاريخي.

كما كان من الضروري استخدام المنهج الوصفي عند تناول المآذن من الناحية المعمارية ولجأنا أيضا إلى المنهج التحليلي والمنهج المقارن لإستخراج المميزات المعمارية.

ولقد اعتمدنا في دراستنا على مجموعة من المراجع والمصادر باللغة العربية والأجنبية تتماشى مع موضوع البحث.

مكتبة الكلية
جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان

ومن أهمّ المصادر، التاريخية التي استفدنا منها كثيرا عند تناولنا المراحل التاريخية التي مرت بها الجزائر عامة والغرب الجزائري خاصة نذكر:

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لعبد الرحمن ابن خلدون.
- تاريخ الإسلام "السياسي، الديني، الثقافي، الإجتماعي" طبع في أربعة أجزاء، لحسن إبراهيم حسن.
- المغرب الإسلامي سياسة ونظم، لموسى لقبال.
- تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح العربي إلى بداية احتلال الجزائر، لحسن مؤنس.
- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن لابن مرزوق.

واعتمدنا ايضا على مجموعة من المراجع التي تناولت الأحداث التاريخية التي تصب في قالب الدراسة.

وأما المراجع التي اهتمت بالموضوع واعتمدنا عليها بدرجة كبيرة.

- Apports de l'Algérie à l'architecture religieuse arabo islamique, de Rachid BOUROUIBA
- L'art religieux musulman en Algérie, Rachid BOUROUIBA
- Les monuments arabes de Tlemcen, Jean et William Marçais
- Manuel d'art musulman, de Georges Marçais

وكذلك:

- تطور المآذن في الجزائر، لعبد الكريم عزوق
- المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، لصالح بن قربة

إن هذه الدراسات حول المئذنة إعتمدنا على الدراسة الوصفية فقط، غيرأن هذه المعالم تعرضت للتشويه والتغيير والترميم ومن هنا يبدو النقص في هاته الدراسات. فاعتمدنا على الدراسة الميدانية أخذ الصور والقياسات ورسم المخططات ومن تم تحليل المعلومات التي وردت في المصادر التي ذكرناها سابقا.

لكن الدراسة الميدانية لم تكن هينة وسهلة إذ واجهتنا العديد من الصعوبات أهمّها أخذ القياسات لأنّ معظم هذه الآثار مغلقة أو في حالة إهمال كبير حيث أصبح بعضها مخزن والأخر معرض للإهمال والإندثار.

و للاجابة على التساؤلات المطروحة أنفا قسمنا بحثنا إلى فصل تمهيدي وخمسة فصول.

تناولنا في الفصل التمهيدي الإطار التاريخي والجغرافي لناحية الغرب الجزائري وذلك لوضع موضوعنا في إطاره التاريخي وتحديد موقعه الجغرافي.

ويشمل الفصل الأول على تعريف المئذنة والعناصر المعمارية المشكلة لها.

كما تناولنا في هذا الفصل نشأة المئذنة، وأهمّ المآذن المبكرة في العالم الإسلامي.

و أمّا الفصل الثاني فيتعرّض إلى أشكال المئذنة في العالم الإسلامي، وأهم الطرز المعمارية المطبقة، المربع والمثمن والهرمي.....الخ.

وخصصنا الفصل الثالث لدراسة النماذج المختارة في الغرب الجزائري، والتي تتمثل في مئذنة الجامع الكبير بتلمسان وجامع ندرومة وجامع سيدي أبي مدين وجامع المنصورة وجامع الباشا بوهران وأخيرا جامع الدار البيضاء بمعسكر.

وأفردنا الفصل الرابع للدراسة التحليلية والمقارنة للنماذج المختارة من عصر إلى آخر، وتحليل زخرفتها النباتية والهندسية والكتابية التي تكسوها، وذلك من أجل تشخيص مراحل تطورّ البنية المعمارية والفنية للمئذنة في الغرب الجزائري و هدفنا إبراز الطراز الفني والمعماري لهذه المنطقة.

وأخيرا ذيلنا بحثنا بخاتمة أبرزنا فيها أهمّ النتائج التي توصلنا إليها وأرفقنا الدراسة بمجموعة من الأشكال والمخططات واللوحات حرصا منا على توضيح ما جاء في متن المذكرة.

الفصل التمهيدي

الإطار الجغرافي و الإطار التاريخي

1- الإطار الجغرافي

2- لمحة تاريخية عن الغرب الجزائري

1- الإطار الجغرافي

يدل اسم المغرب الإسلامي على البلاد الإسلامية الواقعة في إتجاه غروب الشمس[1]، وهوبشمل شمال إفريقيا بكامله ماعدى مصر.وقد تعلل هذه التسمية بكون بلاد المغرب الإسلامي تقع في غرب عواصم الخلافة الإسلامية في كل من الشام والعراق ومصر[2].

وقد اختلف الجغرافيون والمؤرخون المسلمون في تحديد حدوده الجغرافية، فجعله البعض يشمل بلاد شمال إفريقيا إلى الأندلس وجميع الممالك الإسلامية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط مثل صقلية وجنوب إيطاليا وجزيرة سردينيا وكورسيكا وجزر البليار أو الجزر الشرقية وهي ما يورقه و مينورقة ويابسة، ويذهب فريق آخر مثل المؤرخ الأندلسي ابن سعيد المغربي إلى اعتبار مصر أيضا ضمن مجموعة البلاد المغربية باعتبارها القاعدة السياسية والعسكرية والثقافية بهذه المنطقة الغربية في الفترة الإسلامية الأولى[3].

وهو يعتبر الجناح الغربي من الوطن العربي الكبير الذي يشرف في شماله على مياه البحر الأبيض المتوسط ، أوبحر الروم، وفي غربه على مياه المحيط الأطلسي، أو بحر الظلمات، ويلامس في شرقه وفي جنوبه خط الصحراء ، وهو يعرف حديثا بشمال إفريقيا، أو بالمغرب الكبير، أما في القديم فقط تطورت تسميته حسب العصورو الأنظمة السياسية والحضارية التي توالت عليه[4].

---

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون،كتاب العبرودیوان المبتدأ والخبرفي أيام العرب والعجم والبربر... : طبعة القاهرة، ج6، ص98 والترجمة، ج1، ص186

[2]- محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافية، بيروت، لبنان، ص18.

[3]- موسى لقبال : المغرب الإسلامي سياسة ونظم، ط1، نشر مطبعة البحث قسنطينة الجزائر 1961، ص 11.

[4]- أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة بيروت، لبنان 1979،ص219

أطلق مصطلح المغرب الإسلامي منذ الزمن الأول للإسلام على الجزء الغربي من الدولة الإسلامية ،ويضم الشام ومصر وما إتصل بهما، في مقابل المشرق الذي يشمل العراق وإيران وماجاورهما.[1] وهذا ما يؤكده ابن الآثير (7هـ/13م)،فقد ذكرأن علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- كتب إلى عامله في الكوفة يقول له: "تجهزوا إلى عدوكم من أهل المغرب"[2] .و في رسالة أرسلها إلى ابن عباس في البصرة يقول له فيها: " قد أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل المغرب".[3]

ثم ظهر مصطلح المغارب الثلاثة، وهي المغرب الأدنى والأوسط والأقصى.وأطلق المغرب الأدنى على ماعرف بإفريقية، وهو يمتد تقريبا من طرابلس إلى بجاية ،أماالمغرب الأوسط فيمتد من بجاية إلى نهر ملوية وراء تلمسان. وبقي المغرب الأقصى وهو يمتد من ملوية إلى طنجة، أما ما وراء طنجة فهو العدوة، وهي شبه جزيرة إيبريا أو الأندلس وكانت أرضا قوطية، فلما تم فتح المغرب وامتد الفتح منه إلى شبه جزيرة الأندلس وأصبحت جزءا تابعا لإقليم المغرب ولعاصمته التاريخية القيروان حتى سنة 138هـ 756م [4].

إن مدلول المغرب في العصور الوسطى كان أوسع من مدلوله اليوم خصوصا بعد ما خرج منه القسم الأروبي وأصبح قاصرا على شمال إفريقيا فقط أو ما يسمى بالمغرب الكبير،[5] و قد إصطلح على تقسيم المغرب الإسلامي إلى ثلاثة أقسام كبيرة بحسب قربها أو بعدها من مركز الخلافة في المشرق: المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى[6].

---

[1]- موسى لقبال: المرجع السابق، ص13

[2]- إبن الأثير علي بن أحمد بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ ،دار صادر، بيروت لبنان،ج3،ص172.

[3]- نفسه، ص173

[4]- موسى لقبال:المرجع السابق،ص12.

[5] - صادق خشاب: تأثير الفن الزخرفي الأندلسي على نظيره المغربي،نموذج تلمسان، رسالة ماتستير، قسم الثقافة الشعبية،2001،ص3 .

[6]- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق،ص220

ميز الجغرافيون العرب الأقاليم الغربية البعيدة من هذا المغرب فأطلقوا عليها إسم المغرب الأقصى وهو الذي عرف إبتداء من نصف القرن الأول وإلى عهد قريب بإسم عاصمته السياسية مراكش، والمغرب الأوسط وهو الذي يعادل بلاد الجزائر الحالية وأصبح خط التقسيم الشمالي بين المغربين 'الأوسط والأقصى' هو مجرى وادي ملوية أو ما بين تلمسان –عاصمة المغرب الأوسط وتازا مدينة المغرب الأقصى–[1].

والمغرب عبارة عن جزيرة جبلية شاسعة تمتد من الشرق إلى الغرب يحيط بها البحر الأبيض المتوسط شمالا والمحيط الأطلسي غربا، و يحدهامن الشمال سلسلة جبال الريف التي تمتد من المحيط غربا إلى قرب تلمسان شرقا، أما في الجنوب فهنالك سلسلة الجبال الأطلسية التي تمتد من المغرب الأقصى إلى المغرب الأدنى، ويليها جنوبا الصحراء الكبرى التي تفصل المغرب عن السودان في الجزء الغربي من هذه الصحراء أي المنطقة المتاخمة للمحيط الأطلسي جنوب المملكة المغربية، توجد بلاد موريطانيا الحالية[2].

ولقد بين المؤرخون خلافا فيما يفصل إقليم تلمسان، وهو القسم الغربي من المغرب الأوسط فيما بين وهران وإقليم سيق، ومجرى نهر ملوية.....[3]

أما السكان الأصليون لبلاد المغرب فهم الأمازيغ* 'البربر' حسب التعبير المشهور،وقد أثرت التيارات الحضارية الأجنبية التي توالت على شمال إفريقية في اللغة والدين، فكان منهم المسيحيون،واليهود ولقد كان البربر من أقوى العناصر المقاومة للفتح الإسلامي.

---

[1]– البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب نشرة دي سلان DESLANE ، بعنوان:
Description de l'Afrique septentionaleالجزائر1911 ، ص76

[2]- أحمد مختار العبادي : المرجع السابق، ص222.

[3]– حسن مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، من قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي الجزائري في القرن السادس إلى القرن التاسع عشر ميلادي المجلد الأول، الجزء الأول، العصر الحديث للنشر والتوزيع، 1992، ص21.

*- كلمة بربرية معناها الرجل الحر الخشن الأمازيغ

2- لمحة تاريخية عن المغرب الجزائري:

1) فتح إفريقية

في سنة 50هـ أرسل معاوية بن أبي سفيان إلى عقبة بن نافع، وكان يقيم ببرقة وزويلة منذ إمارة عمرو بن العاص، عشرة آلاف جندي، فدخل إفريقية وتمكن من فتحها وأسلم على يده كثير من البربر، وقد عمل العرب على إدخالهم في جيوشهم، وبذلك تسنى لهم أن يدخلونهم إلى الإسلام.

و قد كون البربر نواة الجيوش التي أتمت فتح بلاد المغرب تحت قيادة قواد من العرب و البربر معا. وأصبح عقبة بن نافع واليا على إفريقية بعد أن كانت تابعة لوالي مصر.[1]

ويقول ابن الأثير:" ودخل كثير من البربر في الإسلام، وإتسعت خطة المسلمين وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وآمنوا واطمئنوا على المقام، فثبت الإسلام بها[2]".

طور عقبة بن نافع الفهري وجه الحرب في بلاد المغرب بعد الخبرة الطويلة التي اكتسبها من خلال خبرته في الفتح، والعلاقات الإستراتيجية التي استطاع أن يربطها مع السكان، وخلاصة خبرته صاغها في قوله:"إن إفريقية إذادخلها أمير تحزم أهلها بالإسلام، وإذا خرج منها رجعوا إلى الكفر، وإني أرى أن أتخذ بها مدينة نجعلها معسكرا ، وقيروانا تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر'.[3]

وقد أراد عقبة بن نافع أن تكون القيروان مأوى للجند وذويهم ومستودعا لدخائرهم ، وحرزا يقيهم الأخطار، ومقرا لولاة وقادة الفتح في المستقبل، ومركز الإنطلاق لإنجاز

---

[1]- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلامي، السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل بيروت القاهرة، ط 15، ج1، مكتبة النهضة المصرية، 1422-2001 م ص 18.

[2]- إبن الأثير: المصدر السابق، ص174

[3]- رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ من الفتح الإسلامي إلى بداية العهد العثماني، وزارة الثقافية والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، المؤسسة الوطنية للفنون، وحدة رغاية-1984-ص18.

الفتح العسكري والثقافي ومنارة للإسلام وللثقافة الإسلامية، ويظهر ذلك من خلال دعائه: " اللهم إملأها علما وفقها وأعز الإسلام ، وأمنعها من جبابرة الأرض"[1].

قام عقبة بن نافع بتأسيس مدينة القيروان، وأمر ببناء مسجدا فيها، وقد استغرق هذا العمل العمراني أربع سنوات (51 – 55هـ) (671 – 675م) سبقته أعمال إيجابية، وكرامات لعقبة كولي مستجاب الدعاء، عندما بشر الجند عملية تهيئة مكان المدينة وكان شبه أجمة، و عندما اختار القوم بناء مسجد المدينة في موضع المحراب قبلة مساجد إفريقية كلها في المستقبل[2].

يدل ذلك على سلامة التخطيط للفتح، الذي يدين لعبقرية عقبة وذكائه وإخلاصه للإسلام.[3] وأصبحت القيروان في القرن الثاني للهجرة مصرا "جامعا" وحاضرة الولاية وأم حواضر إفريقية الإسلامية وقبلة مسلميها.

وفي سنة 51هـ/ 671م عزل معاوية بن حديج من ولاية مصر، فخلفه مسلمة بن مخلد. فعزل عقبة بن نافع وعين مكانه أبو المهاجر دينار. وقد يكون لذلك علاقة بفشل حصار القسنطنطينية وماتلاه من عقد هدنة بين المسلمين والروم، الأمر الذي إقتضى تعيين قادة جدد لتطبيق سياسة جديدة، ولكن مسيرة عقبة بن نافع المشرفة لم تتوقف بعد عزله من ولاية مصر وضمها إلى ولاية إفرقية، وقد انفصلت ولاية المغرب عن ولاية مصر أثناء ولاية أبي المهاجر دينار، ولعله أول من جمعت له ولاية مصر والمغرب[4].

إن سياسة أبي المهاجر أنتهجت لأول مرة أسلوب المسالمة والتحالف مع البربر وخاصة بربر إفريقية الذين كانوا قد تأثروا منذ قرون عديدة بما جاء به مختلف الغزاة الأجانب من تأثيرات في مجال اللغة والديانات والإقتصاد وغير ذلك، وكانت تربط بينهم وبين الروم صلات وثيقة تختلف حسب الظروف، من علاقات سلمية إلى حروب دامية،

---

[1]– موسى لقبال:المرجع السابق،ص19.

[2]– ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبيد الله): فتوح مصر والمغرب، تحقيق الأستاذ عبد المنعم عامر، القاهرة 1961، وطبعة Albert Gateau، Alger 1947 : Afrique du Nord et d'Espagne' ص 262

[3]– موسى لقبال: نفسه،ص 20.

[4]– إبن عبد الحكم : نفسه،ص66.

ولاشك أن الروم حاولوا التقرب في تلك الأثناء من أولئك البربر وتحريضهم على محاربة المسلمين وإمدادهم بالرجال والأسلحة،خاصةبعد الهزائم التي منيوا بها خلال حركة الفتح الإسلامي. وقد أدرك أبو المهاجر ضرورة إنتهاج هذه السياسة لتجنب كثير من المتاعب والشدائد، فسلك هذا المسلك، وعامل البربر معاملة حسنة، فإستخلص بعضهم،وكان من بينهم كسيلة رئيس قبيلة أوربة من البرانس الذي أعتنق الإسلام، ومنح أبا المهاجر ثقتة .

إن ولاية أبي المهاجرعلى المغرب دامت سنوات 55هـ-62هـ، إلا أن إنجازات هذا الأخير لا تكاد تذكر، فقد طبق أبو المهاجر أثناء حكمه سياسة مخالفة لسياسة عقبة العسكرية الصارمة، فعمل على إكتساب البربر باللين والمداراة،وواصل فتوحاته الإسلامية نحو المغرب الأوسط، ففتح ميلة، وإنتهى به المطاف إلى أبواب تلمسان، حيث هزم بربر أوربة وهم فرع من البرانس[1].

وحسب المؤرخين فإن في هذه الأخبارفيها مبالغة وإسراف، وهذا الخبر من جملة ما يستعبد صحته، لأن مثل هذه العملية تتطلب إخضاع عدد كبير من القبائل أو اعتناقها للإسلام، ولم ترد تفاصيل في كتب التاريخ تثبت حصول ذلك فعلا ويبدوا أن منطقة نفوذ المسلمين في آخر ولاية أبي المهاجر لم تتجاوز ناحية أوراس[2].

وبقي أبو المهاجر على ولاية المغرب حتى وفاة معاوية بن أبي سفيان وخلافة إبنه اليزيد الذي أعاد عقبة بن نافع من جديد إلى ولاية المغرب[3] وعزل أبا المهاجر سنة 62هـ/681م، فعاد عقبة إلى إفريقية، فتولي ولاية المغرب من جديد، فغزا بعض مناطق الأوراس والحضنة والزاب وقاتل الروم وحلفائهم من البربر في وادي المسيلة فهزمهم[4].

ثم توجه إلى المغرب الأوسط ، ففتح تاهرت وغيرها ثم توغل إلى بلاد المغرب الأقصى، فاستولى على طنجة وفتح بلاد السوس الأدنى حتى بلغ المحيط ، ثم ناحية

---

[1]- المالكي: أبو بكر بن عبد الله، كتاب رياض النفوس، تحقيق الدكتور حسن مؤنس، القاهرة، 1951، ج1 ص31.

[2]- رشيد بورويبة وأخرون : المرجع السابق، ص48.

[3]- السلاوي: الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، الدار البيضاء، ص80.

[4]- سيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ، العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وعمرانية وآثرية، دار النهضة العربية، بيروت-1981،ج1ص223.

السوس الأقصى وبلاد مسوفة... و عند عودته من حركته هذه ، مر بناحية بسكرة، حيث إصطدم بمجموعة من البربر، فلقيهم بشجاعة نادرة رغم قلة من معه من الجند وكثرة المهاجمين له وقتل بموضع يدعى تاهورة، مع كل من كان معه من الجنود سنة64هـ/683م.[1] بعد وفاته عرفت بلاد المغرب فتنة بسبب الخلاف الذي وقع على الخلافة الإسلامية، غيرأن إفريقية لم تترك في فراغ سياسي، لأن مسلمي المشرق، لم ينسوا إخوانهم من مسلمي إفريقية والمغرب، وكانوا بمثابة محرك قوى لهمة وعزيمة الخليفة عبد الملك بن مروان الذي استجاب لرأيهم، وكلف زهير البلوي بإرجاع الأمن إلى إفريقيا والقيروان، وتأديب كسيلة والثائرين معه على السلطة الشرعية في دمشق[2]، إنطلق زهير من برقة على رأس مجموعة كبيرة من المسلمين ومن الأمازيغ إلى إفريقية، وكان لقاؤه مع جموع كسيلة بعيدا عن القيروان في سهل نتس بجوار قرية سبيبة حاسما .

فقدأسفر عن هزيمة ساحقة لجموع كسيلة، الذي قتل مع كثير من مساعديه، وتشتت شمل البقية، وانحلت أواصل الحلف بين البرانس وبقايا الأفارقة والروم،[3] وكانت هذه المعركة سنة 69هـ،689م التي كانت ثأرا لمقتل عقبة في تهورة.

كانت مهمة زهير بالدرجة الأولى، تأديب كسيلة وتحرير القيروان، فقد رجع إلى المشرق، بعد إنجاز هذه المهمة ، لكنه لم يقدر له بلوغ مصر حيث لقي حتفه على ساحل مدينة "درنة" في إقليم برقة سنة '70هـ،690م' بتدبير خاص من الروم البزنطيين وروم صقلية وبقايا الأفارقة الذين لم ينسوا بعد هزيمة ممس ومصرع كسيلة.[4] بعد إنتهاء أزمة الخلافة الثانية، أنصب إهتمام الخليفة عبد المالك بن مروان على إعادة إستقرار

---

[1]- رشيد بورويبة وآخرون : المرجع السابق، ص48

[2]- ابن الحكم:المرجع السابق، ص269

[3]- موسى لقبال: المصدر السابق: ص24

[4]- نفسه : ص25

المغرب،وقد جهز هذا الأخير جيشا كبيرا بقيادة حسان بن النعمان* وعهد إليه بولاية المغرب، ودخلت جيوشه إلى المغرب سنة 73هـ/692م[1].

وقد تولى حسان بن النعمان الغساني'هـ74-85هـ، '693- 704هـ' إفريقية بعد زهير بن قيس،وقد كان لهذا المهمات الكبيرة التي أنجزت في عهده، ولهذا يعتبر في نظر المؤرخين الفاتح الحقيقي للمغرب وإفريقية وواضع أسس النظام السياسي والعسكري والثقافي والإداري في المنطقة[2].

لقد نجح حسان في جهوده ضد الروم ، فإحتل قرطاجة 74 هـ'693م'، وقضى على عناصر الشغب في ضواحيها، ولتأكيد الوضع بني بجوارها مدينة تونس، لتخلفها في مجدها، ولتصير مركز جذب وإستقطاب، وإستعداد للمستقبل[3].

قام حسان بن النعمان ببناء دار لصناعة السفن في تونس بمساعدة أسر قبطية من البحارة ثم تهجيرهم بأمر الخليفة عبد الملك ونائبه في مصرعبد العزيز بن مروان، كما وضع نواة مسجد جديد في تونس وهو المسجد الأعظم، المعروف بجامع الزيتونة الذي سيصبح ثاني المساجد الكبرى في إفريقيا الإسلامية.

وبعد قضاء حسان على الروم والبربر ظهرت الكاهنة* التي هزمته في بداية الأمر[4]، وقد تجمع السكان المحليون في هذه المرحلة حول الكاهنة البترية التي قادت المقاومة من معقلها في أوراس، حتى سقطت في ميدان المعركة في جبل العنق ، في مكان عرف ببئر العاتر، وأصبح أيضا مشهورا بإسم بئر الكاهنة ' يقع في ولاية تبسة'[5].

---

*- حسان النعمان : هو حسان بن النعمان الغساني استعمل واليا على إفريقيا بعد مقتل زهير بن قيس ثم ابن الزبير وولى على إفريقيا بعد مقتل زهير بن قيس ثم ابن الزبير وولى على إفريقيا سنة أربعة وسبعين للهجرة،(أنظر ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج4،ص31).

1- سعد زغلول،تاريخ المغرب العربي،منشأة المعارف بالأسكندرية،1955،ج1،ص215،214

2- ابن عبد الحكم: المصدر السابق 269-270

3- موسى لقبال:نفسه ص25.

*- الكاهنة : ويقال لها دامية بنت ماتية بن تيغان ملكة جبل الأوراس وقد قيل أن جميع من بإفريقية كان يخاف منها ويطيعها والكاهنة البربرية من قبيلة جزرة (أنظر إلى كتاب السيد عبد العزيز سالم، مصدر السابق ص 244).

4- سيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير.....، ص248.

5- موسى لقبال : المرجع السابق، ص26.

وقضى بذلك حسان بن النعمان على كل أثر للمقاومة في المغرب الأوسط واستقامت له البلاد.وكان ذلك في سنة 82هـ .

بعد فتح منطقة الأوراس وقلاع المغرب الأوسط الحصينة، التي تبعه إسلام قبائل البتر، يكون بذلك حسان قد أشرف على المرحلة الحاسمة والأخيرة لعملية الفتح الإسلامي في إفريقية والمغرب الأوسط.

وعمل حسان على قيام كيان مستقل لولاية جديدة هي ولاية إفريقية الإسلامية وجدد مسجد عقبة، قبلة مسلمي إفريقية والمغرب، وطبق مبدأ المساواة بين المسلمين في كل شيء دون فرق بين العرب وغيرهم.

ولما استدعي حسان بن النعمان إلى دمشق، تولى موسى بن نصير** ولاية إفريقية والمغرب بعده وذلك في أواخر سنة 85هـ/705م.لم يضف موسى بن نصير شيئا، ولم يبدل جهدا جديدا في إفريقية و المغرب الأوسط وكل ما فعله ، أنه دعم المكاسب القديمة في مناطق كانت هادئة ومفتوحة، وسلك طريق شن بعض الغارات الخاطفة على مضارب بعض القبائل مثل زناتة وكتامة وصنهاجة لإرهابها، حتى لا تفكر في العودة إلى مقاومة الفتح الإسلامي.

وبعث ابن أخيه إلى قبائل هوارة وزناتة فأغار عليهم،وقتل منهم خلق كثير، وبلغ سبيهم خمسة ألاف نفر، وللمزيد من الإطمئنان أخذ رهائن من وجوه هذه القبائل أبقاهم بالقيروان، وتوسع موسى بن نصير في هذه السياسة، فنتج عنها كثرة الرهائن ولذلك أمر موسى بتجميعهم في نهاية الأمر بمدينة طانجة،وعهد إلى طارق بن زياد النفري بالإشراف عليهم هناك.

** – موسى بن نصير 86-95هـ/705-714م أنظر ابن الحكم المصدر السابق ص274. استعمل الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير على إفريقية فوصل إلى إفريقيا وبها صالح الذي استخلفه حسان على إفريقيا، فلما وصل ، عزل صالح، كانت ولاية موسى سنة ثنان وسبعون للهجرة إستعمله على إفريقية عبد العزيز بن مروان،(أنظر ابن الأثير المصدر السابق، ص112).

أصبحت مدينة طنجة مركزا ثقافيا وعلميا، ونقطة إستراتيجية هامة، عندها ينتهي النفوذ العربي في المغرب الإسلامي في هذه المرحلة. [1]

من كل ما تقدم نرى أن فتح العرب للمغرب استغرق مدة طويلة نسبيا إذا ما قورنت بالفتوحات الإسلاميةفي الأراضي الفارسية و البزنطية وهذا راجع بطبيعة الحال إلى مناعة بلاد المغرب وشدة ميراس أهلها وشجاعتهم في القتال .

تميزت فترة ما بعد انتهاء عمليات الفتح التي تلت رحيل موسى بن نصير إلى دمشق بعد 95هـ-714م بالإستقرار الذي مكن ولاة إفريقيا والمغرب من القيام بنشاط تحدي ضد دار الحرب ونشاط دعوي بين الوثنيين والنصارى من السكان المحليين وأسهم في هذين النشاطين مجموعة من رجال السيف وأخرون من العلماء والدعاة من أهل القلم تحت رعاية ولاة إفريقية، من بينهم محمد بن يزيد القرشي إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ويزيد بن أبي مسلم وبشير بن صفوان وعبيدة بن عبد الرحمان وعبيد الله الحبحاب السلولي ... .

2- الدولة الرستمية:

أثناء الفترة مابين 144هـ-و- 196 هـ /761 م -908م إنقسمت بلاد الجزائر إلى ثلاث مناطق:المنطقة الوسطى تحت حكم الرستمين، ثم إبتداء من سنة 296 هـ /789م صارت تابعة للأدارسة، أما المنطقة الشرقية فحكمها في بداية الأمر ولاة لبني العباس، ثم إبتداء من سنة 184 هـ /800 م صارت ملكا لدولة الأغالبة، وهكذا يمكن القول بأن بلاد الجزائر حكمها إبتداءا من سنة 184 هـ /800 م ثلاث دول أهمها الرستمية و عاصمتها تاهرت* كان موقعها في المغرب الأوسط، بينما كانت فاس حاضرة ملك الأدارسة، وكانت القيروان عاصمة بني الأغلب[2].

مكتبة الكلية
جامعة أبو بكر بلقايد

[1]- موسى لقبال: المرجع السابق، ص27.

*- تيهرت: ومعناها باللغة العربية اللبوة.

[2]- رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ص76.

بحكم موقع دولة بني رستم الجغرافي في المغرب الأوسط وظروفها ال والمذهبية توجهوا إلى بني أمية وعقدوا معهم تحالفا وديا، ذلك أنهم كانوا يتو عدوين لذوذين، الأغالبة في الشرق و الأدارسة وبني سليمان العلويين في الغرب.[1]

كانت الدولة الرستمية دولة إباضية *، وكانت قسوة ولاة بني أمية في بلاد المغرب تجاه البربر، وشدة التعسف في معاملا تهم ، عاملا ساهم في تقبلهم الدعوة الإباضية**.

ذكر أبو زكرياء الدرجيني أن عبد الرحمن ابن رستم بويع بالإمامة في تاهرت سنة 160هـ/776م-777م أو في 162هـ/778 م -779 م ، أما ابن الضغير المؤرخ المعاصر لبني رستم فقد بين لنا من جهته الأسباب التي أدت إلى إنتخاب عبد الرحمان بن رستم إماما.[2]

لما فر عبد الرحمان رستم من قبضة العباسيين ونجا بنفسه في اتجاه المغرب الاسلامي، واستقبلته القبائل الإباضية وأحسنت إليه وقدمته عليها لسابقته في المدهب،ويبدوا أن ذلك لا يخرج عن طبيعتها وعادتها،فلما اجتمعوا عليه وكثرت أعدادهم، ارتأوا تأسيس مدينة ، تكون مركزا لحكمهم، ثم بايعوا عبد الرحمن إماما عليهم.

ظلت منطقة تاهرت مسكونة في مرحلة الفتح الإسلامي ومما يدل على ذلك وقوع حادثتين خطيرتين فيها، الأولى ما رواه ابن خلدون،فقد ذكر أن معركة نشبت بين عقبة بن نافع وبين أمراء البربر في ناحية تاهرت انتصر فيها عقبة بن نافع.

---

[1]- عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدزلة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 ص96.

**- الإباضية إسم مشتق من عبد الله بن إباض ويبدوا أن هذه الفرقة ظهرت كجماعة مستقلة سنة 65هـ-685م عندما انفصل عبدالله بن إباض نهائيا عن الخوارج ، ولكن المصادر الإباضية نسبة إلى عبد بن إباض دورا ثانويا في الحركة مقارنة مع جابر بن يزيد الأزدي العماني الذي تعتبره إمام المذهب ومؤسس فقهم ومذهبهم (ا نظر بلحاج معروف: العمارة الدينية الإباضية بمنطقة الوادي مزاب من خلال بعض النماذج رسالةرسالة لنيل شهادة دكتراه دولة، قسم الاثاركلية الاداب....تلمسان ،السنة الجامعية 1423/مارس 2002، ص 25)

[2]- رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ،ص 80.

أماالحادثة الثانية فقد رواها ابن الأثير، وفحواها أن محاربا من جند ابن الاشعث عامل افريقية ثارعليه ولجأ إلى تاهرت وكان هذا المحارب يدعوا ابن شاجح ويقول ابن الاثير "بلغت عدة عسكره عشرين ألفا".[1]

اجمع المؤرخون أن عبد الرحمان بن رستم من أصل فارسي ، وأختلفوا في نسبة فإعتبره بعضهم من أبناء رستم القادسية، وأعتبره آخرون من أبناء الملوك الساسانين،فهو عبد الرحمان بن رستم بن بهران بن سابور بن بابك بن سايوذي الأكتاف الملك الفارسي. ولد عبد الرحمان في العراق في آواخر القرن الأول الهجري ' السابع الميلادي' وتوفى في سنة186هـ/784م، وفي رواية سنة 171هـ/787م.[2]

إهتم عبد الرحمان بن رستم بمدينة اهتماما بالغا، وقد كان موقعها بكرا جديدا لم يسبقه إليه أحد، وقد أراد تخليد ذكره، كما صنع من سبقه، فقد أسس عقبة بن نافع مدينة القيروان و اختط إدريس الثاني مدينة فاس، ويقول جورج مارسيه:" أن هذا الإختيار سببه إنشغال البال بهدف عملي هو أشبه إهتمام المهندسيين المعماريين البناة للمدن الحديثة وهو بشكل خاص أقرب إلى رغبة المسلمين المعنيين بتشيد المدن و الأمصار."

فقد كانت تاهرت الرستمية غنية بالماء كما يذكر البكري ذلك في الفقرة التالية: "وهي على نهر آخر يجري من عيون تجتمع تسمى تانش، ومن تانش شرب أهلها وبساتينها"[3].

أصبحت مدينة تاهرت في عهد عبد الرحمان بن رستم حاضرة من أهم حواضر المغرب الإسلامي، حيث يقول إبن الصغير في هذا الصدد: " ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين ظهرانهم، لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في الرعية"[4].

---

[1]- رشيد بورويبة وآخرون: نفسه، ص78.

[2]- جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص21.

[3]- رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ص79.

[4]- ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستمية:تح، محمد الناصر إبراهيم ، المطبوعات الجميلة ، الجزائر 1986، ص31

إتفق المؤرخون بأن تاهرت شاهدت فور إختطاطها نشاطا معماريا قويا، ذكر ابن الصغير أن أهل تاهرت في عهد عبد الرحمان بن رستم:" شرعوا في العمارة والبناء، وإحياء الموات وغرس البساتين وأجراء الأنهار وإتخاد الأرجاء."

وأن إباضيي العراق في رحلتهم الثانية إلى تاهرت:" وجدوا الأمور قد تبدلت وأحوال المدينة والأشياء قد حالت، ذلك أنهم نظروا إلى القصور بنيت وإلى البساتين قد غرست وإلى الأرحاء قد نصبت".[1]

كانت إمارة بني رستم بتاهرت من أشهر الإمارات الإباضية وأقواها في المغرب الإسلامي، تأثيرا على الحياة الإجتماعية والسياسية بتاهرت، ويعود ضعف هذه الإمارة إلى إختلاف شعبها وإشتداد روح العصبية في قبائلها وتمكن الإختلافات المذهبية من رعاياها[2].

سعى عبد الرحمان بن رستم بفضل حنكته وحكمته إلى توحيد صفوف أتباعه وسمع به وجوه الإباضية وعلمائهم فقصدوه من كل النواحي حتى اجتمع لديه من طرابلس وجبل نفوسه من العلماء وحدهم ما يزيد عن ستين من كبار أهل العلم والفضل والرأي[3]، وقد اشتهرت تاهرت أيضا بمن سكن فيها من العلماء والمتكلمين اليهود الذين كانوا متصلين اتصالا مباشرا بالأوساط العبرية.

3- دولة الأدارسة

كانت موقعة فخ التي وقعت في عهد الخليفة العباسي الهادي سنة 129هـ بعيدة الأثر في تاريخ العلويين، فقد هرب منها رجلان كانا كالشجا في حلق العباسيين، وهما يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي الذي ثار في بلاد الديلم في عهد هارون

---

[1]- د.رشيد بورويبة وآخرون: نفسه، ص123

[2]- رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سبتمبر 1986،ص34

[3]- سليمان الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة والملوك الإباضية،د.ت،ج2ص36

الرشيد، و أخوة إدريس بن عبد الله الذي نجح في إثارة أهالي المغرب الأقصى على العباسيين[1].

تمكن إدريس أن يؤلف جيشا كبيرا عزا به قبائل لم يكن الإسلام قد إنتشر بعد في أنحائها بالمغرب وبقيت على دين النصرانية واليهودية والمجوسية، ثم خرج في منتصف سنة 173هـ/788م لغزو مدينة أقادير بالمغرب الأوسط، ومحاربة من بها من مغرارة وبني يفرن الخوارج فوصل إليها، فلم يصده عنها صاحبها-محمد بن حزر اليفرني- وبايعه في رجب 173هـ وذلك نظرا لشرفه وقربه من الرسول الله صلى الله عليه وسلم،[2] فدخل إدريس المدينة ومكث بها نحو سبعة أشهر[3] وبنى مسجدا جامعا* وأمر بنقش هذه العبارة على المنبر: "بسم الله الرحمان الرحيم.هذا ما أمر به الإمام إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن علي- رضي الله عنهم وذلك في صفر 174هـ".[4]

واجتمعت حوله قبائل أوربة ومغيلة، وتبعها قبائل زناتة وهي زاووة، ونفزة ومكناسة ، وغمارة[5] البربرية التي لقي منها العون والتأييد في تأسيس دولة الأدارسة التي كانت أول دولة مستقلة عملت جهدها على نشر الإسلام في ربوع هذه البلاد.

وإمتدت رقعة بلاده حتى شملت الأراضي التي تقيم فيها قبائل زناتة وغيرها من القبائل المنتشرة من القيروان وتمتد إلى المحيط الأطلسي[6].

وقد ولد هذا الإنتصار خوفا لدى الخليفة العباسي، لا سيما بعد أن دخل ادريس إلى تلمسان وهي تعد باب إفريقية، فخاف من أن يتطلع إلى خلافته[7]، وقد خشي هارون الرشيد تفاقم خطر إدريس ومحبة الناس له، فعمل على التخلص منه، وفكر في إنفاذ جيش كثيف

---

[1]- حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص169.

[2]- محمد الطمار: تلمسان عبر العصور دورها في السياسة وحضارة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، ص30.

[3]- عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام،ج1، المطبعة العربية الجزائر 1373-1954،ج1،ص 215

[4]- محمد الطمار: نفسه ،ص32.

[5]- السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق ج2، ص469.

[6]- حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق،ج3، ص 187.

[7]- السيد عبد العزيز سالم: نفسه ، ج2،ص471

للقضاء عليه.ولكنه عدل عن ذلك لبعد الشقة ووعورة الطريق، فأشار عليه يحيى البرمكي بأن يبعث له رجل معروف بالدهاء يحتال لإغتياله فبعث الرشيد سليمان بن جرير ويعرف بالشماخ[1]، وقد قتله بالسم سنة 177هـ.[2] بعد موته بشهرين ولد له ولدا ذكرا إسموه إدريسا، وهو إدريس الثاني مؤسس مدينة فاس ويعتبر المؤسس الحقيقي لدولة الأدارسة[3]، وقد وجه إدريس همته لمحاربة الصفرية* من الخوارج وأحل بهم الهزيمة[4].

توفى إدريس الثاني في شهر جمادى الآخر سنة213 هـ، فخلفه ابنه محمد بن إدريس ولم يلبث أن توفى في شهر ربيع الثاني سنة 221هـ، فخلفه ابنه علي بن محمد(221 هـ -234 هـ)ولم يذكر لنا المؤرخون كثيرا عن دولة الأدارسة في عهد علي بن محمد الذي توفى في شهر رجب سنة234 هـ، وخلفه أخوه يحيى بن محمد الذي يذكر ابن خلدون أنه قام بالأمر وإمتد سلطانه، وعظمت دولته،وحسنت آثاره، و إستبحر عمران فاس وبنيت بها الحمامات والفنادق، وقد زالت دولة الأدارسة على أيدي الفاطميين في القرن الرابع.[5]

يعد قيام الدولة الأدريسية أول تجربة نجح فيها آل البيت في إقامة دولة كبيرة لأنفسهم، نظرا لمنافسة الدول الأخرى المجاورة لها،[6] وقد قامت دولة الأدارسة بدور هام في نشر الإسلام في ربوع المغرب.

وكان لإنتسابهم إلى الرسول الكريم-صلى الله عليه وسلم- أثر كبير في توحيد القبائل المتعادية وتأييد الأهالي لهم بعد أن كانت فتن الخوارج تمزق شملهم، وإستطاع المولى إدريس لأول مرة أن يوحد بين إقليم السهول الساحلية ' المغرب الأقصى' وإقليم

---

[1]- حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ج2،ص 182.

[2]- السيد عبد العزيز سالم: نفسه ، ج2،ص470

[3]- حسن إبراهيم حسن: نفسه ،ص183.

*- تأسست الدولة الصافرية على يد يعقوب الليث الصفاري '254-260هـ) الذي أغار على بلاد الطاهرية في خرسان، التي أسسها طاهرين الحسين في عهد الخليفة المأمون (205هـ) (أنظر إلى ابراهيم حسن: التاريخ الإسلامي... ج3، ص83)

[4]- السلاوي: كتاب المغرب والمشرق في حلي المشرق ،لندن،1988،ج1،ص72.

[5]- حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ج2، ص 182.

[6]- حسن مؤنس: المرجع السابق، ص373.

الصحاري، أي بين إقليم الحظارات القديمة وإقليم البداوة، كما إستطاع الأدارسة بفضل هذه الوحدة أن يوجهوا أنظارهم إلى حركة الجهاد المقدس بقصد إتمام نشر الإسلام في البلاد ومحاربة العقائد الشاذة والقضاء على بقايا اليهودية والنصرانية بين قبائل المغرب. وقد جاوز نفوذ الأدارسة منطقة المغرب الأقصى إلى الصحراء الكبرى التي تفصل بلاد المغرب عن إقليم السودان.

4- الدولة الفاطمية

كانت الخلافة الفاطمية* التي قامت بالمغرب في أواخر القرن الثالث الهجري نتيجة الصراع العنيف بين السنة والشيعة. فقد ظل العلويون يعتقدون أنهم أحق بزعامة المسلمين، لأنهم أولاد علي ابن عم النبي- صلى الله عليه وسلم- وزوج ابنته فاطمة. وظل العلويون يناضلون في سبيل هذه الزعامة، بالسيف تارة وبالمكيدة والدهاء تارة أخرى، حتى توجت جهودهم بقيام الخلافة الفاطمية على أساس فكرة تقديس الإمام وعصمته، ومن ثم نرى الشيعة يخلعون على الخلفاء من صفات التقديس مالم يتصف به خلفاء بنبي العباس.

تم إعلان خلافة عبيد الله المهدي* رسميا يوم الجمعة 21 شعبان 910/297 ،يوما بعد وصوله إلى مدينة رقادة.وقد وقعت في خلافة عبد الله المهدي حوادث شتى، وقع بعضها في المغرب الأوسط كما يسمى الأن بلاد الجزائر، ووقع بعضها الأخر في سائر أرجاء الإمبراطورية الفاطمية.[1]

لقد كان قيام الدولة الفاطمية في المغرب إنقلابا خطيرا أدي إلى بتر علاقة المغرب بالمشرق سياسيا بصفة نهائية[2].

---

*- الفاطميون : ذهب المؤرخون في نسب القاطميون مذاهب شتى فبعضهم يقول أنهم ينتسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، ومن تم سموا إسماعيلية أيضا، وبعضهم يذكر صحة نسبهم إلى إسماعيل ويقول أنهم يرجعون في نسبهم إلى رجل فارسي هو عبد الله بن ميمون القداح الأهوازي، الثنوي المذهب' (أنظر حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام.....ج 3،ص،101)'

*- عبيد الله المهدي: اسمه الحقيقي سعيد بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، (أنظر حسن مؤنس، المرجع السابق، ص474).

[1]- رشيد بورويبة وآخرون:المرجع السابق، ص 147.

[2]- سعد زغلول:المرجع السابق،ص219.

لما استولى أبو عبد الله الشيعي** على تاهرت ولى عليها داوس بن صولات اللهيمي ونائبا عنه وهو إبراهيم بن محمد اليمني المدعو الهواري والملقب بالسيد الصغير[1]. كما قضى أبو عبد الله الشيعي على الأغالبة في إيفريقية سنة 296هـ/909م وإستطاع بسط نفوذه على بلاد المغرب.[2] ولما إستقر بأبي عبيد الله الشيعي المقام وصادقت دعوته كثيرا من النجاح، أرسل إلى عبيد الله المهدي يدعوه للحضور إلى إفريقية،[3] فرحب بهذه الدعوة، ولكن الخليفة العباسي المقتدر (295هـ - 320هـ) علم بذلك، فأمر بالقبض عليه. ومن هنا نقف على مدى الصعوبات التي لقيها عبيد الله المهدي في طريقه إلى المغرب،[4] فلما وصل المهدي إلى القيروان،سلم عليه أهلها بالخلافة وبايعوه على الطاعة وذكر إسمه في الخطبة وتلقب المهدي بأمير المؤمنين، ولم يلبث أن قسم أعمال الدولة على رؤساء كتامة الذين ساعدوه على إقامة دولته، ثم دوّن الدواوين وجبى الأموال وإستقرت قدمه في هذه البلاد. ولم يكتف عبد الله المهدي بما أحرزته جيوشه من نصر وظفر وما استولت عليه من بلاد، بل عمل على مد سلطانه إلى مصر.[5] وفكر المهدي قد في فتح مصر أو الأندلس، فقد تبين له أنّ بلاد المغرب لا تصلح أن تكون مركزا للدولة، ففضلا عن ضعف مواردها،كان يسودها الإضطراب وتشتعل فيها الثورات من حين إلى أخر.[6]

أقام عبيد الله المهدي بالقيروان إلى غاية سنة 304 هـ، حيث اختط مدينة المهدية على بعد مرحلتين جنوبي القيروان.[7] ذلك أنه لم يشعر بالأمان وقد عزى البكري بناء هذه المدينة إلى محاولة أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس ومن معهما من كتامة قتل المهدي والتنكيل بأهل القيروان، فخرج يرتاد موضعا على ساحل البحر يتخذ فيه مدينته،

** - أبو عبد الله الشيعي: من مدينة صنعاء، أخذ العلم في بلاده التي كانت من معاقل الشيعة عند أئمة المذهب، إنظم إلى عبيد الله المهدي وأصبح من مجموعة الدعاة الإثنى عشر (أنظر إلى سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ العرب....ج21 ص 544)

[1] - رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ،ص149.

[2] - زكي محمد حسن: كنوز الفاطميين، دار الرائد العربي،بيروت،1981،ص7

[3] - عريب بن سعد:صلة تاريخ الطبري،لندن،1861، ص21.

[4] - حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق ، ص152.

[5] - حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص153.

[6] - جمال الدين سرور: مصر في عصر الدولة الفاطمية، القاهرة 1970،ص27.

[7] - حسن ابراهيم: نفسه ،ص153

فلم يجد موضعا أحسن ولا أحصن من موقع المهدية[1]، وذكر ابن خلدون أن بناء المهدية قد تم سنة 306هـ/918م-919 م، وذكر البكري أن البحر يحيط بها من ثلاث جهات وأنه يدخل إليها من الجانب الغربي، وقد شيدت مبانيها بالصخر، وإتخد المهدي لهذه المدينة بابين من الحديد لا خشب فيهما ونقش عليهما صور بعض الحيوانات، وأقام بها ثلاث وستون صهريجا ما عدا ما كان يجري فيها من قنوات،[2] ولم تلبث هذه المدينة أن أصبحت مرفأ هاما وسوقا نافقة السلع كانت تحملها السفن من الإسكندرية ومن الشام وصقلية وغيرهما[3].

يذكر بن خلدون: "أنه لما استقام سلطان عبد الله المهدي بإفريقية إستبد بأمره، وانكر من أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبا العباس الاستبداد عليه والتحكم في أمره، فعظم ذلك عليهما ، وصرح أبو العباس بما في نفسه، فنهاه أخوه عبد الله عن ذلك، فلم يصغ إليه، ثم استماله أبو العباس إلى رأيه، فأجابه، وبلغ ذلك إلى المهدي فلم يصدقه، ثم نهى أبا عبد الله عن مباشرة الناس، وقال إنه مفسد للهيبة[4].

لما تولى أبو عبد الله الحكم شرع في ممارسة كل شؤون الدولة بنفسه دون استشارة أبي عبيد الله الشيعي الذي كان عبيد الله مدينا له بالتربع على عرش الخلافة.

فدبر أبو عبد الله بإيعاز من أخيه أبي العباس مؤامرة للإطاحة بالمهدي، فلما اطلع هذا عليها أمر بقتل عبد الله وأخاه أبا العباس يوم 15 جمادى الثاني 298 هـ/ 911م[5].

وقد أثار مقتل أبي عبيد الله الشيعي استنكارا شديدا لسياسة عبد الله المهدي وكراهية شديدة له فقد أنكر كثير منهم مهديته واختاروا رجلا يسمى كادو بن معارك وجعلوه إماما مهديا منتظرا[6].

---

[1]- البكري:المصدر السابق، ص40 .

[2]- حسن ابراهيم حسن: نفسه، ص.423.

[3]- البكري: نفسه ،ص228.

[4]- ابن عذاري : أبو العباس أحمد ، البيان المغرب في أخبار المغرب، تحقيق ليفي بروفنسال وكولان جزان، لندن 1948-1951. طبعة صادر جظان- بيروت 1950،ج1، ص228.

[5]- رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق،ص148.

[6]- ابن عذاري : نفسه ،ج1ص166.

لقد أدى انتشار حكومة الأشراف البيروقراطية إلى تدبير مؤامرات سرية وظهورأحزاب ،مهد السبيل لسقوط الدولة الفاطمية، ووقوعها تحت أيدي المبغضين لها[1].

كان عبد الرحمان محمد الأموي، يتتبع يقظا كل ما يحدث، خاصة الخطوات التي يخطوها الفاطميون لبسط سلطانهم، فوقف أمام مطامع الفاطميين وقفة صارمة وبث عيونه في أنحاء المغرب وأبلى بلاءا حسنا من أجل الحفاظ على نفوذه[2]، حيث خلع موسى بن أبي العافية الذي أستحوذ على المغربين الأقصى والأوسط وخلع طاعة عبيد الله المهدي الفاطمي، ودخل في طاعة عبد الرحمان الناصر الأموي، الذي استولى على سبتة وخطب له على منابر المغرب، ولكن هذه الخطبة لم تلبث أن انقطعت بعد فرار موسى من مدينة فاس أمام الجيوش الفاطمية، ثم أعيدت مرة أخرى في عهد القائم* الفاطمي[3].

إن المدن الجزائرية التي تضررت أكثر بسبب هذا التنافس هي: تاهرت و وهران، وكانتا إذا اقترب منهما الفاطميون اعترفتا بهم وإذا رجعوا إلى إفريقية انقلبتا عليهم[4].

سعى عبد الرحمان الناصر إلى البحث عن أنصار له بين القبائل المعادية للفاطميين،لا سيما في منطقة الغرب الجزائري وتمكن من استمالة مغراوة وبني يفرن الزناتيين، وكان محمد بن خزر يتزعم قبيلة مغراوة، وأدرك المهدي خطورة السياسية التي ينتهجها الناصر ضده فأمر عامله مصالة بن حبوس صاحب تاهرت بمحاربة الزناتيين سنة 312 هـ، فخرج مصاله من تاهرت إلى قبائل زناتة الضاربة من وادي شلف إلى تلمسان، فاصطدم بقوات بن خزر في معركة عنيفة انتهت بمقتل مصالة، وانهزم جيشه في 20 شعبان سنة 312 هـ،وقد اعتبر الناصر انتصار ابن خزر انتصار السياسة الإفريقية على الفاطميين،

---

[1]- حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ج4، ص144.

[2]- السيد عبد المزيز سالم : المرجع السابق ج2، ص690.

*- القائم: هو أبو قاسم القائم الخليفة الفاطمي في الثاني، ولي لأبو قاسم الخلافة بعد أبيه عبيد الله المهدي، توفي في شهر رمضان 334هـ وخلفه إبنه أبو الضاهر اسماعيل الذي تلقب بالمنصور334هـ-341.هـ

[3]- حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص183.

[4]- رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ص151.

وفي سنة 314 هـ أحرز بن حزر عدة انتصارات على قوات الفاطميين في تاهرت نفسها[1].

فنشبت حروب بين الشيعة ودعاة الأموية فحوصرت تاهرت واحتلت وهران وأقيمت بها دعوة الأمويين سنة 333هـ، وأخذت البيعة للخليفة عبد الرحمان الناصر، وكان الشيعة وقتئذ بإخماد نار الفتنة التي أضرمها أبو زيد بن كداد الخارجي، فلما قضوا على هذا الخطر، ولوا وجوهم شطر دعاة الأمويين في المغرب، فخرج المنصور بنفسه سنة 336هـ وزحف إلى تاهرت، فأخرج حميدا منها وعقد عليها ليعلى بن محمد اليفرني، وعقد أيضا لزيري بن مناد على صنهاجة[2]، وفي سنة 341 هـ أعاد الناس الدعوة للأمويين بالمغرب الأوسط وخرج تحت رئاسة قاضي وهران أحمد بن أبي العيون لتثبيت الدعوة لعبد الرحمان الناصر بقرطبة فعقد الناصر لمحمد بن يصل على تلمسان وأعمالها[3].

لقد كان قيام الدولة الفاطمية مهما في التاريخ الإسلامي، إذا أن نجاح الشيعة الإسماعيلية في إقامة خلافة لهم في المغرب، جاء بعد محاولات طويلة فاشلة قام بها الشيعة منذ قيام الدولة الأموية.[4]لقد مهدت الأحوال والحوادث الماضية الطريق لسقوط الفاطميين قبل أن يلي صلاح الدين الوزارة خلفا لعمه أسد الدين شيركوه، وقد أصبحت البلاد في ضعف بحيث لم تعد تقوي على صد الغزوات الأجنبية[5]،وسقطت الدولة الفاطمية بموت العاضد*، بعد أن حكمت مصر زمنا طويلا، كان عصر يسر ورخاء وتسامح ديني وثقافي.

---

[1]- فايزة مهناري: أضرحة الأولياء في الغرب الجزائري: دراسة تاريخية ومعمارية خلال بعض النماذج السنة الجامعية 2005-2006ص17.

[2]- محمد الطمار: المرجع السابق، ص34.

[3]- محمد الطمأر: المرجع السابق، ص34

[4]- حسن إبراهيم و الأستاذه طه: "عبيد الله المهدي" إمام الشيعة الإسماعيلية، القاهرة،1947، ص15.

[5]- حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق ،ص180

*- العاضد أبو محمد عبد الله : آخر خلفاء الفاطميين 555.هـ-567هـ.

إن زوال الدولة الفاطمية الشيعية على يد الأمويين وإعادة الخطبة إلى الخليفة العباسي، بعد أن قطعت في مصر كسائر الولايات الفاطمية الأخرى مدة قرنين وثماني سنين، وكان في الواقع انتصار للسنة على الشيعة[1] .

5/ المغرب الأوسط في عهد بني زيري:

أسست الدولة الزيرية في سنة 362هـ ،وخلفهم الحماديون في سنة398هـ، ولم تأت سنة443هـ حتى اندثر الحكم الفاطمي من بلاد المغرب[2].

إن بني زيري خلفوا الفاطميين بعد رحيلهم إلى مصر،وهم ينتمون إلى قبيلة صنهاجة التي كانت تعدل من حيث العدد ثلث سكان المغرب الأصليين وبلغ عدد بطونها سبعين بطنا، وهي من أكبرها خطرا، ومنها دولتا بني زيري و بني حماد ولمتونة ومسوفة ودولة المرابطين.

كان المعز قبل انتقاله إلى مصر بعد غزوه لها استخلف بلقين بن زيري على إفريقية والمغرب، وهكذا تأسست دولة بني زيري وحكم منها أربعة أمراء بلاد الجزائر،وهم بلقين بن زيري والمنصور بن بلقين وباديس بن المنصور والمعز بن باديس حتى سنة 408هـ/1018م، وهو تاريخ تأسيس الدولة الحمادية.[3]

وقد أثارت إمارة بلكين بن زيري بن مناد على المغرب، منافسة جعفر بن علي بن حمدون أمير الزاب، فشق على الفاطميين عصا الطاعة، كما ثارت عليه قبيلة زناتة القائمة بدعوة الأموين في الأندلس، وخرج عليه أهل تاهرت فسار بلكين بن زيري إلى تاهرت فدخلها وخربها، ثم مضى إلى تلمسان ليقضي على جموع الزناتيين،فحاصرها ودخلها ودانت له،ثم توجه إلى القيروان،فوصله كتاب من المعز ينهاه عن التوغل في بلاد المغرب.[4]

---

[1]- حسن إبراهيم حسن تاريخ الدولة الفاطمية : الطبعة الثالثة القاهرة 1964،ص:181.

[2]- حسن إبراهيم حسن: المصدر السابق ،ص162 .

[3]- رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ص162،161.

[4]- رشيد بورويبة وآخرون: نفسه، ص163.

غادر بلكين حاضرته في شعبان 364 هـ/973 م على رأس جيش من صنهاجة وكتامة، ولما وصل واليا وتابع مسيرته،وأثناء رجوعه ثار أهلها على الوالي الجديد وهزموه واعتصموا بأسوار المدينة.فأرسل الى بلكين سرية لمحاربتهم ولما استعد لقتالهم ومعاقبتهم بلغة أن سكان تاهرت طردوا عامل مدينتهم، فتوجه إليها واستولى عليها.[1]

في نفس السنة بلغ بلكين أن العدو استولى على تلمسان فتوجه إليهم، فهربوا ولكن المدينة لم تفتح أبوابها له، فحاصرها حتى استسلم سكانها ونزلوا على حكمة، فعفا عنهم، إلا أنه أمر بنقلهم إلى أشير قاعدة زيري بن مناد،[2] و بنوا مدينة بجانب أشير،سموها تلمسان[3]، ولما سمع خليفة القاهرة بمواصلة بلكين المسير صوب البلاد أمره بالقفول إلى القيروان.

بعد رجوعه إلى إفريقيا بثلاث سنين شرع بلكين في سنة 368هـ/979م،[4] في الاستعداد للزحف على المغرب الأقصى، وخرج إليهه على على رأس ستة ألاف فارس، فاستولى على فاس و سجلماسة، ولكنه لم يهاجم سبتة، بسبب العدد والعدة التي تلقاها من الأندلس، فحمل حينئذ على مدينة البصرة وعلى بلاد بوغواطة وعلم أثناء طريقه أن سجلمانية سقطت في قبضتي زناتة فرجع وقبل أن يصل إليها مرض وتوفى في سنة 373هـ/984م.[5]

كان المنصور في أشير لما بلغه نعي أبيه، فبايعه كبار وجهاء المملكة في حفل مشهود بهر الحاضرين لما رأوا فيه من أبهة السلطان وعظمته.[6]

وصل المنصور إلى رقادة سنة 374هـ/984م، واستقبله سكان القيروان بالترحيب، وفي صبرة المنصورية عقد لعمه أبي البهار على تاهرت ولأخيه يطوفت على

---

[1]- فايزة مهتاري: المرجع السابق،ص18

[2]- رشيد بورويبة وآخرون: نفسه، ص162.

[3]- عبد الرحمن الجيلالي:مرجع سابق،247.

[4]- ابن الأثير :المصدر السابق، ص 205

[5]- السيد عبد العزيز سالم:المرجع السابق،ص353.

[6]- نفســـــــه:ص644

أشير، وتمت مدة إمارته بحمله على المغرب الأقصى والقضاء على والي إفريقية وثورة كتامة وإستسلام سعيد بن خزرون وثورة أبي البهار.[1]

قامت في عهد المنصور ثورتان، أولهما قام بها أبو الفهم الخرساني الداعي سنة 376هـ. والثانية ثورة أبي البهار بن زيري في تاهرت سنة 379هـ، فزحف إليه المنصور إلى تاهرت ففر منها أبو البهار منجها نحو المغرب ودخل عسكر أبي الفتح المنصور مدينة تاهرت وقتل من تصدى له من أنصار أبي البهار وولى على تاهرت أخاه يطوفت.[2]

انتهزت زناتة الفرصة السانحة لاحتلال مناطق تلمسان ووهران وشلف ولم تلبث المنافسة أن أثارت الخلاف بين زيري بن عطية وأبي البهار، فالتحق أبو البهار بتاهرت وطلب من ابن أخيه يطوفت أن يشفع له عند المنصور ليعفوا عنه فقبل الأمير الشفاعة واستقبل أبو البهار بالترحيب فى المنصورية سنة382هـ -993 م وعامله معاملة كريمة، وبعد ذلك بثلاث سنين توفى المنصور سنة 386هـ-996م فخلفه ابنه باديس[3].

تولى باديس إمارة إفريقية والمغرب الأوسط وأقر عمه يطوفت على ولاية تاهرت كما أقر عمه حماد على ولاية أشير، وزحفت قبائل زناتة نحو تاهرت وهزمت الصنهاجيين وانسحب كل من يطوفت و حماد إلى أشير ثم عاود هذان الأخيران الدخول إلى تاهرت، و ظل حماد يحارب إخوته حتى تمكن منهم، وأخذ يتأهب للإستقلال عن باديس و أسس مدينة القلعة و أعلن نبذه للفاطميين وشق عصا الطاعة على باديس، فخرج باديس لمحاربة عمه حماد والتقى الجيشان فى معركة انتهت بهزيمة حماد وفراره الى القلعة.[4]

لما توفى باديس سنة406هـ، خلفه ابنه المعز على عرش الإمارة، بعد وصول المعز إلى صبرة المنصورية رحل فى اليوم التالى إلى القيروان حيث وقع الفتك بالشيعة

---

[1]- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق ،ص353

[2]- عبد الرحمن الجيلالي:مرجع سابق، ص248.

[3]- رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ص167

[4]- فايزة مهتاري: المرجع السابق،ص262

فبادروا إليه ليقتلوه فجاء عبيده ورجاله ومن كان يكتم السنة من أهل القيروان فوضع السيف في الشيعة فقتل منهم ما ينيف عن ثلاثة آلاف، وروى ابن خلدون:" أن المعزكان منحرفا عن مذاهب الرافضة ومنتحلا للسنة فأعلن مذهبه لأول ولايته ولعن الرافضة ثم صار إلى قتل من وجد منهم، وكبا بة فرسه ذات يوم فنادى مستغيثا باسم أبي بكر وعمر فسمعه العامة فثاروا لحينهم بالشيعة وقتلوهم أربح قتل وقتل دعاة الرافضة يومئذ"[1].

ولم يقف المستنصر الفاطمي من هذه الأحداث الخطيرة موقف الرضى، فقد عمل على الانتقام من بني زيرى الذين خرجوا عليه برغم مما أسداه أباؤه لهم من مآثر، فأرسل عليهم قبائل الرياحية و الزغبية من بني هلال وقد خرجت قبائل هلال و سليم وزغبة* ورياح وعدي والاثبج من مضاربهم بصعيد مصر سنة 440 هـ،[2] وانقضوا على إفريقية وأوقعوا بالمعز بن باديس في موقعة حيدران** ودخلوا القيروان وخربوها وأتوا على تراثها الزاهر، وضعف الملك الزيري بعد ذلك حتى لم يعد يجاوز أسوار مدينة المهدية.[3]

حل بنو هلال بإفريقية سنة442هـ-1051 م واستولوا على سائر أعمالها ثم تسربوا إلى ديار بني حماد فأخرجوهم من قاعدتهم القلعة وغلبوهم على الضواحي، فصانعوا هؤلاء الأعراب واستخلصوا الأثبج منهم وزغبة و استعانوا بهم على زناتة المغرب الأوسط فكانت بينهم و بين بني يعلى أمراء تلمسان حرب ووقائع وكانت زغبة أقرب إليهم باقليم تلمسان وكان أمير هذه العاصمة لعهدهم يحيى من ولد يعلى بن محمد اليفرني، وكان وزيره وقائد حروبه أبوسعدي بن خليفة اليفرني.[4]

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ص324

*- زغبة من بطون بني هلال، قدموامن صعيد مصر إلى شمال إفريقيا، (أنظر حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق)

[2]- حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق،ص226

** - حيدران، قطعت خطبة للفاطميين في أفريقية، كانت الواقعة سنة439هـ وخرج العرب من مصر في طريقهم إلى بلاد المغرب سنة 440هـ، ووقعت موقعة حيدران في سنة 443هـ (أنظر حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق).

[3]- حسن أحمد محمود: بنو زيري وسياستهم الداخلية، ص 190-191.

[4]- محمد الطمار:المرجع السابق،ص36.

وقد طرب المنتصر الفاطمي لهزيمة الزيريين واستطاع أن ينتقم لنفسه منهم[1]، وهكذا انقسمت دولة الصنهاجيين إلى دولتين دولة المنصور بن بلكين (الدولة الزيرية) التى حكمت إفريقية والدولة الحمادية التي بسطت إمارتها على المغرب الأوسط.

6/ قيام دولة المرابطين في المغرب الأوسط: 441هـ-541هـ/ 1056م-1147م

كان المغرب الأوسط يخضع لسلطة الأمير المغراوي العباس بن بختي من أبناء يعلي بن محمد بن الخير بن محمد بن الخزر، وكانت إمارته بمدينة تلمسان وكانت هذه الإمارة تتعرض من حين لأخر إلى هجمات أمراء بني حماد، فتقاومها بما استطاعت من قوة أو تصالحها[2].

نشأت الدولة المرابطية في منطقة الصحراء الغربية، الواقعة في جنوب وادي درعة، ما يلي المحيط الأطلسي جنوب بلاد السودان وكانت تقطن تلك المنطقة قبائل من صنهاجة، بدأت حركة المرابطين على شكل دعوة تهدف إلى الإصلاح الديني.

أجمع المؤرخون على أن المرابطين* أو الملثمين** من قبيلة لمتونة البربرية الصنهاجية، ويكاد يتفق المؤرخون على أن صنهاجة من قبائل حمير العربية وأنهم ساروا من اليمن إلى الشام و إلى الساحل الإفريقي، و اتجهوا نحو المحيط الأطلسي واستوطنوا صحراء المغرب لمشابهتها لصحراء العرب. وكانوا تحت قيادة عقبة بن نافع ثم كثر عددهم في عهد موسى بن نصير[3].

---

[1]- حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق،ج4،ص247

[2]- رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ص296

*- سموا بالمرابطين لانهم تتلمذوا على عبد الله بن ياسين في الرباط في صحراء المغرب حيث قبيلة لمتونة(أنظر حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج4 ص109) .

**- سموا الملثمين لانهم كانوا يضعون على وجههم لثاما يقيهم هاجرة الصحراء وبردها كما يفعل العرب (أنظر حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج4 ص109) .

[3]- ابن الاثير: المصدر السابق، ج9، ص 232.

كانت قبائل صنهاجة تدين بالإسلام الذي لم تكن تعرف من أحكامه إلا الشيء القليل، وكانوا متحمسين للدين عاملين على نشره في بلاد السودان بقيادة أميرهم أبي عبد الله بن يتفاوت اللمتوني[1]، وقاوموا الخوارج والشيعة ولكن هذه الحركة الإصلاحية انتقلت مع توالي الأيام إلى حركة سياسية[2]،بدأت بحكم يوسف بن تاشفين منذ سنة 453هـ، ويعد أول ملك بربري حكم المغرب وكوّن جيشا قويا، اجتمعت فيه جميع القبائل المغربية.[3]

تمكن المرابطون من بسط نفوذهم علي جزء من المغرب الإسلامي والأندلس مابين 1056م/1147م وقد استولوا على تلمسان سنة 1080م[4].

والدافع الحقيقي الذي جعل المرابطين يزحفون نحو المغرب الإسلامي، هو معانات هذا الأخير من مشاكل عديدة بسبب أمراء بني وانودين الزناتيين بسجلماسةوأمراء مغراوة، وبني يفرن، فكثرت المظالم وضعف الوازع الديني الذي كان بمثابة المحرض الأول للمرابطين.كما أن هناك عامل هام، وهو عامل اقتصادي، فقدضايقهم الغانيون في تجارة الشمال والسودان وأخرجوهم من أودغشت، فاضطروا إلى استعادة مكانتهم بالزحف إلى الشمال، فكان ذالك الزحف عاملا على تكوين دولة كان لها بالغ الأثر في توجيه الحياة الاقتصادية في المغرب في إطار الحكم الإسلامي[5].

ورأى يوسف بن تاشفين أن ملكه لن يتم إلا بالقضاء على آخر إمارة زناتية آنذاك،وهي إمارة تلمسان،فدخلها سنة 472هـ/1080م، ثم استولى على وهران ثم تنس، ثم سار إلى شلف واحتلها وأخيرا مدينة الجزائر(474هـ/1082م) وأصبح المغرب الأوسط كله تحت سلطته، فتفرغ لإنقاذ الأندلس من الخطر النصاراني، فهزم هؤلاء في معركة الزلاقة الشهيرة سنة (1086/479)[6].

---

[1]- ابن أبي الزرع:الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس ، مطابع جوهانس، نورويج 1843، ص6.

[2]- محمد الطمار:المرجع السابق،ص41

[3]- حسن ابراهيم حسن :المرجع السابق، ج4 ،ص110

[4]- السيد عبد العزيزسالم: المرجع السابق، ص 296

[5]- رابح بونار: المرجع السابق،ص156

[6]- رشيد بورويبة وآخرون:المرجع السابق، ص296

لم يدخل المرابطون في صراع مع إخوانهم الصنهاجيين في بجاية وتونس، مما جعل المغرب الإسلامي ينقسم إلى قسمين، شرقي يحكمه بنوزيري وبنو حماد الصنهاجيين وغربي يحكمه المرابطون.[1]

وكان يوسف ابن تاشفين قائدا محنكا قاد الجيوش المرابطية في المغرب ببسالة، فأقام مدينة جديدة بجوار أقادير القديمة سماها(تاقرارت)، التي توحدت فيما بعد مع أقادير وأصبحت تلمسان[2].و يبدوا أن المغرب الأوسط عرف في عهد المرابطين استقرارا اجتماعيا وسياسيا.

نشطت التجارة بين مختلف أقطار المملكة وكانت بلاد المغرب الأوسط تحتل مركزا هاما بين بلاد السودان وبين الأندلس وجنوب أوربا الغربية واسترجعت تاهرت أهميتها.أما تلمسان فلا شك أنها أصبحت أهم مدن المغرب الأوسط بعد تأسيس تاقررت، وبعد أن استقر بها ولاة المغرب الأوسط من المرابطين، فازدهرت تجارتها وازدهر في عمرانها، فبنى المرابطون مساجد هامة بتلمسان وندرومة والجزائر، وشيّدوا قصورا ومنازلا فخمة بتاقرارت وغيرها.[3]

في الميدان المعماري قام المرابطون بتأسيس مدينة تاقرارت، واتخذوا لها أسوارا حصينة، ولم يبق لنا من سور تاقرارت إلا بابا واحدا، هو باب القرمادين، وشيد المرابطون بالمغرب الأوسط ثلاثة مساجد وهي: الجامع الكبير بتلمسان والجامع الكبير بالجزائر العاصمة والجامع الكبير بندرومة، وبجانب المساجد الثلاثة نجد بتلمسان نماذج معمارية أخرى نذكر منها، بناء جنائري ثماني الأضلاع يعرف بضريح الأميرة.

أما البناء المعماري الثاني، فهو حمام الصباغين الذي يمتاز بالقبة المخددة التي تعلوا الفناءوتعتمد على اثني عشر عمودا[4]. وأجمع المؤرخون على أن عهد يوسف بن

---

[1]- عبد العزيز سالم:المرجع السابق، ج2، ص 715

[2]- حسن ابراهيم حسن:المرجع السابق،ج3 ص110

[3]- رشيد بورويبة وآخرون:المرجع السابق، ص 298

[4]- نفسه، ص 351

تاشفين كان عصر المرابطين الذهبي، فقد أخذت الدولة المرابطية بالضعف بعد موته، وخلفه أمراء كانوا أقل منه حنكة وأضعف قوة وصادفتهم ظروف سيئة في الداخل والخارج عجلت بسقوط دولتهم ولاسيما بعد ظهور الدولة الموحدية على يد المهدي محمد بن تومرت[1].

7- قيام الدولة الموحدية في المغرب الاوسط:

ظهرت دعوة ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية حوالي سنة 515هـ، في منطقة السوس الأقصى الذي كان يسكنها المصامدة، وهم مجموعة قبائل من البرانس، كانوا قد عرفوا الإسلام منذ أجيال عديدة، ولكن معرفتهم هذه كانت لا تزال سطحية لقلة انتشار العربية بين أهلها[2]، يعد ابن تومرت المؤسس الروحي لهذه الجماعة وقد كان متشبثا بتعاليم الأشاعرة، وأيضا بنظريات الغزالي الكلامية القائمة على الاعتقاد في قوة خفية والارتفاع في العلم إلى مستوى العلم الإسلامي الحق[3].

غادر ابن تومرت تلمسان إلى المغرب الأقصى، وطاف بمختلف المدن ينشر تعاليمه في التوحيد، وبايعه عبد المؤمن بن علي أولا ثم تلته جماهير غفيرة خاصة حينما إدعى أنه المهدي وقد بويع ابن تومرت من قبل قبائل المغرب الاقصى، وأصبحوا بذالك طائعين له طاعة عمياء[4]. وفي سنة 516هـ بدأ ابن تومرت يناوئ سلطات المرابطين الأمر الذي أضعف قوتهم في الأندلس، ووقعت بين الفريقين معركة بحرية، وكان جيش الموحدين بقيادة محمد البشير الورنشريسي الذي قتل في هذه المعركة،وفقد ابن تومرت أكثرأصحابه الاعاشرة من زهرة جنده،واشتد به المرض فمات في سنة 524هـ[5].

---

[1]- حسن ابراهيم حسن:المرجع السابق، ج3، ص120

[2]- رشيد بورويبة وآخرون:نفسه، ص 301

[3]- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين الجزء الأول، طابعة مصر، 1303 هـ، ص 45 .

[4]- المراكشي (محيي الدين عبد الواحد بن علي) : كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب: تحقيق الأستاذان محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة 1958، ص 171.

[5]- حسن ابراهيم حسن:المرجع السابق، ج3، ص124

خلف ابن تومرت عبد المؤمن ابن علي، وكان سياسيا محنكا وقائدا ماهرا، استطاع أن يعيد للموحدين قوتهم ويرد إليهم هيبتهم، فاستولى على كثير من بلاد السوس، ولما مات علي بن يوسف سنة 537هـ، ولى من بعده ابنه تاشفين، وقد استخلف على مراكش ابنه إبراهيم، وأخذ يحارب عبد المؤمن ويتعقبه في كل مكان يحل به رغبة في القضاء على قوة الموحدين التي أخذت تنموا وتشتد. وقد سار تاشفين إلى مدينة تلمسان فدخلها، ثم أتى عبد المؤمن بن علي فخرج تاشفين إلى قتاله، واتخذ الجيش المرابطي مواقعه في السهل وربض الجيش الموحدي في الجبال المحادية له.فانهزم جيش المرابطين، ففر تاشفين إلى مدينة وهران ليتخذها حاضرة لدولته،فلحقه الموحدون وحاصروه،فلما اشتد الحصار على تاشفين صعد إلى ربوة تشرف على البحر وفي أعلاها رباط يأوي إليه المتعبدون، فقصده الموحدون وأحاطوا به وأحرقوا باب الرباط، فخرج تاشفين راكبا فرسه فأسرع لينجوا من النار طالبا النجدة، فصادفته صخرة فهوى تاشفين من فوقها بفرسه، فقتل وقتل من كان معه، واحتز الموحدون رأسه وحملوه إلى تينمل (مركز الدعوة الموحدية)وكان ذالك في شهر رمضان سنة 539هـ(1144-1145).[1]

عاشت الدولة الموحدية مترامية الأطراف ولكن ضعف روح العصبية في صفوفها وتهافت الملوك على الأطماع وانغماسهم في أنواع الترف جعلها تضعف وقد أدى هذا الضعف إلى خروج قبائل زناتة عليها، فلم يجدوا بجانبهم إلا بني عبد الواد، فاقطعوهم بلاد بني وامنوا، جزآء مؤازرتهم لهم ضد هذه القبائل المنشقة[2].

فعين زيدان بن زيان* في منصب الإمارة ورفض بنو مطهر مبايعته، و استعانوا عليه ببني راشد وحاربوه، حتى قتل خارج تلمسان في 24 ذي القعدة سنة 633هـ، فخلفه

---

[1]- نفسه،ص 124

[2]- فايزة مهتاري: المرجع السابق، ص 24.

*- زيدان بن زيان: ابن عم جابرين يوسف

أخوه يغمراسن بن زيان، فكان أول أمير أعلن استقلاله بتلمسان، ويعتبر عهده بداية الدولة العبد الوادية ونهاية عهد الموحدين بالمغرب الاوسط[1].

وانتهى مطاف الدولة الموحدية للزوال، وكما يقول ابن خلدون" إن للدولة أعمار طبيعية حالها حال الاشخاص"[2].

وفي الميدان المعماري قام الموحدون بإصلاح الجامع الكبير بتلمسان وبنوا قبة سيدي أبي مدين التي شهدت إصلاحات عديدة، بحيث يصعب علينا أن نحدد بالضبط مايرجع منها إلى العهد الموحدي، كما قاموا ببناء دارا للصناعة بمرسى هنين Honain التي ساهمت في صنع مراكب كثيرة استعملت في غزو الأندلس[3].

إن العهد الموحدي كان عنيفا في بدايته إلا أنه مافتئ أن التفت إلى العمل على الازدهار والعمران، ولكن الطابع الديني غلب عليها فلم تخلف لنا آثارا تذكر[4].

8- الدولة الزيانية:

كان بنو زيان في الأصل من أمراء القبائل الرحل الذين يتجولون في صحراء المغرب الأوسط، وينحدر بنو عبد الواد من أصل بربري من قبيلة زناتة ومن غير المنصف أن ينسب أصل يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة الزيانية إلى قبيلة قريش، قبيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم.[5]

عين يغمراسن بن زيان في عام 624هـ/1227 م عاملا على تلمسان بلاد زناتة وهو منصب لم يتوله إلى حد ذلك الوقت إلا من كان من سلالة ملكية على حد قول ابن خلدون.[6]

---

[1]- رشيد بورويبة وآخرون : المرجع السابقص 313

[2]- ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة، دار الجيل، بيروت، ص 147

[3]- رشيد بورويبة وآخرون: نفسه، ص 351 .

[4]- فايزة مهتاري: نفسه، ص 24

[5]- L'Abbé Barges : complément de l'histoire de Ben- Zeiyane roi de Tlemcen , ouvrages de Cheikh Mohamed Abdel Al Tanassy, Ernest Le Roux 28 Bonaparte,1887 p3-4

[6]- رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ص 359

استقل يغمراسن ابن زيان بالإقليم الذي يحكمه وأسس دولته التي تقع بين دولة بني حفص بالمغرب الأدنى، وبين دولة بني مرين بالمغرب الأقصى (مراكش)، اللتين استقلتا في نفس الوقت عن دولة الموحدين.

كان يغمراسن قائدا عظيما، استطاع أن يحكم تلمسان حوالي نصف قرن كما استطاع أن يحميها من الأطماع الشرسة، التي كان يبيتها لها المرينيون من بني عمومته والذين حاولوا في عدة مرات السيطرة على تلمسان.[1]

أمضى الأمير الزياني أغلب فترة حكمه في مقاومة الأعداء و خاصة جيرانه بني مرين،و قام بتحصين مدينته، وأمر سنة 665هـ ببناء أسوار شاهقة.[2]

كان يغمراسن بن زيان رجلا صعبا وبطلا شجاعا، وتاريخه كان حافلا بالمخاطر، فكان لا يخرج من حرب إلى دخل أخرى[3]طائعا أو مكرها، فتارة مع الموحدين، محاولة منهم استرجاع نفوذهم على تلمسان، وتارةأخرى مع جيرانه الحفصيين في تونس، وبني مرين في مراكش.

قد يضن البعض أن يغمراسن أثناء انشغاله بالحروب، يكون قد أهمل جانبا من الحياة الثقافية والاقتصادية والعلمية لمدينته، غير أن الأمر لم يكن كذلك،فقد أنشا هذا الأمير عمائركثير داخل تلمسان، على ما يذكره مؤرخو هذه الفترة.[4] وفي عهد الأمير يغمراسن بلغت تاغرارت أقصى اتساعها، وفرضت نفسها كمدينة رسمية وعسكرية وسكنها الملك وقصره مجاور للجامع الكبير وأصبحت مدينة أقادير حيا شعبيا تربطها بسكانها ذكريات غالية.[5]

---

[1]– بن أبي الزرع (علي بن محمد الفاسي) : الأنيس المطرب القصاص في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينو فاس) نشره Tornberg، أبسال، 1843، ص123

[2]– ابن خلدون يحي: بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواج، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر ، المكتبة الوطنية، ص123

[3]– عطاء الله دهينة: الجزائر في التاريخ العهد الاسلامي، ج3،ص 360

[4]– طرشاوي بلحاج:المآذن الزيانية والمرينية في تلمسان دراسة تاريخية. رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية،ص11

[5]– عطاء الله دهينة: المرجع السابق، ج3، ص 262

وقد أمر الأمير ببناء مئذنتين في كل من الجامع الكبير وجامع أغادير ولحسن الحظ لا تزال هاتان المئذنتان قائمتان حتى يومنا هذا. ويعتبر هذان البرجان المشيدان في القرن الثالث عشر من أجمل مباني المدينة، وللنمط المعماري في المسجد والمئذنتين قيمة تاريخية كبيرة لأننا نجد نفس النمط في الأندلس وسوريا، وهذا ما يدل على نقوى يغمراسن واهتمامه بإكمال أشغال المباني التي بناها أسلافه. واقترح عليه بعض المقربين إليه كتابة اسمه على المسجد فأجابهم بقوله" سيعلمه الله" وكان تقواه وكرمه واسعين،[1] كما أحدث بعض التعديلات على المسجد الكبير وابتنى قصرا جديدا لسكناه داخل المشور بعد أن هجر القصر القديم بجوار المسجد.

وشيد يغمراسن قصر المشور الذي سكنه وأدار شؤون دولته من داخله.وكانت جدران هذا القصر أو على الأصح هذه القلعة متصلة داخليا بالصور الجنوبي للمدينة وقد عاشت فيه الأسرة الملكية في أبهة وبذخ عظيمين.

و توفي المؤسس الحقيقي لدولة بني زيان تاركا وراءه جولات سياسية ومعارك طاحنة مع جيرانه من بني حفص وبني مرين ومدينة من أعظم مدائن المغرب في ذالك العصر تعج بالعلماء الصلحاء، وتنافس بقصورها ومنازلها الفخمة ومساجدها ومدارسها أعظم المدن آنذاك" فهذه قصور شامخة، وهذه مدارس أنيقة ومساجد فسيحة مزخرفة، وتلك متنزهات جميلة، وهناك دور رفيعة، وحصون منيعة، ومصانع عجيبة، وحدائق غناء،.....[2]

9- الحصار الطويل:

إن يغمراسن السلطان الطاعن في السن وهو في فراش الموت حذر ولي العهد عثمان بقوله: " إعلم يابني أن الأمر أصبح في مقاومة المرينيين، أما أنا فقد حاربت كي أتفادى العار، لا تذهب لمنازلتهم،إلا إذا قدموا لمحاربتك، أمكث وراء أسوار المدينة وركز جهودك على غزو المحافظات الحفصية المجاورة لمحافظاتنا وذلك عن طريق الجيوش

---

[1]- نفسه، ص 263

[2]- عبد الرحمان الجيلاني:المرجع السابق ص251.

التي تتوفر لك، وبذالك تستطيع أن تصمد في وجه أعدائك، وربما تسقط إحدي القلاع الشرقية تحت سلطتك وتصبح مخزنا لكنوزك"[1]. ولقدكان ولي العهد أبو سعيد عثمان شهما وحسن السياسية والتدبير[2].

وكان أول ما بدأ به ملكه، أنه عمد إلى جيرانه من بني مرين وعقد معهم العهود والمواثيق وترك منجزاتهم عملا بوصية أبيه، وعزم على توسيع ملكه باتجاه الشرق.[3]

ولكن أطماع المرينيين كانت شرسة، فقدموا إلى تلمسان من فاس في عهد أبي سعيد عثمان وحاولوا انتزاعها منه ولكنهم لم يفلحوا.وفي سنة 698هـ /1293م سار أبو يوسف يعقوب السلطان المريني إلى تلمسان وأحاط بها عسكره[4] وحاصرها حصارا دام ثمان سنوات وثلاثة أشهر، و ذكر ابن خلدون:" ليس هناك سكان عانوا من الآلام بالقدر الذي عان منه سكان مدينة تلمسان".

عانت تلمسان في هذه المرحلة آلام الجوع، وغلاء السلع ونذرتها، بينما كان الخير وافرا في معسكر المربنين،وعند حلول فصل الشتاء من نفس العام قام سلطان بني مرين أبو يعقوب ببناء قصر ومسجد كبيرين في مدينته التي سماها المنصورة[5]، وقام على ذلك سنين لايغادرها ولايراوحها، وربض بتلمسان لا يغادرها كالأسد الضاري إلى أن هلك أبو يوسف يعقوب[6]، وفي تلك الأثناء كانت الجيوش المرينية تجوب البلاد وتعزل الحكام وتضم المحافظات إلى مملكة فاس.

ولم يحل ربيع سنة 707هـ/1307م إلا وكانت مدينة تلمسان قد أوشكت على السقوط تحت سيطرة الجيوش المرينية، غيرأن اغتيال السلطان المريني أبا يعقوب

---

[1]- عطا الله دهينة: المرجع السابق، ص 370

[2]- ابن خلدون أبو يحي زكرياء: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الحميد حاجيات، إصدارات المكتبة الوطنية 1400-1980، ص 208.

[3]- عبد الرحمان ابن خلدون: المصدر السابق، ج13، ص181.

[4]- يحي ابن خلدون: المصدر السابق ، ص 207

[5]- عطا الله دهينة: المرجع السابق،ج،3 ص380

[6]- يحي ابن خلدون : نفسه ، ص 208

يوسف وقيام خليفته أبي ثابت، عجل برفع الحصار على المدينة، و عاهدالتلمسانيين ضد أعداءه في مراكش.[1]ومن ثم أصبح باعث الدولة الحقيقي هو أبو حمو موسى الأول، فبسط نفوذه على القبائل المتمردة المسماة توجين ومغراوة المقيمة على سهول الشلف والجبال المجاورة على الجهة الشمالية والجنوبية. ووصلت جيوشه المظفرة شرقا حتى بجاية وقسنطينة اللتان كانتا وقت ذاك تابعتن للملكة الحفصية، كما أن هذه الجيوش منعت قوات المرينيين من تجاوز مدينة وجدة غربا.[2]

كتب يحي ابن خلدون يصف الأمير أبا حمو موسى الأول:"كان ملكا شهما شبه بالسيف الذهب، كان بطلا شجاعا وأسدا مقداما لا يقهر....."، ولكن يقال عليه كذالك أنه كان يسيئ معاملة أقاربه، وحاشيته ولم ينج ابنه أبوتاشفين من سوء معاملته وقسوته[3].

كان أبو حمو موسى الأول مع فضاضه ودماثة أخلاقه، صاحب آثار جميلة وسيرة حسنة، محبا للعلم وأهله، فقد نزل في رحاب سلطانه العالمان الجليلان ابنا الإمام، فأحسن وفادتهما،وشملهم برعايته، وبنى لهما مدرسة،لم يبق منها إلا المسجد ومنارته،الذي كان يقوم بجوار المدرسة وهو المعروف بمسجد أولاد الإمام[4].

كان أبوتاشفين الأول خامس ملوك الأسرة الزيانية، جلس على العرش سنة 718هـ/1318م، عندما اغتال أباه لكي يستولي على الحكم، ومنذ بداية حكمه نفى إلى الأندلس كل أفراد أسرته الذين قد يطالبون بالعرش.

كان هذا الرجل حذرا ومتحررا، وباستثناء بناء مئذنة المسجد الكبير للجزائر العاصمة التي شرع في بناءها سنة 1322م، لذا نجد له أي بناء آخر أو إصلاح المساجد.[5]وقد أمر ببناء مدرسة سميت إحياءا لمؤسسها بالمدرسة التاشفينية.

---

[1]- نفسه، ص 207

[2]- عطا الله دهينة:نفسه، ص 384

[3]- عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الثاني حياته وآثاره، ط1 الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص12

[4]- محمد بن عبد الله التنسي: مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعياد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1985، ص139.

[5]- عبد الرحمان ابن خلدون: المصدر السابق ،ص7

استمرت محاولة المرينيين للسيطرة على تلمسان، حتى سقطت في أيديهم سنة 737هـ/1337م في أيدي بني مرين على يد أبي الحسن علي بن عثمان المريني.وظلت مدة إحدى عشرة عاما تحت حكم المرينيين، ولم تتخلص من سيطرتهم إلاسنة 740هـ، واستعادها بنو عبد الواد [1].

وانشغل أبو الحسن بالجهاد ضد الأسبان، ووصل إلى تلمسان سنة 736هـ، 1335م. ومن أعمال أبي الحسن في تلمسان،إعادة بناء المنصورة وترميم مسجدها، ولا تزال آثارالمدينة والمسجد قائمة إلى يومنا هذا.

بنى أبو الحسن مدرسة كبيرة بالعباد بقرب ضريح الولي الصالح سيدي أبومدين وهي آية من آيات الفن المعماري في الجزائر عامة[2].

إن أبا عثمان سعيد العبد الوادي استرجع مملكة آباءه ودخلها سنة 749هـ، وما فتئ أن قام أبو عنان بن أبي الحسن المريني بالاستيلاء عليها سنة 753هـ/1351م. وقد كان اللقاء بين أبي عنان والسلطان المريني أبي سعيد عثمان في سهل" أنكاد"،فانهزم بنو عبد الواد وأسر ملكهم عثمان ثم قتل، ولم يدم حكم بني مرين بتلمسان طويلا، إذ ثار أهلها عليهم،وشقوا عصا الطاعة،ثم تولى أبو حمو علي بن أبي زيان إمارة تلمسان[3]وجدد الدولة الزيانية أبو حمو موسى الثاني وتمت مبايعته في 8 ربيع الأول 760هـ الموافق لـ7 فيفري 1353م بعد أن استطاع أن يخلص تلمسان من أيدي بني مرين.[4]

أحيا الأمير المولى أبو حمو أمر دولته، وأعاد لبني عبد الواد عزهم، وهو الذي أطلق لقب الدولة الزيانية على حكومته بعد انبعاثها، بدل النسبة العبد الوادية، التي كانت اشتهرت بها قبل ذالك[5]، وقد استعادت تلمسان مكانتها المرموقة، وأصبحت مركزا تجاريا

---

[1]– عطا الله دهينة: المرجع السابق، ص 385

[2]– عطا الله دهينة: نفسه، ج3 ص 389

[3]– سيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص 874

[4]– عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق، ص87

[5]– عبد الرحمان الجيلالي : المرجع السابق، ص 182

هاما، يقصده التجار من المسلمين والمسيحيين على السواء، كما كانت مركزا للقوافل التي تمر بها، على تافلالت والسودان،كما شيدت فيها المدارس والقصور.....ولكنها سرعان ما أصبحت تعيش اضطربات، نظرا لتكالب أمرائها على السلطة[1].مما أدى إلى دخول قبائل الحصين من المعقل إلى بسائط تلمسان، بعد أن فشل أبو حمو في الاستيلاء على بجاية،[2] وبوفاة أبو حمو الثاني، انتهى عصرهام من عصور الدولة الزيانية، حاولت في هذه الأثناء أن تستعيد عزتها وقوتها.

وكان عهد أبي حمو الثاني فترة حاسمة في تاريخ المغرب الأوسط، تعرضت فيه الدولة الزيانية إلى أخطار جسيمة، ولكن بعد وفاة هذا الأخير في أواخر سنة 765هـ،أخذت الأحوال تضطرب وانتشرت الفوضى،[3]وتعرضت تلمسان للغزو الحفصي في سنة870هـ1465م إلا أنها بقيت تحت حكم بني عبد الواد إلى أن ظهر الأتراك على مسرح الأحداث، وتمثل مرحلة الحكم الزياني آخر المراحل التي حكمت فيها الدويلات قبل سقوط وهران في يد الأسبان، ثم تدخل الأتراك في الجزائر، وانتهت بذالك فترة من أروع الفترات وأفجعها.[4]

10- الاحتلال الاسباني لوهران:

سقطت غرناطة سنة 1492م في أيدي النصارى الإسبان معلنة نهاية الأندلس، فهاجرالى وهران عدد كبير من مسلمي الأندلس و استقروا بها.[5] خلف الملك الراحل أخاه أبا زيان الثالث المسعود،ثم خلفه عمه أبو حمو الثالث أمير تلمسان سنة 909هـ - 1503م، و في عهده بدأت هجمات البرتغاليين و الإسبان على وهران والمرسى الكبير

---

[1]- سيد عبد العزيز سالم : نفسه، ص874

[2]- حسن مؤنس: المرجع السابق، ص 140

[3]- عبد الحميد حاجيات: نفسه، 422

[4] - Amar Dhina: cites musulmanes d'orient et d'occident, sned, alger p234

[5]- خرواع توفيق: دراسة فنية أثرية لجامع الباشا بوهران،رسالة ماجستير، الثقافة الشعبية،2000،ص24.

بصفة مركزة،و استولى الإسبان على المرسى الكبير سنة 1505م على يد الكردنال خمينيس دى سيسنيروس، ثم احتلوا موانئ بجاية و الجزائر و شرشال و هنين[1] .

ولم يكتف النصارى بدحر المسلمين إلى ما وراء البحر فأبوا إلى أن يستولوا على المغرب العربي بنية حمل أهله على اعتناق الدين المسيحي قسرا،كما كان الإسبان يخافون من أن يعيد المسلمون الكرة من جديد.[2]

حول الاسبان مسجد وهران الكبير إلى كنيسة وأطلقوا عليها اسم كنيسة القديس ميكائل[3]. في سنة 1509 أتم الكاردينال كزيمنيس استعداداته العسكرية وأبحر بنفسه في منتصف شهر ماي صحبة القائد بيدرو نافارو على رأس خمس عشر ألف رجل فنزل بالمرسى واتجه إلى مدينة وهران واستعان ببعض الخونة من سكانها ففتحوا له أحد أبواب المدينة غدرا وخديعة فاقتحمها هو وجنوده وهاجموا السكان بوحشية لا نظير لها وقتلوا أربعة ألاف رجل وأسروا ضعفهم وأسالوا الدماء.

وقام الإسبان بتخريب المساجد وبنوا بحجارتها كنائسهم واستبدلوا المآذن بالأجراس، ونظمت إسبانيا حملات أخرى بقيادة بييدرو نا فرو لاحتلال بقية المدن فاستولى على مدينة بجاية سنة 1510م، ثم سقطت دلس وشر شال ومستغانم في أيديهم سنة 1511.[4]

أخذ الحاكم الإسباني يواليى جهوده بواسطة الخونة من العرب المحيطين بالمرسى الكبير لبث بذور الفتنة و الشقاق بين المسلمين ببذل الإعانات المادية والأدبية لمن يتعلق بأياله وقد نجحت مساعيه.

ثار على أبو حمو الثالث أبو زيان السعيد يحيى الثابتى أخو المسعود السجين حيث كان المسلمون يستعدون للجهاد ليستردوا ما امتلكه الإسبان فدخل تنس واستبد بها تحت حماية إسبانية، فجهز أبو حمو الثالث جيشه لقتال ابن أخيه كما جهز يحيى لقتال عمه، فلما

---

[1]– عبد الحميد بن اشنهو: دخول الأتراك العثمانيون إلى الجزائر، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر،1972،ص15

[2]– محمد الطمار: المرجع السابق،ص231.

[3]– محمد الطمار: المرجع السابق، ص253

[4]– علي عبد القادر حلمي: مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830،ط1،المطبعة لدار الفكر الإسلامي،ص161.

كان على وشك الانتصار توقف جيشه عن القتال فثبت يحيى في تنس ورجعت جموع أبو حمو الثالث إلى تلمسان وحارب أبا حمو الإسبان مرارا ولكنه عجز عن مقاومتهم [1].كما أرغم الإسبان أبو حمو على الإعتراف بهم وقبل أن يدفع لهم جزية شتوية بمبلغ 12 ألف أوقية ذهبية و 12 فرسا و6صقور،[2] فغضب الشعب التلمساني على أبو حمو لأهانته للإسلام باحتمائه بالنصارى وإثقال كاهلهم بالضرائب لاسترضاء سيده حاكم وهران.[3]

11- دخول العثمانيين الى المغرب الاوسط:

كان المهاجرون الأندلسيون ينشرون الأخبار الطيبة في الأوساط الجزائرية عن الإخوة بربروس فذاع صيتهم وتكونت بذالك سمعة حسنة للأتراك في نفوس سكان مدينة الجزائر من العرب و البربر الذين يرفضون سياسة الغالبة ونفوذ الخونة وتصرفاتهم فانتدب أغلب سكان المدينة رسلا إلى مدينة جيجل التي كانت بيد الإخوة بربروس يطلبون الحماية من عروج وخير الدين وما كان لسالم التومى أن يعارض في رأى الأغلبية.[4]

وفى سنة 1516 م جاء الإخوة الأتراك الثلاث "عروج وخير الدين وإسحاق" إلى مدينة الجزائر بعد أن استنجد بهم سكان جيجل ضد قلعة البيون الإسبانية، وكان هؤلاء الإخوة الثلاثة على دراية بأطماع اسبانيا في بلاد المغرب الإسلامي، ورأوا جهودهم الأساسية هي تحرير هذه البلاد من السيطرة الإسبانية. و بعد أن إستقروا في مدينة الجزائر وأخضعوها، إتجه عروج إلى مدينة تنس ليصفي الحساب مع أميرها المتآمر مع الإسبان فتم له ذلك سنة (923هـ/1517م)؛ ثم إتجه إلى تلمسان لنفس الغرض بعد أن ترك أخاه إسحاق بقرية سيدي راشد على رأس 500 جندي،[5] و بدعوة من أهالي تلمسان دخل إليها عروج مسالما و كان يحكم تلمسان أنذاك السلطان أبو حمو موسى الثالث و فعلا ولج عروج إليها في نفس السنة ونصب على عرش تلمسان السلطان المخلوع أبا

---

[1]- محمد الطمار: نفسه،ص332

[2]- أحمد توفيق المدني: حرب الثلاث مائة سنة، بين الجزائر والإسبان 1792/1492، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ج2، ص203.

[3]- محمد الطمار: المرجع السابق،ص332

[4]- علي عبد القادر حلمي: المرجع السابق،ص163

[5]- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق،ص184

زيان الثالث والذي رمى به أبو حمو موسى الثالث في السجن وقفل عائدا إلى الجزائر ولكن الإسبان وأنصار السلطان المخلوع أضرموا نار الفتنة فأمر عروج بقتل أبي زيان الثالث وأنصاره، و بعد صراع بين أبي حمو موسى الثالث و عروج قتل هذا الأخير مع جماعة من جنوده في عام 924 هـ- 1518م،[1] ودخل إلى تلمسان عشرة آلاف من الإسبان ليعيدوا عبدهم وصنيعهم أبو حمو الثالث إلى العرش الذي تداعى بنائه و إنهارت أركانه[2] واجتمع مشايخ و زعماء الجزائر لمناقشة الموقف بعد إستشهاد عروج و قرروا أن يسندوا إلى خير الدين واجب إمارة الجهاد بعد أخيه و ألحوا عليه في ذلك ولكنه اعتذر عن قبول الإمارة وبعد إلحاحهم الشديد قال إنه لابد من التعاون مع الدولة العثمانية و حاكمهم سليم خان الذي سوف يعتمدون عليه في حماية هذه المدينة.

ولا يتم ذالك إلى ببيعته و الدخول تحت طاعته والدعاء له في الخطبة على المنابر وضرب السكة باسمه، فقبل المشايخ والزعماء ذلك ورضوا به وهكذا قرر الجزائريون أن تكون بلادهم جزءا من الدولة العثمانية، ووافق خير الدين على البقاء مؤقتا حاكما لهذه الدولة حتى يتخذ السلطان العثماني قراره فيما عرضه عليه أهل الجزائر ويمدهم بما طلبوه من دعم. فرحل وفد إلى القاهرة حيث كان السلطان سليم مقيما لتنظيم البلاد وقابل الوفد الذي كان يرأسه الحاج حسين.[3]

ولم تنتهي الصراعات المتكررة إلا أن انتهى الأمر بدخول الأتراك وانتزاعهم الملك من بني زيان عام 962هـ-1555م واستمرت في أيديهم إلى أوساط المائة الثالثة عشر أي مدة ثلاثة قرون ولم يخلف لنا الأتراك معالم كثيرة أثناء تواجدهم بتلمسان إذ استثنينا مسجد سيد اليدون، وضريحين بقرية عين الحوت لسيدي عبد الله بن منصور وسيدي محمد بن علي وضريح لالا الرويا وكذلك عمليات ترميم ضريح سيدي أبي مدين

---

[1]- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص79

[2]- محمد الطمار: المرجع السابق، ص235

[3]- بن بلة خيرة: المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراة،معهد الآثار، الجزائر،ص25

وسقف مدرسة العباد ومسجد سيدي إبراهيم المصمودي وسيدي لحسن بن مخلوف الراشدي.[1]

ولم يزل سكان وهران وما جاورها يستصرخون ولاة الجزائر وقادتها ويبعثون فيهم الحماس لإنقاذهم من نيران الإسبان حتى هب لنجدتهم الداي محمد البكداشي فجهز لغزوها جيشا يحتوي على ثمانية ألاف وخمس مائة جندي نظامي منهم طلبة العلم وتلامذة المعاهد والزوايا وخرجت الكتائب في السفن يقودها حسن الوزان صهر الداي في 1119هـ-1707م، وكان على رأس الجيش الحاكم بايلك الغرب مصطفى بن يوسف بو شلاغم المستاري الذي اتجه بالجيش إلى وهران وعندما وصال إليها حاصرها ببرج العيون.[2]

نهض الشعب واسترجع وهران في عهد الباي مصطفى بو شلاغم سنة 1120هـ - 1708م[3]، وعلى إثر هذا الانتصار العظيم نقل الباي بو شلاغم عاصمة البايلك من معسكر إلى وهران وشرع في تجديد عمران المدينة الجديدة ودعم مدركه فيها وفي باقي جهات الغرب الوهراني إلا أن فرحته لم تكتمل فقد عاد الإسبان إلى وهران مرة أخرى بقوات ضخمة تعد بثلاثين ألف رجل وخمسمائة وخمسة وعشرون سفينة وسبع مائة وعشرون مدفعا وكميات هائلة من الذخائر الحديدية في جوان سنة 1145هـ-1732م إلا أن عدم تكافؤ القوتين أرغم الباي بوشلاغم على الإنسحاب من المدينة وإخلائها في شهر جويلية من نفس السنة عائدا إلى معسكرفتأسف الناس جميعا لذلك وكان من ضمن ما أوخذ عليه الباي بوشلاغم هو عدم تحطيمه وتخريبه لحصون المدينة التي وجدها الإسبان جاهزة عندما عادوا إليها واستعملوها بسرعة في تدعيم مواقعهم وتحصينها.[4]

---

[1]- محمد بن ميمون الجزائري: التحفة الرضية في الدولة البكداشية، مطبعة الجزائر،1981،ص253.

[2]- [2]- محمد بن ميمون الجزائري: نفسه، ص254

[3]- محمد الطمار: المرجع السابق، ص243

[4]- توفيق خرواع: المرجع السابق،ص33

لقد فارق الباي مصطفى بوشلاغم الحياة دون تحقيق الفتح لاسترجاع وهران وقد خلفه الباي المجاهد محمد بن العثمان الكردي المعروف بمحمد الأكحل لشدة سمرته وولاه الباشا محمد بن عثمان سنة 1779م على أمر باليك الغرب لما توسمه فيه من فضائل الشهامة والصدق والحزم والإجابة للرغبة العامة التي أبداها أهل تلك الناحية.[1]

وفي ليلة ما بين 8و9 أكتوبر سنة 1790اذ ضرب مدينة وهران زلزال عنيف جدا حطم منازلها ومات تحت الأنقاض ثلاثة ألاف نفر من سكانها وجندها ومن بينهم دون نيكولاغارسيا فتحطمت بذالك معنوياتهم وضعف مركزهم وقوتهم فاستغل محمد بن عثمان الفرصة حتى وصل عدد القتلى الاسبان الى1526 رجلا ولم تتوقف هجمات الباي حتى ضاع أمر اسبانيا وخابت أمالها من الاحتفاظ بالمدينة ودخلها المسلمون يوم 29فبراير1792م بعد استعمار دام 260سنة بدا الانسحاب الاسباني من هران فسارعت اسبانيا بعد ذالك إلى إبهام معاهدة صلح مع الباشا بابا على لسان ملكها كارلوس الرابع ثم قام الباي بعد ذاك بنقل مركز حكومته إلى وهران نهائيا وهاجر إليها كثير من سكان المدن المجاورة حتى من وجدة وفاس ومكناس.

لم تدم فرحة الجزائريين سوى ثمان وثمانين سنة حتى توالت الأحزان بتوالي المستعمرين سنة 1831م وأذاق الجزائر ويلات القمع والهوان إلى أن رأت فجر الحرية.

---

[1]– أحمد توفيق المدني: محمدعثمان باشا داي الجزائر،1791،1766،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1986،ص140.

الفصل الأول

عمارة المدينة

تعريف المئذنة:

المئذنة عبارة عن برج مرتفع يعلو من فوقه صوت المؤذن إعلانا بحلول وقت الصلاة عن طريق النداء ودعوة المسلمين إليها في أوقاتها الخمس وبوم الجمعة، والآذان أصل المئذنة وهي مكانه وهو مرتبط أساسا بمساحة السمع[1].

ولقد تعددت الآراء حول ظهور فكرة الآذان، وورد في صحيح البخاري عن ابن عمر أنه كان يقول: "كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة، ليس ينادي لها، فتكلموا يومًا في ذلك فقال بعضهم نتخد ناقوسًا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم بل بوقًا مثل قرن اليهود، فقال عمر: أولا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بلال قم فناد بالصلاة"[2].

المئذنة من خلال المصطلح ذات وظيفة دينية وهي الإعلام بحلول وقت الصلاة، ولم يظهر هذا المصطلح إلا بعد الفتح الإسلامي لبلاد الشام ومصر وبداية بناء أولى المآذن في العالم الإسلامي في كلّ من دمشق ومصر.

تؤدي المآذن عدة وظائف، منها الدعوة إلى الصلاة، كما سمحت عمارتها وارتفاعها الشاهق لتؤدي وظائف أخرى فاستعملت للأغراض العسكرية كمراكز للمراقبة، فقد سمح ارتفاعها برؤية الجيوش الأعداء من مسافات بعيدة.

ولهذا نجد أنه يطلق عليها اسم "العساس" في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس وقد استعملت ثلاث مصطلحات في اللّغة العربية كدلالة على المئذنة: المئذنة، الصومعة، المنارة.

---

[1]- عبد الكريم عزوق: القباب والمآذن في العمارة الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية 1996، ص 47.

[2]- ابن حجر العسقلاني: شرح صحيح البخاري، طبعة بيروت 1976، كتاب الآذان، باب بدأ الآذان، ج2، ص 77

فالمئذنة كلمة مشتقة من فعل الآذان، وهو النداء للصلاة، وجمعها مآذن، أذن إليه والآذان بالشيء علم به، وآذن تأذينًا بالصلاة وأعلم بها ودعا إليها[1]، الأذن عضو للسماع، والآذان للإعلام[2].

وسميت المئذنة بهذا الاسم، نظرًا لإلقاء الآذان منها على الناس.

أماالصومعة فمأخوذة من الصوامع التي كان ينقطع فيها الرهبان المسيحيين في صحراء شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام.

وكانت كنيسة دمشق التي بنى فيها الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك المسجد الأموي، تقوم في أطرافها أربعة أبراج، يعود أصلهما إلى معبد وثني يوناني، ويستعمل سكان المغرب الإسلامي لفظ الصومعة للدلالة على المئذنة ولذلك شاع استعمالها في الجناح الغربي للدولة الإسلامية، وسميت بهذا الاسم لأنها تشبه طراز أبراج الرهبان والزهاد، ولا زالت التسمية مستعملة إلى يومنا هذا في بلاد المغرب العربي.

أمّا المنارة فقد استعملت للدلالة على المكان الذي فيه نار ويعطي ضوءًا للسفن، وكانت في نفس الوقت تعطي إشارة عند تحركات الأعداء، وذكر ماركس. ف بارشام إلى وجود ثلاث مجالات لاستعمال المنار منها المهرجانات الدينية، والعمارة، واللّغة.

وقد ورد هذا الاسم في دائرة المعارف الإسلامية، فقد استعملت اللفظة للدلالة على "المآذن" كاصطلاح عرف في شمال إفريقية: وأوّل إشارة له كان في مئذنة القيروان.

ولقد أعطت المئذنة للمساجد طابعًا خاصًا وعرفت تطورًا عبر الزمن وذلك من منطقة إلى أخرى.

---

[1]-Lucien GOLVIN.: Essai sur l'architecture religieuse musulman. Tome I (généralités) Edition Klincksreck, paris 1970, p:25.

[2]-CRESWELL (K.A.C): Early muslim architecture, umayyads, A.D. 622- 750 vol I , part II, Clarendon press, oxford, 1969, p:38.

أصل أوّل مئذنة في الإسلام:

أختلف مؤرخو الإسلام اختلافًا كبيرًا في تحديد أصل أوّل مئذنة في الإسلام، ومصدر اشتقاقها المعماري. فيرى الكثير من المستشرقين أنها مأخوذة من الصوامع المربعة للكنائس التي كانت منتشرة في بلاد الشام.

فالمئذنة إذ تقليد للأبراج المسيحية، وهي تحتوي على حجرة صغيرة تستعمل للنداء للصلاة، ثم أصبحت المئذنة تمثل المظهر الخارجي المرئي للجامع، وهي تقوم في أحد أركان كان المسجد ذلك لأن المسلمين قد حولوا الكثير من الكنائس إلى مساجد كما حدث في المسجد الأموي بدمشق[1].

وفي هذا الصدد يقول كروزويل: "بأن مآذن المسجد الأموي هي أوّل مآذن في الإسلام وكانت عبارة عن أبراج المراقبة أيام الرومان، ولم تكن هذه الأبراج مرتفعة ارتفاعًا كبيرًا وكان كلّ برج في زاوية معينة"[2].

أمّا شاخت فيقول:" إن المآذن تتألف من درجات خارج البناء تعود إلى أحد زوايا سطح البناء حيث تنتهي إلى غرفة صغيرة تسمى غرفة الجوسق (Lanternon structure) على رأس النهاية ويطلق على هذا النوع (minaret stair cose)"[3].

ويرى الأثريون الأوائل أن أصل المئذنة يرجع إلى تقليد المعماريين المسلمين لأبراج الرومانية في معبد دمشق، وهناك من المؤرخون من يرى أنها مشتقة من أبراج الحراسة والمراقبة، أو أبراج العبادة في الهند والجزيرة العربية أو المنارات القديمة. ويعتقد كروزويل أن المآذن في المسجد الأموي بدمشق هي أوّل المآذن في الإسلام.

وإذا تتبعنا المآذن الأولى في الإسلام ورتبنا ظهورها ترتيبًا زمنيًا يتبين لنا أن أوّل مئذنة في الإسلام هي مئذنة جامع البصرة باعتبار أن جامع البصرة أوّل مسجد شيد بعد

---

[1]- صالح بن قربة: المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص 10.

[2] –Creswell: op cit, p: 128.

[3] –Schact. j: Art oriental v2, , p: 99

الفتح الإسلامي في العراق، وإذ كنا لا نملك أي نص يثبت وجودها، وثاني مئذنة هي مئذنة جامع عمرو بن العاص في الفسطاط وهي أربعة صوامع أمر ببنائها مسلمة بن مخلد 53هـ/672م والتي لم يصلنا منها أي أثر، وثالث المآذن هي مئذنة مسجد الجامع الأموي بدمشق التي أقامها الوليد بن عبد الملك بجامعة سنة 86هـ/705م، ورابع المآذن هي مآذن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة التي بناها عمر بن عبد العزيز سنة 88هـ/ 706م، وخامس مئذنة هي مئذنة جامع القصبة بالرملة التي بناها هشام بن عبد الملك سنة 105هـ/ 723م، ثم تأتي سادس مئذنة وهي مئذنة جامع القيروان التي بنيت في عهد هشام بن عبد الملك أيضًا.

والملاحظ أن المآذن الأولى التي أقيمت في القرن 1هـ/7م اندثرت كلها ولم تبقى قائمة إلاّ مئذنة جامع القيروان التي تعتبر أقدم المآذن في العالم الإسلامي.

ويمكن القول أن المئذنة ظهرت في بداية الأمر في المشرق بلاد الإسلامي ثم انتقلت إلى بلاد المغرب الإسلامي والأندلس، ولقد أثر الشكل المعماري لمئذنة القيروان تأثيرًا واضحًا على كثير من المآذن المغربية والأندلس كمئذنة جامع قرطبة التي أقامها هشام بن عبد الرحمن وكانت مربعة القاعدة وفقًا لأساسها التي ما يزال واضحًا في الوقت الحاضر[1]، ويرى عبد العزيز سالم أنّ منارة الإسكندرية، قد أثرت في نظام بعض المآذن في المغرب والأندلس سواء من حيث النظام الداخلي، ويعتمد في ذلك على الدعامة المركزية المربعة التي يلتف حولها الطريق للصاعد بغير درج والغرف الموزعة، ثم يضرب مثالاً عن ذلك بمئذنة جامع القيروان التي تتكون من ثلاث طوابق كمنارة الإسكندرية، بالإضافة إلى بعض الأدلة المعمارية كالميل الخفيف للجدران إلى الداخل كلما ارتفعت وكذا القبة العلوية التي تتوج الجوسق العلوي، وأمّا تأثير منارة الإسكندرية في المآذن الموحدية فيمكن أن نلمسه من خلال الممر الصاعد في الغرف المتراكبة بالدعامة الوسطى، ويعتقد أن هذا التأثير ثم عبر طريق الإسكندرية والتي كان يمر بها طلاب العلم

[1] –Henri Sterlin: l'architecture de l'islam, de l'atlantique au Gange paris ,Ed, société Française du livre 1979, office du livre Fribourg, p. 75.

والحجاج والتجار القادمين من المغرب والأندلس، وكان منار الإسكندرية أهم المعالم الرئيسية حتى القرن 8 هـ ولهذا لا نتعجب أن نرى صورة هذا المنار تسللت إلى بعض مآذن المغرب الإسلامي.[1]

تطور الفن الإسلامي:

في صدر الإسلام كان عصر النبي البداية للإرهاصات الأولى للفن الإسلامي، فقد بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده في المدينة المنورة، ثم بنى المسلمون مدينة الكوفة والبصرة وأقيمت بهما المساجد الأولى في الإسلام، ثم انشغل الخلفاء الراشدون بالفتوحات العظيمة التي وطدت قدم الإسلام في بلاد خارج الجزيرة العربية مما كان له الأثر الكبير في نشر الحضارة العربية في البلاد المفتوحة وفي الخلافة الأموية،.

كان الأسلوب الأموي من أوّل الأساليب أو المدارس في الفن الإسلامي واتخذوا مدينة دمشق عاصمةً لهم، أي عاصمة العالم الإسلامي حينذاك، وكانت السيادة الفنية في عصرهم للأساليب الفنية التي سادت سورية، وتأثر الفن المعماري الإسلامي بالأساليب الفنية للبلاد التي حكموها على يد الصناع اللذين كانوا يستقدمونهم من الشام ومصر وقد حدث أن انتقلت هذه الأساليب الفنية الأموية إلى الأندلس حتى بعد أن زال ملك بني أمية في المشرق، ذلك لأن هذه الإقليم خرجت عن سلطة الدولة العباسية وقامت فيه دولة أموية لها أسلوب أموي عربي احتفظ بمعظم الأساليب الفنية التي كانت سائدة في بلاد الشام، كما ظهر التأثير الأوروبي الإسباني على الفن الإسلامي في الأندلس[2].

---

[1]- السيد عبد العزيز سالم: التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامي في مجال فنون العمارة الزخرفية: بحث ألقي في ندوة العلاقات المغربية المصرية، القاهرة 1989م تحت الطبع.

[2]- محمود وصفي محمد: دراسات في فنون العمارة العربية الإسلامية، دار الثقافة للطابعة والنشر بالقاهرة، 1980، ص 40.

أشكال المآذن في العالم الإسلامي:

إن المئذنة التي أعطت للمساجد طابعًا خاصا ومميزا يختلف طرازها من عصر إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى، فهناك المئذنة المربعة والمئذنة المثمنة الأضلاع والمئذنة الأسطوانية والمخروطية والمئذنة الحلزونية.

فبالنسبة للشكل المخروطي، فهو ميزة امتازت بها بلاد فارس، أمّا الشكل المربع فانتشر في بلاد الشام والمغرب، والأندلس، في حين انتشرت المآذن الأسطوانية الشكل المزودة برؤوس مخروطية مذببة (قلمية الشكل) عند الأتراك، وفي مصر اتخذت المآذن أساليب متعددة توجد في العصر المملوكي، واتخذت طابعًا مصريًا، بينما شاع في مصر العثمانية طابع المئذنة القلمية الشكل ويمثل ذلك في مئذنة جامع سنات باشا بالقاهرة[1].

التخطيط المعماري للمئذنة:

تتكون المئذنة عادة من قاعدة وهي المسقط الأرضي لها يقوم على هذه القاعدة بدن المئذنة وكما يكون شكل القاعدة يكون البدن، فإذا كانت القاعدة مربعة يكون البدن مربعًا أيضًا وهكذا، ثم يعلو البدن الجوسق وهو البرج العلوي من المئذنة، وفيه يقف المؤذن للنداء للصلاة، ويعلو الجوسق عادة قبة يعلوها سفود بارز تزينه كرات قد تكون ذهبية أو معدنية كما في بعض المآذن.

ويلتف داخل المئذنة عادة درج أو سلم ينتهي إلى أعلا المئذنة ويتوسط هذا الدرج فراغ الواقع بين الجدار الخارجي للمئذنة والدعامة المركزية للمئذنة أو الأسطوانة وهي دعامة صماء كما هو الحال في مآذن المغرب الأوسط، أو تشغلها غرفة كمآذن الموحدين في المغرب والأندلس، وقد يكون السلم خارج المئذنة مثلها هو موجود في مئذنة الملوية بسامراء في القرن 3هـ/9م.

---

[1]- السيد عبد العزيز سالم: المآذن المصرية نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح العربي حتى الفتح العثماني، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية 1982، ص 33.

وقد يكون للمئذنة درج مزود وهو أمر انفردت به مئذنة جامع قرطبة، وقد يحل مكان الدرج طريق صاعد يدور حول المئذنة حتى قمتها كما هو الحال في مئذنة المنصورة بتلمسان ومئذنة جامع الكتبية وجامع حسان بالرباط، ويسقف الدرج أو الطريق الصاعد بقبوات في أغلب الأحيان نصف أسطوانية أو متقاطعة، وقد تجمع بين نوعين وينتهي الطابق الأوّل في المئذنة بشرفة ينطلق منها صوت المؤذن، ويتوسط الشرفة جوسق تعلوه قبة وبين جدران الجوسق الشرفة فراغ يدور حول الجوسق يتحرك فيه المؤذن لأداء الآذان، وتقع الشرفة عادة بأعلى الطابق الأول للمئذنة حول الجوسق وقد تدور حول بدن المئذنة، وقد يكون للمئذنة الواحدة أكثر من شرفة موزعة على بدنها كما هو في المآذن العثمانية، ويتوج أعلى الجوسق المئذنة قبة يعلوها سفود بارز يحمل كرات معدنية على شكل تفافيح، ويعلو السفود أحيانًا هلال وأحيانًا أخرى نجمة وهلال، ويعلو الشرفات التي تتوج المئذنة مظلات من الخشب على شكل حرف مائل وبارز في المناطق التي تكثر فيها الأمطار على غرار بعض بلاد الشام وقد تكون الشرفة مكشوفة في المناطق الجافة[1].

لقد امتازت المآذن بالتناسب الهندسي في أشكالها من حيث طول القاعدة إلى ارتفاعها كما في المآذن الموحدية التي تمتاز بتناسب هندسي واضح قدر بالخمس 1/4 [2]، فإذا كان طول القاعدة 5 م فإن ارتفاعها 25 م مما يعطي في الأخير نسبة 1/5، كما لم يفت أيضًا على المعماري المسلم نسبة المئذنة لشكل الجامع عامة، فإذا كان المسجد صغيرًا من حيث المساحة فإذا ارتفاع المئذنة يكون متوسطًا، كما في جامع أبي الحسن بتلمسان في العهد الزياني فإن الارتفاع الكلي للمئذنة هو 14,25م، بالنسبة لبيت الصلاة فإنها تتألف من ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة.

إن النسبة الهندسية دقيقة وواضحة، ونلاحظ العكس في مئذنة جامع منصورة التي تعتبر أعلى مئذنة في الجزائر والثالثة في المغرب الإسلامي من حيث الارتفاع بعد مئذنتي

---

[1]– عبد الكريم عزوق: المصدر السابق، ص 51.

[2] –Rachid Bourouiba: Lart musulman en Algerie, S.M.E.B, Alger, 1972, p 187.

جامع الكتبية وحسان بالرباط من العصر الموحدي، ومسجد المنصورة يبلغ طوله 85 م وعرضه 60 م، أمّا المئذنة فقد كان يصل ارتفاعها 45م[1]، أمّا ارتفاعها الحالي فيبلغ 38م بعد أن تهدم جوسقها. أمّا طول قاعدتها فهو 10م ونسبة المئذنة بالنسبة إلى شكلها العام وبالنسبة لشكل الجامع ككل يبين الدقة المتناهية التي كانت لدى المعماري المسلم في العصور الإسلامية.

أهم المآذن في العالم الإسلامي:

كانت أولى المآذن في العالم الإسلامي تلك التي شيدها مسلمة بن مخلد في مسجد عمرو بن العاص بالقسطاط ويقول المقريزي.

"وقيل أن معاوية أمره (أي مسلمة) ببناء الصوامع للآذان قال:

وجعل مسلمة للمسجد الجامع أربع صوامع في أركانه الأربعة، وهو أوّل من جعلها فيه ولم تكن قبل ذلك"[2]، أمّا مآذن المسجد الأموي بدمشق، فإن النظرية تقول بأن هذه الصوامع ما هي إلا اقتباس من الصوامع التي في أركان المعبد الروماني في دمشق الذي أصبح جامعًا شيده الخليفة الوليد بن عبد الملك في عام 86هـ/ 705م، وقد كان جزءًا منه عبارة عن مسجد أيام الخليفة معاوية بن أبي سفيان. وتأكد هذه النظرية رواية ابن الفقيه[3] وهو ما أثبتهُ المسعودي في كتابه مروج الذهب الذي ألفه حوالي سنة 332هـ/943م[4]، أمّا الصوامع لم تكن تعلو إلاّ قليلاً عن سطح الجامع، فلم تكن تصلح للنداء في عاصمة كبيرة كدمشق ولكنها تركت على حالها لأنها كانت تصلح أن تكون قواعد رفعت فوقها منارات عالية أو مآذن[5] وتجدر الإشارة إلى أن فكرة المآذن الأربعة في أركان المسجد

---

[1]- Rachid Bourouiba: op cit p: 188.

[2]- أحمد تقي الدين المقريزي: الخطط المقرزية المسماة بالمواعظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار، منشورات دار المعارف، لبنان 1920، المجلد 3، ص 90.

[3]- فريد الشافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأوّل، عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر1970.

[4]- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين): مروج الذهب ومعادن الجوهر- الجزء الرابع، طبعة محي الدين عبد الحميد، القاهرة 1958م، ص 90.

[5]- فريد الشافعي: نفسه، ص 638.

ليست مقتصرة على المسجد الأموي بدمشق ومسجد عمرو بالفسطاط بل نجدها بالمسجد الحرام بالقدس الشريف.

ونعثر في بلاد الشام على مئذنة قصر الحير الشرقي، ويرجع تاريخ بنائها إلى سنة 110 هـ، 729م[1]، والمنارة على هيئة برج مربع المسقط، يتوسط الفضاء بين المنطقتين الصغرى والكبرى للقصر، وقد تهدم الجزء العلوي منها ولم يبق له أثر، والظاهر من بنائها أنها كانت تستخدم للمراقبة أكثر من أن تكون للآذان، وهناك مئذنة أخرى، ويرجع تاريخها إلى بناء قصر الأخيضر عام 161هـ، 780م، وتكوينها المعماري على هيئة بدن أسطواني فوق قاعدة مربعة المسقط، ومواد بنائها من الأجر، ونلاحظ بأن الجزء العلوي قد انهار، مثل مئذنة قصر الحير الشرقي، وهذه المنارة شيدت في وسط الصحراء لتكون علامة يهتدي بها من يقصد قصر الأخيضر، الذي شيد بعيدًا عن العمران.

شيدت مدينة الرملة* من طرف سليمان بن عبد الملك، حين ولاه الخليفة الوليد بن عبد الملك على جند فلسطين، وذكر البلاذري: "وحدثني جماعة من أهل العلم بأمر الشام، قالوا: ولي الوليد بن عبد الملك سليمان بن عبد الملك جند فلسطين، فنزل لي، ثم أحدث مدينة الرملة ومصرها وكان أوّل ما بنى منها قصره والدار التي تعرف بالدار الصباغين....ثم اختط للمسجد خطة وبناه...."[2] وقد استمر البناء في المسجد بعدما صار سليمان خليفة، ولكنه لم يكتمل إلا في خلافة عمر بن عبد العزيز (99هـ- 109هـ)/ (717م- 720م)[3].

أمّا المسجد النبوي في المدينة المنورة فقد كان خاليًا من المآذن، وفي سنة 88هـ- 90هـ، كتب الوليد بن عبد الملك إلى واليه على المدينة يأمره بهدم المسجد وإعادة بنائه،

---

[1] - Creswell, op. cit pp: 94.

*- مدينة الرملة: سميت بهذا الاسم لأن مكانها كان رمليًا.

[2]- البلاذري (الإمام أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر)، 279هـ/ 892م فتوح البلدان، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1983/1403، ص: 145.

[3]- عبد الله كامل موسى: الأمويون وآثارهم المعمارية، دار الآفاق العربية، ط1، 2003، ص: 108.

فجعل له أربعة مآذن في كلّ زاوية من زواياه، ولا يوجد طراز خاص للمآذن بالمدينة المنورة.

أمّا بالنسبة لمئذنة سامراء فقد تذكر الروايات التاريخية أن المعتصم بالله العباسي حين شيد مدينة سامراء وأحكم بناءها، اختط المسجد، ثم اختط الأسواق والدور والقطاع...، وقد بقي المسجد قائمًا أيام الخليفة العباسي المتوكل الذي بدأ كما ذكر أحمد سوسة نقلاً عن سبط ابن الجوزي- بإنشاء جامع ضخم في سنة 234هـ/ 849 م بدلاً من الجامع القديم، وفرغ من بناءه سنة 237هـ/852م وأنفق عليه ما يعادل (600) ألف دينار[1]، ما زال المسجد الذي شيده المتوكل يعتبر من أكبر وأهم المساجد الأثرية الباقية التي شيدت في العصور الإسلامية المختلفة[2].

يذكر فريد الشافعي في دراسة لمئذنة جامع القيروان بأنها تتميز بخصائص عربية إسلامية ناضجة من حيث التكوين المعماري ودقته والتناسب الهندسي، ويرى أنه لا توجد أي صلة بينها وبين الأبراج السورية القديمة في المعبد الروماني بدمشق، وتعتبر مئذنة القيروان من أقدم المآذن في العالم الإسلامي، وقد صارت النموذجل التي بنيت عليه مآذن اللاحقة لها، ولا زالت مئذنة القيروان تحافظ على خصائصها المعمارية، بخلاف الكثير من المآذن في العالم الإسلامي التي فقدت شكلها الأصلي لأسباب متعددة.

ولا تعتبر المئذنة عنصرًا معماريًا في المسجد فقد يستغني عنه عند بنيان المسجد، بينما يعتبر برج الكنيسة عنصرًا ضروريًا يدخل ضمن الكتلة المعمارية، ويتطلب النداء للصلاة أن تنتهي المئذنة بنهاية خاصة تختلف عن نهاية أبراج الكنائس التي تعلق فيها النواميس، ولذلك تعتبرالمئذنة عنصرا معماريا إسلاميا أصيلا ليس لغير المسلمين فضل فيه.

---

[1]- أحمد سوسة: مسجد سامراء، طبعة المعارف، ج1، ص 112.

[2]- ربيع القيسي: جامع الجمعة في سامراء (مجلة الحوليات السورية دمشق 1956)، ج2، ص 75.

عناصر المئذنة

1.**القاعدة:** وهي نقطة ارتكاز المئذنة وقد تكون مربعة أو مثمنة أو أسطوانية، فتبنى فوق أرض صلبة لإمكانية رفع البدن عليها حسب المسافة المطلوبة.

2.**السلم:** يرتقي منه المؤذن من أجل الآذان، وغالبا ما يكون داخليا وقد يكون خارجيا كما هو الحال في مئذنة الملوية بسمراء، أو يكون مزدوجا بالداخل، بحيث كل سلم يؤدي إلى شرفة، وقد يكون للمئذنة ثلاثة سلالم كما في مئذنة جامع أوج شرفلي بتركيا ذات ثلاث شرفات.

3.**البدن:** وتعدد أشكاله فمنه المربع كما في سوريا وبلاد المغرب والأندلس ومصر أو الحلزوني كمئذنة الملوية بالعراق أو المثمن وقد يكون أسطواني كمآذن تركيا.

4.**الشرفة:** هي المكان الذي يقف فيه المؤذن للآذان وهي تشرف على المدينة وتوجد عادة في أعلى المئذنة حول الجوسق، وقد تتعدد في المئذنة الواحدة كما هو الحال في مآذن تركيا، يعلوا شرفات بعض المآذن مظلات من الخشب على شكل بارز مائل، وذلك في المناطق الممطرة[1] وقد تكون مكشوفة في المناطق الجافة.

5. **الجوسق:** يتوسط الشرفة تعلوه قبة أو سقف مخروطي في أعلى قمته يوجد سفود أو جامور بارز، يحمل بدوره كرات معدنية على شكل تفافيح غالبا ما تنتهي بهلال ونجمة وفي بعض الأحيان نجد الهلال فقط، وقد تحتوي في بعض المآذن جوسقين، وقد يتعدى إلى أربعة مثل مئذنة الغوري بالغورية[2].

وتتعدد أشكال الجوسق، بحيث يظهر بعض الأحيان مربعا أو أسطوانيا ينتهي بسقف مخروطي مثل مئذنة جامع السفير بالجزائر.

---

[1]– فريد الشافعي: المصدر السابق، ص648.

[2]– زكي محمد حسن: فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت 1981، ص، 148.

تحديد موضع المآذن في المساجد:

إن مسجد النبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن يحتوي على منارة فمن هذا يتبين لنا أن المئذنة لم تكن عنصرا أساسيا في بناء المساجد إلا أنها أصبحت ميزة لا تخلوا منها عمارة المساجد، ولا توجد قاعدة عامة في وضع المآذن في المساجد، فكان المعمار يضعها في أي مكان يمكن أن يسمع منه الناس صوت المؤذن، فيختلف موضع المئذنة من مسجد إلى آخر، فقد تكون في مؤخرة الجامع أو في مقدمته وقد تكون على الجانب منه أو في ركن من أركانه، وقد تنتصب مستقلة عن صحن المسجد بيت الصلاة، وتكون ملتصقة مع الجدار الخارجي[1].

كانت المساجد الجامعة الأولى تقتصر على مئذنة واحدة، ثم بدأت تظهر أكثر من مئذنة للمسجد الواحد كما هو الحال في جامع عمرو بن العاص الذي كان مزودًا بأربع مآذن[2]. أمّا بالنسبة للمساجد الفاطمية فتقع مئذنتها في الأركان، والمساجد العباسية فإن مآذنها كانت تقع في نفس محور المحراب كما في سمراء وأبي دلف، واتخذت المآذن الفاطمية الأركان موقعًا لها ووجدت بعض مآذن المساجد الموحدية والمرينية على محور المحراب كما في المنصورة بتلمسان وبالإضافة إلى كلّ هذا فإن المآذن في العالم الإسلامي قد جمعت بين الوظيفة المعمارية والوظيفة الزخرفية، فهي تعد في الأصل عنصرًا معماريًا أصيلاً في العمارة الإسلامية، وقد زخرفت واجهتها بكثير من الزخارف المتنوعة حيث تحتوي على مادة وافرة من الزخارف التي ساهمت في إثراء الفنون الإسلامية وتطورها، فواجهتها متعددة الزخارف تعتبر في حد ذاتها لوحات فنية تبين مدى التطور والرقي الذي بلغه الفن الزخرفي في ذلك العصر[3].

---

[1] –Elie LAMBERT: L'art musulman d'accident des origines à la fin du xv^{e} siècle, société d'édition d'enseignement supérieur paris V° 1966, p: 19.

[2]– أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها، مدخل دار المعارف بمصر 1961، ص: 315.

[3]– عبد الكريم عزوق: المرجع السابق، ص: 16.

المواد المستعملة في بناء المآذن:

تعتبر المئذنة العنصر المعماري الذي يستطيع أن يقاوم الزمن لأن طريقة بنائها جد متقنة، فحتى لو تهدم المسجد فإن المئذنة تبقى قائمة كما هو الحال في قلعة بني حماد ومئذنة جامع أقادير بتلمسان ومئذنة جامع منصورة في العصر المريني[1].

فمن حيث مواد بناء المآذن فقد تنوعت وتباينت وفقًا للمناطق التي أقيمت فيها المآذن، فقد استعمل الحجر في الأندلس والشام وآسيا الصغرى وبعض المناطق في العراق، أمّا الآجر والقرميد فكان المادة الشائعة الاستعمال في مآذن المغرب الإسلامي والعراق وفارس وأفغانستان، أمّا في الهند فقد استعمل كلّ من الآجر والحجر[2].

---

[1] -Gorge MARCAIS: L'art en Algérie, imprimerie Algérienne, Alger 1906, p: 99.

[2] – عبد الكريم عزوق: المصدر السابق، ص 50.

الفصل الثاني

الطرز المعمارية للمآذن

اتخذت المآذن في العمارة الإسلامية عدة أشكال وذلك حسب المناطق والبلدان التي وجدت بها، حيث كان يسعى كلّ ملك إلى التجديد والابتكار والرشاقة والجمال، فأعطت المئذنة المسجد طابعًا خاصًا ومميزًا.

وأهم طرز المآذن هي:

1- المئذنة المربعة

2- المئذنة الأسطوانية.

3- المئذنة الحلزونية

5- المئذنة الهرمية.

6- المئذنة المثمنة.

1- المئذنة المربعة:

اتخذت المآذن الإسلامية في بداية ظهورها شكلاً مربعًا فانتشرت في بلاد الشام والمغرب والأندلس.

حسب نظرية كروزويل creswell الذي يرى أن المآذن الإسلامية نشأت في الشام أثناء الخلافة الأموية محاكية الأبراج المسيحية المربعة السائدة في سوريا، من قبل الفتح الإسلامي والتي يعود أصلها إلى الأبراج المربعة للمعابد الوثنية[1] مستدلاً على صحة رأيه بعبارة أوردها المقدسي تفيد أن مآذن سوريا كانت كلها مربعة وتتكون المئذنة السورية التي فرضت وجودها قروناً عدة، من بدن مربع يرتفع من القاعدة إلى أقرب القمة مثل المئذنة الشمالية والتي حلت محلها الآن مئذنة العروس بالمسجد الأموي بدمشق، ثم انتقل الطراز السوري من الشام إلى مصر وبلاد المغرب والأندلس، كما نشاهده في مئذنة جامع القيروان الذي شيده عقبة بن نافع، وقد بنى المئذنة والي إفريقيا استجابة لأمر الخليفة

1- Creswell, op cit p: 98.

مكتبة الكلية
جامعة أبو بكر بلقايد

هشام بن عبد الملك (105هـ- 125هـ/ 724م- 743م)[1] ويرى جورج مارسيه (Marçais G.) أن شكل المآذن المربعة قد تأثر بشكل الأبراج السورية وعلى الأخص مئذنة العروس بالجامع الأموي بدمشق[2] ولكن الثابت أن المآذن الأولى التي شيدها المسلمون كانت عبارة عن أبراج مربعة ولاسيما تلك التي شيدت في بلاد الجزيرة و مصر وبلاد المغرب والأندلس. ثم أتيح له البقاء والاستمرار في غربي العالم الإسلامي ولا يزال هذا الطراز السائد في المغرب الإسلامي ، فضلاً عن وجوده في الشام وبعض أجزاء العالم الإسلامي[3].

1- مآذن الجامع الأموي في دمشق:

شيد الجامع الأموي الكبير بدمشق من طرف الخليفة الوليد بن عبد الملك (86هـ- 96هـ/ 705م- 715م)، في موضع المعبد الوثني الذي بناه اليونان الذين عمروا دمشق، وكانوا يعبدون الكواكب السبعة.....[4]

المسجد عبارة عن مستطيل قياسه حوالي 160×100م وقاعة الصلاة طولها 136م وعمقها 40م تكون فضاء على شكل عريضة طويلة (3 مرات أعرض من العمق (Espace barlong) وتمثل في وسطها جناحًا محوريًا يعلوه جبيهة مثلثة الشكل (Fronton) تعلوه قبة مركزية (اللوحة 6)، والأجنحة العريضة التي تحتضنها من الجانبين مقسمة إلى ثلاث عارضات موازية لجدار القبلة بواسطة أقواس إلى طابقين من الأعمدة، وكلّ قوس كبير سفلي يأتي فوقه عارضة مزدوجة في الطابق الأعلى[5] يرى عفيف بهنسي أن الجامع الأموي كان به أربعة صوامع وكانت مربعة الشكل ذات شرفات وجامور*، وقد هدمت المئذنتان الواقعتان في الجهة الشمالية وأعيد استخدام أحجارها في

---

[1]- ثروت عكاشة: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية (الأضرحة والمقابر) دار المعارف - القاهرة 1981، ص 121.

[2] -George MARCAIS: L'architecture musulmane d'occident (Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile), Art et métiers, Géographie. Paris 1954, p: 209.

[3]- زكي محمد حسن: فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان 1416هـ، 1981م، ص: 145.

[4]- المسعودي: مروج الذهب ومعارف الجوهر، دار الندلس للطباعة والنشر، ج3، ص: 1026.

[5] -Henri STIRLIN: op cit, p: 40.

*- جامور: قضيب حديدي، سفود.

ترميم الجدار القبلي في سنة 728م أمّا المئذنتان الجنوبيتان فقد تهدم جزء منهما عام 646م ثم أضيف إليهما منارات مختلفة فوق ما تبقى من الصومعتين المربعتين القديمتين وأن مئذنة العروس(اللوحة 5) أقيمت بعد هدم المئذنتين القديمتين كبديل للبرجين الشماليين[1].

وتقع المئذنة الأولى في الجهة الغربية للمسجد وقد أعيد تشييدها في العهد المملوكي بجذع مثمن الأضلاع على طراز عمارة تلك الفترة خلافًا لطراز عمارة المئذنة الأموية ذات الجذع المربع، وتسمى أيضًا مئذنة عيسى ولم يبقى منها اليوم إلاّ القاعدة المربعة أمّا الأجزاء الأخرى فجددت في العهد المملوكي والعثماني، وهي الآن عبارة عن برج مستدير يعلوه برج مثمن يعلوه رأس مذبذب[2].

فتعتبر مئذنة العروس الذي شيدها الوليد بن عبد الملك الواقعة في الجهة الشمالية من الساحة في محور المحراب أقدم المآذن، ولم يبق من هذه المئذنة إلاّ قاعدتها المربعة، وجدد القسم الذي يلي القاعدة في العهد الأيوبي أما الجزء الأعلى فقد جدد في العهد العثماني[3].

وقد أصبحت هذه المئذنة مثال للمآذن الأولى في الإسلام وخاصة في بلاد المغرب والأندلس.

2- مئذنة جامع القيروان:

بني مسجد قيروان سنة 670م[4]، ويحمل اسم الصحابي الذي بناه وهو عقبة بن نافع الفهري، تعرض هذا المسجد لعدة توسيعات عدة مرات، فقد قام حسان بن نعمان بهدمه وترك المحراب، وأعاد بناءه وزاد فيه وحسنه، واعتمد في بنائه على بقايا كنيسة قديمة ثم

---

[1]- عفيف بهنسي: الجامع الأموي بدمشق، دار طلاس، دمشق، 1988، ص 53.

[2]- محمد ماجد خلوصي: المسجد عمارة وطراز وتاريخ، الطبعة الأولى، لبنان: دار قابس للنشر والتوزيع، 1989، ص: 59.

[3]- محمد ماجد خلوصي: نفسه، ص 60.

[4]- أنور الرفاعي: تاريخ الفن عند العرب، الطبعة 2، دار الفكر، 1977، ص: 74.

أمر الخليفة هشام بتوسيعه سنة 734[1] طرأ على المسجد على ثلاثة تعديلات في عهد الأغالبة وقد قام بإعادة تشييدها زياد الله الأغلب سنة 836[2] (اللوحة 17).

ويعتبر مسجد القيروان أصل كل المنشآت الدينية، التي ظهرت فيما بعد في بلاد المغرب الإسلامي.[3]

إن مسجد القيروان عبارة عن مستطيل طوله مائه وستة وعشرون متر وعرضه ستة وخمسون مترًا (126م× 56م)،أما حرم المسجد فهو عبارة عن مستطيل أكثر عمقًا ويبلغ طوله سبعون متر أمّا عرضه فيبلغ سبعة وثلاثون متر وسبعون سنتمتر (70م× 37,70م)، ويتألف من سبعة عشر رواقًا عموديًا على جدار القبلة وسبعة أجنحة، وبه صحن مستطيل الشكل هو الآخر ومحاط بأروقة[4].

أمّا المئذنة فترتفع تقريبًا في محور المحراب في الشمال الغربي للصحن، فهي مربعة الشكل يبلغ ضلعها إحدى عشر متر (11م) وارتفاعها يبلغ إحدى وثلاثون متر (31م)، فهي مكونة من ثلاث طوابق يلي بينهما درج داخلي[5].

من الناحية المعمارية فالمئذنة مربعة القاعدة وتمتاز بتناسب هندسي واضح أقيمت قاعدتها من الحجارة متساوية القطع إلى مستوى ثلاثة أمطار ونصف فوق سطح الأرض وتمتاز من الخارج بتراجع جدران الطابقين تراجعًا طفيفًا كلما مددنا النظر من القاعدة إلى القمة[6] يفتح مدخل المئذنة في الجدار المطل على صحن الجامع ويؤدي الباب مباشرةً إلى دعامة مركزية يلتف حولها سلم دائري سقفه على شكل قبو نصف أسطواني مبنية بالحجر، ويوجد السلم ثلاث نوافذ في واجهة المئذنة وخمس فتحات أخرى، ثلاث منها في الواجهة الشمالية واثنان في الواجهة الغربية وتبدو هذه الفتحات ضيقة من الخارج لكنها تتسع من الداخل[7].

---

[1]- أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، تحقيق مرايا خيصوص، تقديم محمود بوعياد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1981، ص: 71.

[2] -Markus HATTSTEIM et peter DELIUS: Art/ civilisation de l'islam, Edition Française, 2000, p: 132.

[3] -George MARÇAIS: manuel d'art Musulman – L'architecture.... » Edition Auguste Picard 1926, P20.

[4] -Brahim BENYOUCEF: Introduction à l'histoire de l'architecture islamique. Office des Publications Universitaires, 1994, p:64.

[5] -Markus HATTSTEIM et peter DELIUS: Ibid, P: 134.

[6]- زكي محمد حسن: المرجع السابق، ص: 42.

[7]- أحمد فكري: المرجع السابق، ص: 107.

يبلغ ارتفاع الطابق الأسفل ثمانية عشر متر وسبعة وثمانون سنتمتر (18,87م)، أمّا ارتفاع الطابق الثاني فهو خمسة أمطار (5م)، بينما نجد ارتفاع الطابق الثالث سبعة أمتار ونصف (7,5م) وحسب زكي محمد حسن فإن الطابق الأسفل والثاني يرجعان إلى عصر هاشم بن عبد الملك[1]، ويذهب كل من كريزول Creswell وجورج مارسيه (George Marçais) إلى أن الجزء الأخير قد أضيف إلى المئذنة التي أقامها هشام بن عبد الملك، إلاّ أن أحمد فكري يرى عكس هذا الرأي، وهو يعلن رأيه بثلاثة أدلة هي:

أولاً: إن مسجد صفاقس مئذنته تأثرت بمئذنة القيروان و شيدت سنة 370هـ/ 981 م، و لهذه المئذنة طابق أعلى تتوجه قبة صغيرة، ويشبه الطابق الأعلى لمئذنة القيروان، هذه المئذنة الأخيرة كانت تضم هذا الطابق الأعلى، فاتخذها باني المسجد صفاقس نموذجًا لمئذنته.

ثانيا: إن أسلوب بناء مئذنة القيروان كلها متحد المظهر وثيق التناسق وأن الطابق الثاني منه وهو الذي تتراجع جدرانه عن جدران الطابق الأوّل، لا تستقيم مكانته من غير الطابق العلوي ولا يكتمل مظهره إلاّ به.

ثالثًا: إن الارتفاع الذي ذكره البكري للمئذنة وهو ستون ذراعًا (60)، لا يطابق ارتفاعها اليوم، وقد يكون راجعًا إلى خطأ في التقدير أوفي نقل أحد الناسخين، ذلك أن في وصفه خطأ آخر وهو تقديره لطول المسجد بمائتين وعشرون ذراعًا (120)، وعرضه بمائة وخمسين ذراعًا (150)، فإذا كان الذراع يعادل اثنان وأربعين سنتمتر (42 سم) كما قدره كروزويل Creswell يكون طول المسجد ثلاث وتسعون مترا (93 م) تقريبًا أو أقل ثلاثين مترًا عن طوله الحقيقي، وينقص عرضه أيضًا سبعة أمتار. (67)، فيوافق طول المسجد على هذا الحساب[2] ويقع على سطح هذا البرج باب يعلوه قوس على شكل حدوة الفرس Arc en fer de cheval وقد زينت جدران كل برج بشرفات محززة يبلغ

---

[1]- زكي محمد حسن: المرجع السابق، ص: 43.

[2]- صالح بن قربة: المرجع السابق، ص: 29.

ارتفاعها في الطابق الأول مترًا وتسعة عشرة سنتمترا (1,19م) وفي البرج الثاني متر وستة عشرة سنتمترا (1,16م)[1].

وقد استعمل في بناء المئذنة أحجار تعود لمبانٍ رومانية، خصوصًا المداميك السبعة الأولى، حيث يبلغ ارتفاع الأربعة مداميك الأولى حوالي سبعة وأربعين سنتمتر 47 سم، وهي حجارة معظمها كانت تحمل نقوش لاتينية وخاصته مِنْ عصر (مرقيوس أوريوس وسبتيموس سفروس) وهي مقلوبة رأسًا على عقب، أمّا باقي البرج فقد بني من كتل حجرية صغيرة الارتفاع ثلاثة عشر متر وخمسون سنتمتر (13,5م) وتبدو من بعيد كأنها قطع من الطوابق[2].

والملاحظ أن مئذنة جامع القيروان تتميز بخصائص عربية إسلامية ناضجة من ناحية تكوينها المعماري وأسلوب البناء، وليس فيها شيء يمكن نسبته إلى طراز معين سابق على الإسلام إلاّ عنصرًا واحدًا هو العقد على شكل حدوة الفرس، وهذه الخصائص عربية إسلامية واضحة تقلب نظرية اقتباس المآذن أصول سابقة على الإسلام[3]وأن تأثر مئذنة القيروان ومآذن الشام بأبراج الكنائس، قول لا يقوم على أساس سليم[4] ذلك باعتبارها نموذجًا نادرًا ودليلاً معتبرًا في نقض الآراء القائلة بتأثر المآذن الإسلامية بسابقتها التي شيدت ضمن حضارات مختلفة[5]، فالمئذنة مقسمة إلى ثلاثة أقسام متجانسة تفصل بينها شرفات تتناسق في الطول كلما ارتفعت، وبهذا أراد المعماري أن يربط المشاهد بقمة المئذنة ويجعله يستشعر جلالة المبنى وقداسته، وهكذا يتناقص بعد كلّ شرفة عن سابقتها كلما ارتقينا إلى الأعلى وفق قاعدة النسب الذهبية[6].

---

[1] – George MARÇAIS: "manuel..... ", p: 27.

[2] –CRESWELL: Short Account of Early Muslim architecture, pengain Books, 1958, Beirut, p: 110.

[3]– فريد الشافعي: المرجع السابق، ص: 19.

[4]– صالح بن قربة: نفسه، ص: 22.

[5]– طرشاوي بلحاج: المرجع السابق، ص: 48.

[6]– ثروت عكاشة: المرجع السابق، ص: 248.

3- منذنة جامع صفاقس:

شيد جامع صفاقس SFAX سنة 849 م، وأعيد بناءه سنة 988 بدون تغيير قواعد الذي كان مبني على حالهه[1].

بنيت مئذنة جامع صفاقس بعد بناء مئذنة جامع القيروان وهي صورة مقاربة لها ولا يوجد اختلاف بينهما إلا في النسب المعمارية أي في المقاسات، فقد شيدت هذه المئذنة في القرن 3هـ/ 9م(اللوحة 9)، وتتخذ المئذنة نفس الموقع التي تتخذه مئذنة القيروان، وتصب في منتصف الجدار الشمالي المواجه للمحراب، وتدخل إليها من خلال فتحة في جدارها المقابل لصحن الجامع، ويؤدي المدخل إلى دعامة مركزية مربعة، مصمتة يلتف حولها سلم دائري، أمّا في الخارج فتتكون المئذنة من ثلاثة طوابق، الأولى منها تميل جدرانها إلى الداخل ميلاً طفيفًا كلما ارتفعت المئذنة، ويبلغ طول القاعدة المربعة خمسة أمتار وأربعون سنتمتر (5,40 م) ويبلغ ارتفاع الطابق الأوّل أربعة أمتار (4م) أمّا الطابق الثاني فيبلغ طول ضلع قاعدته متر وثلاثون سنتمتر (1,30م) وارتفاعه حوالي خمسة أمتار (5) ويتوج الجوسق بقبة مفصصة كما هو الحال في مئذنة جامع القيروان[2]، وقد استخدم في بناء المئذنة كتل حجرية صغيرة إلاّ أن أركانها دعمت بكتل ضخمة، وتزدادان أوجه المئذنة بزخارف نباتية[3].

4- منذنة قلعة بني حماد:

إن مسجد قلعة بني حماد عبارة عن مستطيل طوله من الداخل أربعة وستون مترا (64م) وعرضه ستة وخمسون مترا (56م) بني وسطه صحن مستطيل الشكل، يتألف بيت الصلاة من ثلاثة عشر (13) بلاطة عمودية على جدار القبلة وثمانية (8) أساكيب موازية لجدار القبلة، وكان يفصل بيت الصلاة عن باقي أجزاء الجامع جدران، ويدعم جدران الجامع من الخارج ركائز سائدة وينفتح فيها سبعة أبواب، ويحيط بقبلة الجامع بناء يضم

---

[1] -Marlens HATTSTEIN et peter DELIUS: op cit, p: 135.

[2]- صالح بن قربة: المرجع السابق، ص: 31.

[3] -Kamel Edine SAMAH: Minaret in morth Africa And Spain in Bulletin of the faculty of arts, décembre 1953, vol xv, part II, cairo university, press 1954, p: 181

خمسة أساطين ربما كان مسجدا صغيرا بني بداخل بيت الصلاة بعد أن قل عدد سكان القلعة إثر هجرتهم إلى بجاية[1].

بنيت هذه المئذنة من الحجر(اللوحة 10)، وهي ذات قاعدة مربعة الشكل، طول ضلعها ستة أمتار ونصف (6,50م) وارتفاعها أربعة وعشرون متر وسبعون سنتيمتر (24,70م)، ومن المحتمل أنها كانت بقبة، ومازالت آثارها ظاهرة حتى الآن[2].

ويصعد إلى أعلى هذه المئذنة من باب عرضه مترين وأربعين سنتيمتر (2,40م) يؤدي إلى سلم يدور حول نواة مركزية مربعة طول ضلعها متر وخمسون سنتيمتر (1,50م)، أما عدد درجات السلم فتبلغ مئة وسبعة وعشرين درجة (127)، وعرض الدرج متر وعشرة سنتيمتر (1,10م)، ويعلو الباب عقد نصف دائري من الآجر[3] (اللوحة 14).

وتتميز المئذنة بوثاقة البنيان ممثلة في سمك الجدران، كما تنفرد المئذنة بأن الزخارف تقتصر على واجهة واحدة فقط وقوامها عناصر نباتية وهندسية لا نظير لها فيما سبقها من زخارف، ويحتمل أن تكون مئذنة جامع قلعة بني حماد من طابقين فقط، كما هو الحال في المآذن الموحدين وتعتبر مئذنة الجامع القلعة نموذج الذي اشتق منه الموحدون مآذنهم[4].

إن السلم الداخلي للمئذنة مسقف بقبوات تتناوب فيما بينها قبوة متقاطعة تليها قبوة نصف أسطوانية، ويستمر نظام التقبيب على هذا النحو إلى أعلى مئذنة، ونلاحظ أن القبوات المتقاطعة تأخذ موضعها في الزوايا، وهذه الميزة سبق أن طبقت في مئذنة جامع قيروان[5]، ويتخلل جدران المئذنة من الداخل فتحات للإضاءة والتهوية والمراقبة في الوقت ذاته، منها فتحة ضيقة أشبه بالمزاغل في الأسوار والقلاع، وتقع هذه الفتحة بجانب الأيسر

---

[1]- George Marçais: Architecture musulmane d'occident, op cit ;p75.

[2]- صالح بن قربة: المرجع السابق، ص40.

[3]- رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص212.

[4]- عبد الكريم عزوق: تطور نظام المآذن في المغرب الأوسط منذ بداية بني حماد حتى نهاية العصر العثماني، رسالة ماجستير في الآداب- قسم التاريخ والآثار، جامعة الإسكندرية 1991، ص34.

[5] - Lucien GOLVIN : recherches archéologiques à la kalaa des Beni hammad, G.P Maison neuve et la rose, paris 1965, p53.

من المدخل ما بين عقده والعقد الذي يعلوه، ومن الجدير بالذكر أن زخارف هذه المئذنة تقتصر على الواجهة الجنوبية المقابلة للصحن، أما الواجهات الأخرى فعاطلة عن الزخارف باستثناء بعض الفتحات والمزاغل التي استعملت للإضاءة والتهوية وربما للمراقبة أيضا[1].

ومما لاشك فيه أن تأثير هذه المئذنة على المآذن الموحدية وعلى الأخص مئذنة جامع إشبيليا كان عميقا من حيث نظام توزيع الزخارف على واجهتها، ويبدو أن هذه التأثيرات الحمادية بدأت تفيض على مآذن الموحدين منذ أن سقطت قلعة بني حماد في أيديهم سنة 457هـ/1152م[2].

5- مئذنة جامع قرطبة بالأندلس:

هذا المسجد قد بناه عبد الرحمن الأول في سنة 786هـ، وبنى على مثل المسجد النبوي الذي بناه الوليد بن عبد الملك في المدينة المنورة ويمتاز بكثرة أعمدته وأقواسه على شكل نعل الفرس، وكثيرًا منها مزدوجًا، ويعلو بعضها بعضًا، وواجهة القبلة مزينة بالفسيفساء الدقيقة[3] (اللوحة 11).

وقد طرأ على الجامع عدة توسعات من قبل أربعة حكام وهذه التوسعات شملت قاعة الصلاة والصحن.

فمئذنة الجامع بناها الخليفة هشام وآلت إلى السقوط، ثم أمر بعده الخليفة الناصر (340هـ/ 950م) ببناء صومعة جديدة للمسجد بعد أن توسع الصحن، فجمع لها عرفاء المهندسين وأحضروا الحجارة الضخمة على عجل وشرع الخليفة في بنائها بعد هدم السور الشمالي للمسجد وفي نفس الوقت هدم فيها صومعة هشام وحفر أساسها حتى بلغ الماء، وأتم بناء الصومعة الجديدة في ثلاثة عشر شهرًا، وكانت الصومعة الأولى ذات مطلع واحد فجعل ناصر لصومعته مطلعين فصل بينهما بالبناء، فكان للراقون لا يلتقون إلاّ في أعلاها[4] وكان لكلّ مطلع منها مائة وسبعة أدراج، وتصب في أعلى الصومعة

---

[1]- عبد الكريم عزوق: نفسه، ص47.

[2] - Lucien GOLVIN, Op Cit, p58.

[3]- أنور الرفاعي: المرجع السابق، ص: 73.

[4]- عبد العزيز سالم: المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ج1، ص: 373.

2- المئذنة الحلزونية:

يرجح كثير من الباحثين وعلماء العمارة الإسلامية أصل المئذنة الحلزونية إلى الزيغورات (Ziggourats) التي كانت موجودة في إيران[1] ، إذ حاول المعماري المسلم تقليدها، وخاصة إذا علمنا أن دولة بني العباس قد قامت على أيدي أهل فارس وقد شكل هذا الانتقال للسلطة من الأمويين إلى بني العباس في حدود القرن 8هـ سيطرة سكان فارس على الحياة السياسية والاجتماعية و الأدبية... فأثروا في مسار الحضارة الإسلامية تأثيرا بارزا، وأثروا أيضا في الثقافة والفنون. فالعمارة الأموية قد بينت وزخرفت من قبل فناني سوريا والقسطنطينية ومصر المتأثرين بالعمارة المسيحية، أما العمائر العباسية المشيدة من قبل فناني العراق وفارس فتحمل بصمات التقاليد الإيرانية.[2]

1- جامع سمراء:

يتبوأ المسجد الجامع بسمراء مكانة مميزة بين مساجد العالم الإسلامي فهو أكبر مساجد الإسلام من حيث المساحة، إذ تبلغ مساحته الكلية مئة وستة وستون مترا مربعا وأربعة وتسعون سنتيمترا (166,94م)، فهو فريد في سعة جمال مظهره وفخامة بنائه، وقد جمع المعماريون بين فخامة البناء ومتانته من جهة، وتناسق أجزائه وروعته من جهة أخرى، كما أن الجامع يتميز من خلال مئذنته الملتوية المتميزة بشكلها الحلزوني وارتفاعها الشاهق، وتعد من أقدم مآذن العراق[3].

شيد الجامع على بقعة مرتفعة نسبيا عما يجاورها من الأرض، لذا يمكن مشاهدته من مسافات بعيدة، بدأ البناء في عام 234هـ/847م وتم الفراغ من العمارة في عام 237هـ/851م، وزاد الخليفة في سعة مسجده وأحاطه بفضاء، وأمر بعمل سور ضخم يحيط بهذا الفضاء من جوانبه الثلاث[4].

---

[1]- Brahim Ben Youcef.: op cit. p52

[2]- George Marçais :" l'art musulman.....", op cit , p29

[3]- عبد الله كامل موسى عبده:المرجع السابق، ص23.

[4]- عيسى سليمان: العمارات المربية، ج1، ص111.

تعد مئذنة سمراء من أروع مآذن العالم الإسلامي(اللوحة 15) فهي تتميز بشكلها الحلزوني وتعرف بالملوية، وتقوم هذه المئذنة على مسافة 27.20م من الجدار الشمالي على محور المحراب، وتتكون من قاعدة مربعة تتكون من طبقتين يبلغ طول الضلع السفلي منها 31.180م، أما العليا فطول ضلعها 30.150م، وترتفع القاعدة على مستوى سطح الأرض 4.20م، تزداد في أوجهها من أسفل بحنايا تتوجها عقود مدببة يبلغ عددها تسع حنايا في كل من الجهات الشمالية والغربية والشرقية، وسبع حنايا في الجهة الجنوبية وتتصل هذه القاعدة بالجدار الشمالي للمسجد من خلال طريق طوله 25م وعرضه12م، ويبلغ ارتفاع المئذنة فوق القاعدة 50 م فهي فريدة في ارتفاعها، وقد قسم بدن المئذنة إلى ست اسطوانات متدرجة ومتناسقة، والبدن جاء مصمتا يدور حول سلم المئذنة من الخارج في اتجاه معاكس لسير عقارب الساعة، و يدور الصاعد إلى القمة العلوية خمس مرات حول البدن حتى يصل إلى القمة التي يبلغ قطرها ثلاثة أمتار وتزين النصف العلوي من الاسطوانة السادسة ثماني حنايا متجاورة تتوجها عقود مدببة ترتكز على أعمدة شبه اسطوانية مندمجة في الجدران وتشكل إحدى هذه الحنايا قبوا للسلم، حيث يخترق القسم العلوي من المئذنة[1] لذلك تعتبر ملوية جامع سمراء من أكثر العمائر الإسلامية طرافة ليس في سمراء فحسب بل في العالم الإسلامي كله، وذلك لأنها تختلف عن جميع المآذن والأبراج العالية في العمارة الإسلامية، بحيث أن السلم الذي يصعد إلى قمتها لم يوضع بداخل المئذنة بل وضع من الخارج، حتى ينتهي إلى الجوسق[2].

2- مئذنة جامع ابن دلف في العراق:

يقوم هذا الجامع في القسم الشمالي الشرقي من المدينة الجعفرية أو المتوكلية، ولم تعمر هذه المدينة طويلا فلم يسكنها الخليفة سوى تسعة أشهر وثلاثة أيام حيث قتل الخليفة

---

[1]- فريد الشافعي: المرجع السابق، ص457-461

[2]- صالح بن قربة: المرجع السابق، ص16

المتوكل على الله في عام 247هـ/861م، ثم هجرها ابنه الخليفة محمد المنتصر وعاد إلى سمراء في 248هـ/861م[1].

أما مئذنة جامع أبي دلف(اللوحة 15) فهي حلزونية تشبه مئذنة جامع سمراء، تقع خارج الزيادة الشمالية للجامع على بعد حولي 9.60م من الجدار الشمالي، أما من حيث تكوينها المعماري فهي ترتكز على قاعدة مربعة يبلغ طول ضلعها 11.20م بارتفاع 2.50م تقريبا، تزدان في الجدار الشمالي بحنايا تتوجها عقود ثلاثية الفصول، أما الحنايا التي تزين الأوجه الثلاثة الأخرى فعقودها مفصصة، ويبلغ عدد هذه الحنايا ثلاث عشر حنية، وترتفع هذه الحنايا حوالي 1.50م، ويبلغ عرضها أقل قليلا من نصف متر، أما بدن المئذنة فقد جاء اسطوانيا يتألف من أربع اسطوانات تدور حول السلم، وقد قامت مديرية الآثار العراقية بترميم المئذنة واستكمال الأجزاء المتهدمة التي سقطت عام 1337هـ/1918م وتم زخرفة القسم العلوي من الاسطوانة الأخيرة بحنايا على هيئة محاريب على غرار حنايا قمة مئذنة جامع سمراء، ويبلغ ارتفاع المئذنة فوق القاعدة حوالي 20م[2].

3- مئذنة جامع ابن طولون بمصر:

يعد الجامع الطولوني ثالث مسجد جامع كبير شيد بمصر بعد جامع عمرو بن العاص 21هـ/642م وجامع العسكر 169هـ / 785م[3]، ولقد شيد هذا الجامع أحمد بن طولون سنة 265هـ في مصر بعد أن اشتكى إليه الناس ضيق جامع العسكر، قال البلوي" وكان يصلي الجمعة في المسجد القديم الملاصق الشرطة، فلما ضاق عنه بني الجامع الكبير...."[4].

---

[1]- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الطبعة الثالثة، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية 1982، ص289.

[2]- السيد عبد العزيز سالم: نفسه، ص317.

[3]- عبد الله كامل موسى عبده: المرجع السابق، ص 163.

[4]- المقريزي: المصدر السابق، ص 264.

واشتهر هذا الجامع بمئذنته التي يتجلى فيها تأثير طراز سمراء، وهو تكوين المئذنة العالية التي بنيت في الزيادة الشمالية الغربية، وخصوصا في وجود السلم الصاعد إلى أعلى وهو يلتف حول بدن المئذنة من الخارج وليس من الداخل كما هو شائع ومتبع في كل المآذن الإسلامية عدا مئذنتين الجامع الكبير بسمراء وجامع أبي دلف في شمال تلك المدينة.

غير أن مئذنة الجامع تختلف عنهما في أن نحو ثلثي ارتفاع بدنها متعامد الأضلاع(اللوحة 16)، يعلوه جزء أسطواني لا يزال يلتف السلم حوله من الخارج، بينما يرتفع البدن في كل من ملويتي سامراء وأبي دلاف مستديرا كله ابتداء من فوق القاعدة المربعة القليلة الارتفاع حتى النهاية العليا[1]، وتتألف من ثلاث طبقات، الطبقة الأولى مربعة الشكل والثانية أسطوانية والثالثة مثمنة[2] من الخارج يشتمل على درابزين حجري مدرج، وينتهي هذا الطابق بشرفة حجرية مستديرة تتكون من مدماكين حجريين ثم يبدأ الطابق الثاني المثمن من أرضية الشرفة، ولقد أوجد المعمار بكل ضلع من أضلاعه الأربعة الموازية لأضلاع القاعدة فتحة مستطيلة يتوجها عقد مفصوص مصمت، أما الأضلاع الأربعة الأخرى فهي مضاهيات، ثم يلي كل ذلك إطار حجري يعلوه مقرنص من ثلاث حطات يحمل الشرفة الثانية للمئذنة، وهي مثمنة فقدت درابزينها، ويتوصل إلى أرضيتها من داخل الطابق من خلال سلم حجري حلزوني، أما الجوسق فقد جاء مثمنا أوجد المعمار بكل ضلع من أضلاعه الأربعة الموازية لامتداد أضلاعه القاعدة فتحت مستطيلة ويرتفع الجوسق والقمة عن مستوى سطح الأرض بحوالي 40.44م، وكان بأعلى المئذنة مركب من النحاس تعرف بالعسارى سقطت عام 1105هـ/1693م[3].

جاءت فكرة السلم الخارجي من العراق، والبدن الضخم المتعامد الأضلاع له صلة وثيقة بتكوين المآذن في المغرب الإسلامي، علاوة على ذلك يوجد في وجه من أوجه

---

[1]- صالح بن قربة: المرجع السابق، ص16.

[2]- جوستان لوبون: حضارة العرب (ترجمة عادل زعيتر)، مصر، طبع بمطبعة عيسى حلبي ص 534-535.

[3]- المقريزي: مصدر سابق، ص313.

القاعدة مئذنة جامع ابن طولون مجموعة شبابيك فوق كل منها عقد على شكل حدوة الفرس، وبينها عمود وشباكين وعقدهما وتاج العمود من العناصر المعمارية التي كان يتميز بها المغرب و الأندلس[1] أما مادة بنائها فهي من الحجر الجيري.

يمتزج في مئذنة ابن طولون عدة تأثيرات من الأساليب العربية الإسلامية المختلفة، بعضها محلي و البعض الآخر وافد من الشرق وآخر من الغرب[2].

3- المئذنة الأسطوانية:

غلب استعمال الشكل الأسطواني للمآذن في مساجد إيران وهي ذات زخارف هندسية، أو ذات كوة من القاشاني، وكانت هذه المآذن طويلة ومستديرة، لها شرفة في الأعلى، ونهاية المئذنة تكون على شكل رمح، وهي إما أن تكون فردية أحيانا أو زوجية أحيانا أخرى؛ ومثال ذلك مئذنتا جامع أصفهان[3](اللوحة 67)، وتأثر المعمار الإيراني، السلجوقي بالأعمدة الساسانية التي كانت تشيد لعبادة الشمس منذ العصور القديمة، و المآذن الإيرانية لا طبقات لها و لا نوافذ. ويظهر أن هذه المآذن لم تكن تستعمل للأذان بسبب ارتفاعها العظيم وكان المؤذن ينادي للصلاة من فوق سطح المعبد[4].

أما المآذن الإيرانية تختلف عن سائر المآذن التي شيدها المسلمون في بلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا، فالمئذنة بناء شاهق مبني لذاته، ولم تبن لتجعل فيها سلالم تقود إلى ردهات أو دورات يسير فيها المؤذن[5].

عرف طراز المآذن الأسطوانية تطوره مع الأتراك(اللوحة 66) فقد شيدت المآذن الطويلة الممشوقة المنتهية بقمة مخروطية الشكل مدببة وهي مع ارتفاعها رشيقة، ففي مسجد مراد الثاني أربعة مآذن بنيت سنة (85هـ/1447م) في الأركان الأربعة للصحن،

---

[1]- فريد الشافعي: مئذنة جامع ابن طولون رأي في تكوينها المعماري (مجلة كلية الآداب المجلد 14، الجزء 1، عام 1952، ص197-198.

[2]- فريد الشافعي: نفسه، ص480-481.

[3]- Encyclopédie britanica, vol 11, p670-676.

[4]- دائرة المعارف الإسلامية: مادة "المنارة"، ص52.

[5]- زكي محمد حسين:المرجع سابق، ص 51.

وتختلف كل مئذنة عن الأخرى في أسلوب بنائها وزخرفتها، فواحدة ذات قنوات حلزونية وأخرى ذات قنوات عمودية، وثالثة مزينة بالأشكال والمعينات، والثلاثة الأولى ذات شرفة واحدة. أما الرابعة فهي ذات ثلاثة شرفات، ويبلغ قطر هذه المئذنة ستة أمتار (6م) وارتفاعها سبعة وستون مترا وخمس وسبعون سنتيمتر (67,75م) وبداخلها يوجد سلم خاص يوصل إلى الشرفة. وتعتبر هذه المئذنة أعلى ما شيده المعماري التركي حتى ذلك الحين قبل أن يصل ارتفاع مئذنة السليمية إلى سبعين مترا وتسعة وثمانين سنتيمترا (70,89م)[1]، قام الأتراك العثمانيون بنقل هذا الطراز لكل البلاد التي حكموها كالشام ومصر وشمال إفريقيا. في حين اكتفى المعماري المسلم في بلاد المغرب بمئذنة واحدة، أما المعماري التركي زاد في عدد المآذن من واحدة في مسجد محمد الفاتح إلى أربعة مآذن في السليمية وثلاث شرفات ليصل إلى ستة مآذن في جامع السلطان أحمد في إسطمبول[2].

4-المئذنة المثمنة:

لقد عرفت العمارة الدينية العثمانية ظهور أشكالا جديدة من المآذن، أعطت للمسجد مظهرا خاصا ميزها عن غيرها، فقد خلق العثمانيون تراثا معماريا مائلا في الجزائر، فقد بلغ عدد المساجد في العاصمة الجزائرية سنة 1581م مائة مسجد، أما في سنة 1840م قدر عدد المساجد بمائة واثنين وعشرين مسجدا بما فيه ثلاثة عشر مسجدا جامعا[3]. ولاكن لم يبقى منها إلا عدد قليل، فهذه المساجد تعود إلى القرن الثامن عشر أستعملت فيها المئذنة ذات قاعدة والبدن المثمنين:

مسجد الجامع الداي:

يوجد هذا المسجد في قلعة القصبة، وسط مركب عمراني. يحيط به حمامات ومطابخ وكذلك مسجد الجيش وقصر الأغا بني المسجد عام 1234هـ/1819م من طرف الداي

[1]- بلحاج طرشاوي: المرجع السابق، ص53.

[2]- زكي محمد حسن: المرجع السابق، ص15.

[3]- George Marçais:Architecture musulmane d'occident..... p426.

حسين* فالمسجد عبارة عن قاعة الصلاة مربعة الشكل مغطاة بقبة كبيرة مظلعة ويحيط بها في الجهات الأربعة رواق مغطى بخمسة قبيبات صغيرة.

وفي الركن الجنوبي الغربي لبيت الصلاة، تنتصب المئذنة التي ترتفع قاعدتها المثمنة والبارزة عن جدار البدن بـــ1.50م.

اما البدن فهو مثمن الشكل يبلغ طوله حوالي 6.50م، يعلوه طنف تقوم عليه شرفة مثمنة الشكل يبلغ إرتفاعها 0.74م، مقاسات أظلاعها من الداخل تتراوح بين 1.02م و1.18م اما سمكها 0.41م بها ثمانية شرفات هرمية الشكل، يتوسط الشرفة جوسق يتكون من جزئين، الجزء السفلي مربع الشكل (1.10 x1.10م) ويقدر إرتفاعه ب 0.94م بفتحة معقودة بعقد نصف دائري عرضها 0.54م وطولها 1.10م، أما الجزء العلوي فهو الآخر مثمن الشكل، تتراوح طول أظلاعه بين 0.43م و0.50م، وإرتفاعه 1.69م ويحيط به شريط من البلاطات الخزفية، رسومات تتكون موضوعها زخرفيا عبارة عن أشكال هندسية وأخرى نباتية، يتوج الصنف الذي يعلو الشريط سقف مخروطي مغطى ببلاطات خزفية خضراء وبيضاء يعلوها سفود به تفافيح.

5- المئذنة الهرمية

المسجد القديم ببنورة BOU-NOURA

يعود تأسيس مدينة بنورة إلى سنة 1046 أو 1048 فوق رأس هـــضبة، وتقـــع المدينة على بعد 1800م شمال بني يزقن، أما المسجد فهو من أقدم مساجد منطقـــة وادي ميزاب، بني خلال القرن الحادي عشر الميلادي، يحتل المسجد موقعا استراتيجيا في قمة الهضبة التي تتدرج من حولها مباني مدينة بنورة.

يعد مسجد بنورة نموذجا لكل مساجد مزاب، انتشر مخططة فـــي كامـــل المـــدن المزابية الخمس قبل أن يتعرض لإضافات متتالية، ولم يبق من المـــسجد ســـوى قاعـــدة الصلاة والمئذنة وبيت الوضوء.

إن مئذنة المسجد قد تعرضت إلى الانهيار في 1902-1903[1]. ولم يتم إعادة بنائها إلا في سنة 1983م تحت إدارة ومراقبة المهندس المعماري الاسباني Gabord، وتحت إشراف ورشة حماية وترميم وترقية سهل وادي مزاب. ويبدو أن عملية الترميم وإعادة البناء لم تكن سليمة من حيث الشكل فجاءت المئذنة منتفخة من جزئها السفلي بشكل فظيع بحيث لا يتناسب مع ارتفاعها[2].

تبدو المئذنة من الخارج على شكل هرم ناقص، إذ تميل واجهتها الأربعة نحو الداخل في شكل انسيابي، وتضيق كلما ارتفعت نحو الأعلى مشكلة بذلك هرما ناقصا، ويبلغ الارتفاع الكلي

للمئذنة بعد الترميم وإعادة البناء من الأرض إلى قمة الأعمدة الصغيرة 12.50م وتشكل القاعدة هنا ممرا يؤدي إلى بيت الوضوء[3].

يتم الولوج إلى الطابق الأول من المئذنة بواسطة مدخل المئذنة الذي يوجد في سطح المسجد، ويمكن الصعود إلى هذا المدخل عن طريق سلم خارجي صاعد يتكون من عشر درجات، ويفضي هذا المدخل إلى داخل المئذنة بواسطة باب خشبي مصنوع من جذور النخيل، تتألف المئذنة من قاعدة وثلاث طوابق، فأما القاعدة ذات المخطط القريب من المربع(4.60م x 4م) فتشكل في نفس الوقت ممر يؤدي إلى بيت الوضوء، ويبلغ سمك جدران القاعدة 0.70م وأما الطابق الأول فيشمل على النواة المركزية مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها 0.80م، ويلتف حولها في شكل حلزوني سلم صاعد يؤدي إلى الطوابق العليا[4].

تنتهي المئذنة في الأعلى بجوسق جاء على شكل امتداد لبدن المئذنة وهو مغطى بقبة صغيرة يبلغ قطرها 1.35م والتي ترتفع عن أرضية الجوسق بحوالي 2.30م. وتعمل

---

[1] - Yvres Bonet:" Note sur l'architecture Religieuse au Mazb" Cahier des arts techniques d'Afrique du nord N°61960-1961 p89 p:86-92

[2]- بالحاج معروف: العمارة الإسلامية: مساجد مزاب والمصليات الجزائرية، منشورات قرطبة، الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م، ص89.

[3]- نفسه، ص90.

[4]-- بالحاج معروف: المرجع السابق، ص91.

هذه القبة على وقاية المؤذن من الحرارة الشديدة ومن الأمطار. وزيادة على ذلـــك فهـــي تساهم في عملية تردد الأصوات، ولاسيما أنها مصنوعة من الفخار.

وتتوسط جدران الجوسق الأربعة فتحة معقودة بعقد نصف دائري، ويبلغ عرض كل فتحة 0.75م، وارتفاعها 0.80م. وعن طريق هذه الفتحات يخرج صوت المؤذن لينتشر في كل أطراف المدينة، تنطلق من الأركان الخارجية الأربعة للجوسق أعمدة صغيرة الحجم وقصيرة وهي عبارة عن نتوءات منفتحة في الأسفل وضيقة في الأعلى وهي بمثابة الشرفات، ويبلغ ارتفاعها 2 متر، وفتحت في جدران المئذنة بعض الفتحات الصغيرة الحجم التي تعمل على إدخال الضوء والهواء ويبلغ عرض هذه الفتحات حوالي 0.15م، وارتفاعها حوالي 0.35م[1].

[1] بالحاج معروف: المرجع السابق ،ص90.

الفصل الثالث

طرز المآذن للغرب الجزائري

1- المسجد الكبير بتلمسان :

يعتبر جامع الكبير بتلمسان أحد روائع الفن والعمارة المرابطة في الجزائر حيث تداخلت فيه الكثير من مظاهر التأثيرات المغربية الأندلسية.

ولقد بنيي هذا المسجد في عهد علي بن يوسف بن تاشفين سنة 530هـ 1135م، وتؤكد ذالك الكتابة الموجودة على قاعدة القبة الموجودة أمام المحراب:

"بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم هذا ما أمر بعمله الأمير الأجل.....أيده الله واعزه نصره وأدام دولته وكان إتمام على يد الفقيه الأجل القاضي الأول أبي الحسن علي بن عبد الرحمان بن علي أدام الله عزهم فتم في شهر جمادى الأخير عام ثلاثين وخمس مائة"، ومع أن اسم الأمير الذي أمر ببنائه قد محي قصدا من طرف الموحدين فإن هذا التاريخ (530هـ-1135م)

هي الفترة التي حكم فيها الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين بتلمسان. لعل هذا الأمير لم يشيد المسجد بل بل أعاد بنائه وترميمه[1].

ومن خصوصيات تخطيط الجامع تتمثل في واجهة القبلة(اللوحة 24) والقبة (اللوحة 25) التي تتقدم المحراب.

وقد تعرض الجامع لإصلاحات في العصر الموحدي، وأضيفت إليه في العصر الزياني زيادة تضم بنيان المئذنة(اللوحة 18) مما يبين أن الزيادة التي أجريت في الجامع شملت بيت الصلاة حتى الموقع الحالي للمئذنة[2].

يبلغ طول المسجد 60 متر وعرضا 50 متر، ويبلغ طول قاعة الصلاة 49.30م وعرضها 25م وتتألف من مساحة مربعة الشكل وهي محاطة من جهة الشمال

---

[1]- George Marçais :manuel..... p313

[2]- George marçais: " sur la grande mosquée de Tlemcen. In Amnales de l'institut d'études orientales tome VIII ; Edition la typo – Litho et Julie Carbonel Serger, 1949-1950, P275

برواقين(اللوحة 26) تقطعها مئذنة مربعة، ومحاط بثلاث أروقة في الشرق وأربعة في الغرب، وهدا التعدد تجده في الجامع الكبير في العاصمة وفي فاس وهو من خصائص العمارة المرابطة[1] وتتألف قاعة الصلاة من 13 بلاطة تتجه عموديا على جدار القبلة ويحدها 12 صفا من الدعائم المربعة ويفصل بين أساكيب بين الصلاة صف من العقود الموازية لجدار القبلة تقسم بيت الصلاة إلى مجموعتين تحتوي كل واحدة على ثلاث أساكيب، اما البلاطة الوسطى أكثر البلاطات اتساعا في المسجد وهو تأثير استوحاه المعماري المرابطي من مسجد قرطبة[2]. أما سقف المسجد مصنوع من الخشب، ومزين بحاملات تشبه متوازي الأضلاع ومزخرفة بخصون ملتوية وحبات كوز الصنوبر[3].

مئذنة الجامع الكبير:

بنيت مئذنة مسجد الجامع الكبير في عهد بني زيان بأمر الأمير الزياني يغمراسن بن زيان سنة 679هـ/1280م وهي السنة التي أقيمت فيها مئذنة جامع أقادير بتلمسان، ولذالك فهي وثيقة الصلة من حيث طابعها العام وأسلوب بنائها[4] وتعتبر هذه المئذنة نموذجا للمآذن الزيانية في المغرب الأوسط وهي رائعة الجمال تتدرج بمظهرها الأصيل في عداد المآذن المربعة التقليدية في الشمال الإفريقي، كما أنها لا تختلف إطلاقا في نظامها عن مئذنة جامع أقادير[5].

تقع المئذنة في منتصف الجدار الشمالي للجامع على محور المحراب وهي بهذا تخالف ما كانت عليه أغلب مآذن هذه الفترة، فهي تحتل الجهة الشمالية الشرقية للمسجد[6] فهي مربعة الشكل وتتألف من طابقين:

---

[1]- George Marçais: Manuel..... p313

[2]- George Marçais: Sur la grande p275

[3]- عبد العزيز فيلالي:تلمسان في العهد الزياني(ط1، الجزائر م و ف م، 2002) ج 1 ص14

[4]- Marçais (G et W): les monuments Arabes de Tlemcen;Albert Fontemoing Editeur, Paris 1903 P143

[5]- Berque (A): L'Algérie terre Art et histoire, ouvrage publié sous les auspices du gouvernement général de l'Algérie. Alger 1973, P158

[6]- George Marçais : Tlemcen p19

الطابق الأول:

البرج الرئيسي(اللوحة 20) ذو قاعدة مربعة الشكل يصل ارتفاع البرج إلى 26.15م وضلعها يساوي 6.30م[1] ويدور في الفراغ ما بين الجدار الخارجي للمئذنة و الدعامة المركزية الذي يبلغ طولها 2.80م ويبلغ ضلع البرج من الداخل 4.72م أما عدد درجات السلم فيصل إلى 130 درجة، عرض الواحدة منها 0.95م ويحتوي كل جناح من 5 إلى 6 درجات[2]، نصل إلى الدرج عن طريق باب من الخشب على اليسار غرفة بابها من الخشب ربما كانت مخصصة لحفظ مستلزمات المسجد وقد تكون مناما للمؤذن.يتخلل جدار الطلعة الأولى(Premier volet) الذي يشتمل على 6 درجات فتحة على شكل مزغل(Meurtrie) واسع من الداخل وضيق من الخارج، أما الطلعة الأخيرة التي تفضي إلى سطح الطابق الأول تشمل على 10 درجات ينتهي البرج بحائط صغير يبلغ ارتفاعه 1.36م وسمكه 0.52 م وينتهي هذا الحائط بشرفات مسننة[3] ويبلغ ارتفاع الرشرفة 0.96م وعرضها في القاعدة 1.10م أما عرضها في القمة يساوي 0.40م ويبلغ عدد الشرفات 12 شرفة عادية و4 شرفات زاوية أما عدد أسنانها فهي 5 أسنان. وتتفتح في جدران المئذنة فتحات مربعة للاضاءة و التهوية، أما المزاغل من المحتمل أنها كانت تؤدي دور المراقبة أثناء الحصار المريني لتلمسان، وبجرد القول أن القبوات المتقاطعة التي تعلوا الدرج بالقرب من السطح الطابق الأول من المئذنة ثم رممت بعوارض من الخشب و الحديد لتدعيم جدار المئذنة، أما الدوة الأخيرة تؤدي إلى سطح الطابق الأول الذي ينصب عليه الجوسق.

الطابق الثاني:

يتمثل في من جوسق المئذنة(اللوحة 22) ويبلغ ارتفاعه 4.70 م ابتداءا من نهاية البرج الأول وعرض قاعدته 2.90 م ويحيط بالجوسق حائط صغير يبلغ ارتفاعه 1.36 م

---

[1]- طرشاوي بلحاج: المرجع السابق ص25.

[2]- Rachid BOUROUIBA : L'art musulman p187

[3]- Rachid BOUROUIBA, Ibid, p186

وسمكه 0.52 م وينتهي الحائط بشرفات مسننة[1]، ويبلغ ارتفاع الشرفة 0.40 م ويبلغ عدد الشرفات 12 شرفة عادية و4 شرفات زاوية أما عدد أسنانها فهي 5 أسنان. وينتهي الجوسق بقبيبة بوصلية الشكل يعلوها عمود معدني بأمور مثبت عليه تفاحتين كتب عليها النص اليمن والإقبال[2](اللوحة 27).

زخرفة المئذنة:

إن زخرفة الطابق الأول(اللوحة 20) من أوجهه الأربعة تكاد أن تكون متماثلة، فكل واجهة تتوسط نصفها العلوي حشرة مستطيلة الشكل تزداد بشبكة من المعينات منبثقة من أربعة عقود مفترضة وتتقاطع فيما بينها مؤلفة من شبكة المعينات وترتكز على هذه العقود على خمسة أعمدة، إن شبكة المعينات التي تكسوا البرج تكاد أن تكون متطابقة فتجد في الواجهتان الشرقية والغربية نجد 7 صفوف كل صف يتكون من معينات و 6 صفوف من 3 معينات ومجموع 32 معينا. أما الواجهة الجنوبية نجد 6 صفوف كل صف يحتوي على 4 معينات و7 صفوف كل صف يحتوي على 3 معينات. فتتكون المجموع 45 معين. أما القسم العلوي للمعينات فينتهي بعقد رخو برأس واحد يتناوب مع عقد رخو برأسين من الواجهة الشمالية والغربية.

أما زخرفة الجوسق(اللوحة 22) فهي متماثلة في الأوجه الأربعة يتوسط الجوسق إيطار مستطيل به عقود على شكل جدوة فرس ويحتوي على شبكة من المعينات ويحيط به إفريز من الفسيفساء يكسوهما تربيعات من الزليج.

---

[1]-Rachid BOUROUIBA:op cit Ibid, P 136

[2]- صالح بن قربة: المرجع السابق، ص 96.

2- المسجد الكبير بندرومة:

شيد هذا الجامع بندرومة(اللوحة 35) ، حيث يمتاز بلبساطة، ويرجع تأسيسه حسب بورويبة في شوال سنة 539 هـ/1145م[1] ، وهو من أهم الآثار التي قام بها المرابطون بإنشائها في المغرب الأوسط .

المسجد عبارة عن مستطيل ينوسطه صحن الذي يبلغ طوله وعرضه 6.80 م أما قاعة الصلاة فيبلغ طولها حوالي 28.30 م وعرضها 9.70 م.[2]

ونلاحظ أن قاعة الصلاة(اللوحة 35) ثلاث مرات عريضة بالنسبة لطولها Espace Barlong وهذه الظاهرة تجدها في المساجد الأولى في الإسلام ، وذلك لتسوية الصفوف أما البلاطات فهي عمودية على جدار القبلة ويبلغ عددها تسعة بلاطات وثلاثة أساكيب وثلاث بلاطات في كل مجنبي الصحن الشرقية والغربية ويزيد اتساع البلاطات الوسطى عن البلاطات الأخرى فيبلغ 2.77 م.

منذنة جامع ندرومة:

آخر منذنة(اللوحة 36) شيدت في أواخر حكم بني عبد الواد هي منذنة جامع ندرومة بتاريخ 749هـ/1348 م، من قبل السكان ندرومة نفسها ويؤكد هذا التاريخ الكتابة المنغرسة على الرخام في الجهة اليمنى من المدخل الرئيسي للمئذنة وتلتسق المئذنة بالجدار الشرقي للجامع بجانب المدخل الرئيسي فهي ذات طابقين مربعة الشكل طول ضلعها 4.90م أما ارتفاعها الكلي يبلغ 24.70م

---

[1] - Rachid BOUROUIBA : L'art religieux....., P108

[2] - Rachid BOUROUIBA : Apports de l'Algerie à l'architecture religieuse arabo islamique ,office des publications universitaires,Alger 1986,p 31.

الطابق الأول:

مربع الشكل(اللوحة 40) ارتفاعه 20.50 م تدخل إلى المئذنة بواسطة باب يؤدي إلى درج يفضي إلى سطح الطابق الأول ويبلغ عدد الدرجات 102 درجة ويبلغ طول كل درجة من الدرجات 82 سم أما نظام توزيع الدرجات فيتغير بأعلى درجة في الدورة الأخيرة حيث تنقسم الدعامة المركزية إلى قسمين تخترقها عشرة درجات تؤدي إلى جوسق المئذنة، يدور الدرج حول دعامة مركزيةصماء طول ضلعها 1.20 وبسقف الدرج قبو نصف أسطواني ينحصر بين قبوين متقاطعين الزوايا وتتخلل الجدران الداخلية للمئذنة فتحات على شكل مزاغل.

الطابق الثاني:

عندما تصل إلى آخر درجة في الدورة الأخيرة للطابق الأول نجد درجا آخر يؤدي إلى غرفة المؤذن الذي يبلغ ارتفاعها 4.20 م فهي أعلى جزء من المئذنة ذات شكل مربع تعلوها قبة ويعلوها سقف بارز خالي من الكريات(اللوحة 41).

زخرفة المئذنة:

إن زخرفة أوجه المئذنة غير متماثلة في الأوجه الأربعة(اللوحة 38) فكل واجهة مكسوة بمعينات تغطي معظم المساحات مغلفة بزخارف أجرية ولقد زينت وجوهها الأربعة بزخارف الوردية التشكيل[1].

وعلى العموم تتمثل زخرفة المئذنة الطابق الأول بحشوتين متراكبتين الأولى صغيرة تنحصر داخل إيطار مستطيل الشكل وزخرفتها عبارة عن عقدان مفصصان بينهما عمود مركزي في الوسط، فالوجهتان الشمالية والجنوبية تتحلى بعقود نصف دائرية متجاورة خماسية الفصوص.

---

[1]- عفيف بهنسي: الموسوعة الأثرية ص574 .

أما الحشوة الثانية فهي أكبر صحنا من الأولى وتحتل معظم سطح الطـــابق الأول وتمتاز زخرفتها بعقود ثلاثية مقرنصة رؤوسها مدببة تقوم على عمودين مركزيين تحتل شبكة من المعينات تتوزع كالتالي:

10 صفوف وفي كل صف 6 معينات

8 صفوف في كل صف 4 معينات

أما زخرفة الجوسق فهي خالية من أي زخرفة بل يعلوها فتحة على شكل عقـــد نـــصف دائري متجاوز، أما شرفة المئذنة فهي عبارة عن حائط بخمـــسة عقـــود مقرنـــصة فـــي الواجهتين الشمالية والجنوبية وثلاثية عقود مقرنصة في الواجهة الشرقية والغربية.

3- جامع المنصورة:

لم يتبق من الجامع اليوم إلا جدران من الطـــوب المـــدكوك ومداخلـــه ومحرابـــه والأوجه الثلاث الخارجية لمئذنته الشامخة التي لا تزال قائمة تقاوم صروف الدهروإهمال الإنسان وقد بنيت جدران الجامع بالطابية بسمك يقدر حوالي 1.50م ويختلف إرتفاعها من جهة الى أخرى ويصل أحيانا الى 6.50م ويشغل الجامع مستطيلا مقاسانه الخارجية 85م طولا 60xم عرضا[1] . يمتاز الجامع بالتوازن والتناسق Symétrie بين اقسامه واجزائـــه وبفضل هدة المقاسات يعتبر مسجد منصورة من اكبر مساجد المغرب الأوسط.

بني جامع المنصورة عام 702هـــ /1302م بأمر السلطان مرينـــي ابـــو يعقـــوب يوسف بن عبد الحق(اللوحـــة 43). وحـــسب أبـــي زرع يـــذكر فـــي حـــوادث ســـنة 701هـــ/1301م عن أبا يعقوب".....بني تلمسان الجديدة ومدنها وبني بها الحمامات العظيمة.....وجامعا كبيرا للخطبة اقامه على الصهريج الكبير[2]. ويقول أيـــضا إن أبـــي

---

[1]- Rachid BOUROUIBA : l'art religieux....., p160

[2]- ابن ابي زرع (أبو الحسن علي) :الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، مطابع جوهانس، تور نبرج 1843، ص 268.

يعقوب انه في سنة الموالية بنى السور العظيم على تلمسان الجديدة وذلك في الخامس من شوال[1].

بقع الجامع في مصطبة مسطحة بأعلى هضبة صلبة من صخور كلسية تأخذ في الارتفاع من الشمال إلى الجنوب وموقعه مجاور السور الغربي للمدينة ولا يبعد عن مدخله إلا بعض مئات من الأمتار[2].(اللوحة 44)

ويحتل المسجد موقعا استراتيجيا مما جعله في مأمن من العدوان الزياني وقد أحيط هذا الجامع بسور خارجي لأهميته مثل السور الخارجي المحيط بالمدينة.

والمئذنة التي تعرضت للخراب فتهدمت جوسقها ونصفها الداخلي وجزءا من الواجهتين الشرقية والغربية وتهدمت واجهتها الجنوبية كليا(اللوحة 49)، وهي اليوم أشبه ما تكون بالقوقعة الفارغة وقد لحق بالمسجد الخراب الذي لحق بمدينة المنصورة.

ويحيط المدخل المعقود للمئذنة والمسجد معا إيطار مستطيل مقاساته بين 15سم و20سم عرضا، نقشن به كتابة تاسيسية بالخط النسخي المغربي الاندلسي لم يكن من السهل على بروسلار حل رموزه إلا بمساعدة أحد الضالعين في اللغة العربية من التلمسانيين وكان مضمونه ذالك الكتابة يشير الى مؤسس الجامع وألقابه[3]، نطالع في الشريط الكتابي" الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين أمر ببناء هذا المسجد المبارك أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين المقدس المرحوم أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق رحمه الله" مما يدل على أن كتابة المئذنة نقشت بعد وفات أبي يعقوب يوسف، ويستنتج ان الجامع لم يكتمل بنائه في عهد أبي يعقوب نتيجة لورود لفظ كلمة المرحوم. ويقول إبن مرزوق التلمساني في سياق حديثه الذي يقارن فيه جامع أبي يعقوب وجامعي قرطبة وجامع المنصور بمراكش "لو أن جامع المنصورة أكمل بنائه وزخرفته لم تقل

---

[1]- نفسه، ص 267.

[2]- BROSLARD(M.C) : Les inscriptions arabes de Tlemcen, Mansouria in revue africaine, 3ème Année, N°17, Juin 1859, p330

[3]- لعرج عبد العزيز: المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، رسالة دكتراه ، مكتبة الآثار، جامعة الجزائر، 1999: ص 95.

عظمة وروعة عن الجامعين المذكورين"[1] مما يشير إلى أن الجامع لم يكتمل وكان يفاخر به سلاطين بني زيان.

تعرضت مدينة المنصورة إلى التخريب على يد بني عبد الواد ثم اشتد الصراع بينهم وبين بني مرين فبقيت المدينة تحت الحصار لمدة سنتين (735-737هـ/1334-1336م).[2]

أننا نجهل حالة الجامع ومئذنته التي وجدهما عليها أبو الحسن المريني حين نزوله إلى تلمسان ولكن مضمون الكتابة التأسيسية السابقة تشير إلى أن الجامع بمئذنته كان قائما، وأن أعمال أبي الحسن المريني فيه اقتصرت على التجديد والزخرفة، وهو ما دعى ابن مرزوق إلى ردّ فضل تأسيس الجامع الى صاحبه بالاشارة اليه بصفة المرحوم "ورحمه الله"[3].

يتميز جامع المنصورة في تخطيطه العام وحدوده الرئيسية باتساع وبعد أقدم مسجد مريني في المغرب الأوسط فهو متوسط الحجم إذا قارناه مع الجوامع الموحدية الكبيرة والجوامع المرينية في القرن 8هـ/14م ولكنه يقترب من مساحة جامع الكتيبية مع اختلاف في النسب كما يتباين في امتداده الطولي عن جامع فاس الجديدة[4].

مئذنة جامع المنصورة:

تقع المئذنة في منتصف الضلع الشمالي للجامع وهي ترتفع فوق مدخله الرئيسي المحوري بقاعدتها، وقد اندثر جوسقها المتوج لها ونصفها الداخلي المشرف على داخل الجامع على بعض أجزاء الواجهتين الشرقية والغربية، ورغم ما تهدم منها فإنها ما تزال أجزاءها الباقية تحتفظ بأصالتها المعمارية وقيمتها الفنية، وقد أشار ابن خلدون الى بناء

---

[1]- ابن المرزوق التلمساني: المسند الصحيح في مآثر المولى أبي الحسن تصحيح الاستاذ ليفي بروفنسال، اميل لاروز، باريس 1925، ص17.

[2]- عبد الرحمان بن خلدون: العبر، ص 459 2

[3]- George Marçais : l'architecture .....p273.

[4]- H. Terrasse, L'art hispano mauresque,Publicatuion de l'Institut des hautes études marocaines, Tome XXV, Paris, Les éditions G. Van Oest 1932, p219

المئذنة بقوله"... وابتنى بها جامعا يشيد له مئذنة رفيعة..."[1]. ولا تزال هـذه الـصومعة قائمة حتى اليوم رملية اللون رائعة الحجم. وهي مبنية من الحجر الرملي، وتمتـاز هـذه الصومعة عن غيرها من صوامع الجزائر من أنها أكثرها ارتفاعـا وأنهـا تقـوم علـى حجرات متوضع بعضها فوق بعض تماما كما هو الحال في صوامع الكتيبية في مراكش وحسان في الرباط[2].

بنيت مئذنة المنصورة في شكل مربع طول ضلعها 10 أمتار وعلوها شاهق يصل إلى 45م وبناؤها متناسق وكانت مؤلفة من برجين، البرج الرئيسي وهو البدن وبرج آخر وهو الجوسق، وقد هدم هذا الجوسق كله ولم يبق منه أي أثر[3].

ندخل المسجد من قاعدة المئذنة في خاصية فريدة من نوعها يمتاز بها جامع المنصورة عن باقي المساجد، يعلوا الباب قوس نصف دائري Arc en plein centre مقياسها 2.5م وهي مزينة ببدخ الزليج المطلي (Faience emaillée)، ومتوجة بشرفة balcon مزخرفة أيضا ببدخ وفي محيط هذا الباب نقشت كتابة بخط أندلسي غير واضح نصها كالآتي" الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، أمر ببناء هذا المسجد المبارك أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين المقدس المرحوم أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق رحمه الله" ويظهر أن هذه الكتابة قد تمت بعد موت الأمير المريني وأغلب الظن انها كتبت في فترة الحصار الثاني لتلمسان[4].

يؤدي مدخل المئذنة الى ردهة مستطيلة الشكل مبلطة بالآجر على جانبها غرفتان اليمنى مستطيلة الشكل ومغلقة يعلوها بقايا عقد أما اليسرى فلا تزال تظهر فيها أثار قبوات متقاطعة[5] وحسب ليزين أنها كانت مخصصة لحفظ أثاث المئذنة.[6]

---

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون: العبر، ص 458

[2]- عفيف بهنسي: موسوعة الثرات المعماري 2، ص 547

[3]- عبد الكريم عزوق: القباب والمآذن في العمارة الإسلامية. ص64.

[4]- طرشاوي بلحاج: المرجع السابق، ص76.

[5]- عبد الكريم عزوق: نفسه، ص65.

[6]- Lezine(A): Notes d'archeologique Tlemcenienne in Bulletin d'archéologie algérienne, Tomme I, 1962-1965, Edtions E de Boccard, Paris 1967, p270

تتركب المئذنة من الداخل على نواة مركزية مجوفة يبلغ طـول ضـلعها 2.51م ويحيطها سور سمكه حوالي1م، وقد حمل الحائط الجنوب الشرقي و الشمالي الغربي فوق السقيفة بعقود مزدوجة اندثرت حاليا ولم يبق منها الا اثرها ويتفق الجزء إلا على بـرج المئذنة من حيث الحجم مع جوسقها المندثر غير ان تصورنا له يجعلنا نـرجح مقـاس عرضه بحوالي 4.50م[1]. ومن خصوصيات هذه المئذنة أننا نصل إلى سـطحها العلـوي بواسطة طريق صاعد يشبه بحد كبير المنحدرات التي تظهر في فترة حكم العباسيين، ففي مئذنة جامع المتوكل وأبي دلف في سمراء في القرن الثالث الهجري كان لهما منحـدران خارج المئذنة غير أن هذا المنحدر في مئذنة المنصورة يوجد بداخلها، وقد ظهـر هـذا الطراز لأول مرة في مئذنة الكتبية بمراكش وهي من أجمل المآذن في المغرب والأندلس في رقتها وتناسق عمارتها[2]. ثم نجد بعد ذلك في منذنة حسان بالرباط، وهي تشبه منـار الاسكندرية في ارتفاعها والطريق الصاعد إليها، أدى بالكثير من الباحثين الـى تـرجيح تأثير المآذن الموحدية بمنار الاسكندرية. فلعل الموحدين حين استولوا على القلعـة سـنة (547هـ - 1125م) فقد أعجبهم هذا الطراز واقتبسوه من العمارة الحمادية وهو الـرأي الذي يميل إليه قولفين (Golvin)[3].

يقول ابن المرزوق عندما يصف ممر المئذنة" ولاشك أن صومعته لا تلحق بها صـومعة في مشارق الأرض ومغاربها صعدتها غير مرة مع الأمير أبي على الناصر، وهو رحمه الله على فرسه وأنا على بغلتي من أسفلها إلى أعلاها... وكانت على الباب الجوفي منـه ولها ممران، يطلع فيها إلى أعلاها..."[4] ومن هذا الوصف يتضح لنا أن المئذنـة كانـت توجد بها غرف في طبقاتها المختلفة يدل على ذالك النوافذ الحديدية إما على شكل مزاغل أوعلى شكل طاقات مختلفة الاشكال (مربعة، مستطيلة) مخصصة للإضاءة والتهويـة و المراقبة ولا تشك في وجود غرفة للحراسة بالمئذنة بدليل أنه ينفتح في جـدرانها منافـذ

---

[1]- Lezine(A): Op Cit, p270

[2] - H Basset et H Terrasse : « sanctuaires et forteresses almohades », collection Hesperis institut des hautes études marocaines N°VI La rose éditeur. Paris 1932, P 108-109.

[3] - Lucien Golvin: op cit p 286.

[4]- ابن المرزوق التلمساني: المصدر السابق، ص 12.

عديدة، ويتم الوصول الى القمة بواسطة طريق صاعد أو منحدر يدور سبعة دورات حتى شرفة المئذنة[1] وفي أعلى البرج الأول يوجد الجوسق وقد كان يعلوه سفود من الحديد علقت به ثلاث كريات على هيئة تفافيح ويذكر ابن مرزوق أنه رأى هذا السفود قائما وهو من الحديد والتفافيح [2]قد اختفت بعد سقوط الجوسق.

زخرفة لمئذنة:

الواجهة الرئيسية:

تنقسم واجهةالمئذنة إلى خمس حشوات متراكبة:

الحشوة الاولى: تتكون من قوس بارز متعدد الفصوص تتناوب فيه وهو فصوص كبيرة واخرى صغيرة، يرتكز على عضاضتين(اللوحة 47) وتطوقه زخرفة هندسية قوامها أقواس متقاطعة تتخللها دوائر مفرغة كل فص منه يشمل على ثلاث فصوص صغيرة مرصعة بقطع من الفسيفساء الزخرفية السوداء اللون ذات أشكال بيضية، ويحيط العقد تربيعة تمتد إلى المستوى الادنى للعضادات ويشغل بنيقتان خواصر العقد زخارف نباتية محفورة وهي في الحجر المتداخلة فيما بينها قوامها مراوح نخيلية بسيطة وبراعم نباتية، وتبرز في كل من البنيقتين محارة بارزة ومفصصة ويدور بهذه الحشوة الزخرفية التي تعلوا مدخل المئذنة شريط عريض من الكتابة النسخية على ارضية نباتية تنتهي حروفها بمراوح نباتية. (اللوحة 45)

الحشوة الثانية: تتألف من بائكة من سبعة عقود مقرنصة صغيرة وكبيرة على التناوب ترتكز على أعمدة صغيرة وتبدو هذه البائكة بارزة عن وجه المئذنة(اللوحة 46)

ومن الجدير بالذكر أن هذه العقود المقرنصة ظهرت لأول مرة في زخارف المئذنة الجزائرية، ويلي هذه البائكة طاقتان واحدة في كل جانب ينحصر بينهما إفريز بارز يرتكز على البائكة البارزة[3].

---

[1]- George Marcais :L'architecture.....,p274.

[2]- ابن المرزوق التلمساني: المصدر السابق ، ص 17

[3]- عبد الكريم عزوق: المرجع السابق، ص 102

الحشوة الثالثة: تتألف من فتحة مربعة الشكل معقودة بعقد مقرنس منكسر تحيط به تربيعة(اللوحة 2/48)، ويلف هذه المجموعة عقد بارز مقرنص منكسر كبير الحجم، وتنتهي الحشوة من أعلى بفتحتين مستطيلتين يعلوا كل حشوة كل جانب.

الحشوة الرابعة: تنقسم إلى ثلاث لوحات رأسية(اللوحة 1/48)، اللوحات الجانبية منهما متناظرتان تتكون من عقد متعدد الفصوص تتناوب فيه الفصوص المستديرة مع الفصوص المدببة، وكان العقد يتركز على عمودين اختفيا حاليا. يعلوا هذا العقد شبكة من المعينات، قوامها متقاطعة تتألف من فصوص مماثلة لفصوص العقد وكلها من الآجر رصعت بقطع خزفية (خضراء وخضراء فاتحة وسوداء اللون) ويتوسط القطاعين المتناظرين قطاع أوسط يتألف من نافذتين متراكبتين مستطيلتين معقودتين بعقدين نصف دائري تطوق كل منهما تربيعة، ويعلوا هذا القطاع معينات تتصل بالشبكتين السالفتي الذكر.

الحشوة الخامسة: قوامها بائكة من خمس عقود مفصصة ترتكز على ستة 6 أعمدة من الرخام الأبيض لم يتبق منها إلا أربعة وفي وسط كل عقد فتحة مربعة الشكل صغيرة ماعدا الفتحة الوسطى فهي فتحة مستطيلة الشكل كبيرة الحجم(اللوحة 1/48)، وينتهي هذا الطابق من المئذنة بمسطح عاطل من الزخرفة تليه قمة المئذنة التي لم يبق منها أي أثر.

الواجهة الجانبية: تتكون الواجهة الجانبية من أربعة حشوات:

الحشوة الأولى: تزدان تجويفتين موزعتين كل واحدة في جانب الفتحة الشمالية غائرة، تفتح أسفلها طاقة مستطيلة الشكل وعقد اعلاها بعقد متعدد الفصوص ويعلوا هذا العقد شبكة من المعينات المتشابهة، أما الطاقة الجنوبية فصماء وهذه الجوفة معقودة بعقد منكسر، ويتوسط الجوفين على مستوى أكثر ارتفاعا، جوفة أخرى معقودة بعقد نصف دائري، ويعلوا العقد إطار بقيت فيه الزخارف الهندسية تمثل خطوطا وأشكالا معينات وفصوص.

الحشوة الثانية: تتألف من مربع غائر ينحصر بين إفريزين بارزين ينتهي أعلاه بدخلتين مربعتي الشكل وتزدان هذه الحشوة بعقد منكسر متدرج، يضم عقدين مقرنصين، أما جدار المئذنة يتراجع ويضيق محيطه كلما ارتفعت.

الحشوة الثالثة: تتألف من عقد مقرنص ينبثق من مفتاحه نحران يمتدان وتتقاطع معها نحور أخرى مؤلفة شبكة من المعينات رصعت أرضيتها بقطع الفسيفساء الخضراء والسوداء اللّون، أما القسم المجاور لها فيتكون من حنيتين مصممتين واحدة فوق الأخرى.

الحشوة الرابعة: وهي أصغر الحشوات حجما، فتزدان بثلاثة عقود مفصصة تقوم على أربعة أعمدة لم تبق منها إلا عمودان فقط.

4- جامع سيدي أبي مدين:

يبعد عن مدينة تلمسان بكيلومتر واحد، بني جامع أبي مدين سنة 739هـ/1339م في العباد ويوجد الجامع في وسط المجموعة المعمارية المتكاملة التي شيدها السلطان أبو الحسن المريني وتتكون هذه المجموعة من ضريح سيدي أبي مدين و قصرا وحماما ومسجدا اضافة الى المدرسة الخلدونية، ويقول ابن المرزوق التلمساني أن أبو الحسن اشترى مجموعة من البساتين من أصحابها هي وما جاورها من الأراضي بما يرضيهم من الأسعار[1] وشيد عليها هذه المجموعة من البنايات، إن أهم مصدر يؤرخ لتأسيس الجامع هو المسند الصحيح لابن مرزوق الذي خصّصه للحديث عن مآثر السلطان المريني أبي الحسن، فهو يقول"... وأما الجامع الذي بناه (بقصر أبي الحسن) هذا ضريح شيخ المشايخ وقدوة الأئمة المتأرخرين من المتصوفين أبي مدين شعيب بن الحسن رضي الله عنه، فهو الذي عزّ مثاله واتصف بالحسن و الوثاق أشكاله أنفق فيه مقدارا جسيما ومالا عظيما؛ وكان بناؤه على يد عمي وصنو أبي صالح أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق .."[2].

---

[1]- ابن مرزوق: المصدر السابق، ص 145.

[2]- نفسه، ص 145.

يتميز الجامع بمظهر أنيق في مجمله فنجد كتابة أثريـــة فـــي إيطـــارات المـــدخل الرئيسي" الحمد لله وحده، أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان عبد الله علي بن مولانا السلطان أبي سعيد عثمان ابن مولانا السلطان أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق أيده الله ونصره عام تسعة وثلاثين وسبعمائة ..." هذا النص يشير إلى التأســـيس و المؤســـس والسنة.

إن المسجد ذو حجم متوسط وهو على شكل مستطيل مقاساته الخارجية 28.9 متر طولا و18.45م عرضا(اللوحة 29)، وسمك الحائط حوالي 1م ويتكون من ثلاث واجهات: الرئيسية منها وهي الشمالية الغربية فتحت فيها باب احتلت محورا عموديا على المحراب، أما الواجهتين الجانبيتين الشرقية والغربية ففتح في كل منهما مدخلا بارزا عند حائط يؤدي إلى الأسكوب الأول من بيت الصلاة التي يلي الصحن مباشرة، وكل منهما يقابل الآخر ويماثله. تساهم العناصر المعمارية للمسجد والمنبر والأبواب في أناقته وجماله وتزدان جميعا بكسرات زخرفية رائعة الجمال، ينفتح بيت الصلاة على الصحن بثلاث عقود، ويشتمل على خمسة بلاطات عقودها قائمة على دعامات تقسم بيت الصلاة إلى ثلاثة أساكيب وتتميز البلاطة الوسطى بأنها أكثر البلاطات اتساعا، ويتقدم المحراب بلاطة عريضة أو أسكوب قائم بذاته[1]. أما السقف فهو مبني حسب نظام التخطيط الداخلي من بلاطات وأروقة ومتكون من إحدى عشرة جزءا مشيدا بالآجر وملبسا بالجص، وهو على هيئة تجويفات صندوقية الشكل Caisson بارزة إلى الخارج على هيئة منحدرات مغطات بقراميد نصف أسطوانية، أما من الداخل فهي مجوفة مقعرة أشبه ما تكون بقبوتان نصف أسطوانية وتتجه داخليا وخارجيا مع اتجاه البلاطات والأروقة الجانبية للصحن ويصف ابن مرزوق هذا الجامع بقوله "وسقفه كلها أشكال منضبطة بخواتم وصناعات نجارة كل جهة تخالف الجهة الأخرى في الوضع، إنها اشكال منجورة منفرشة، وهي كلها مبنية إحكاما بالآجر والقصبة، واشتمل على المنبر العجيب الشكل المؤلف من الصندل والعاج والابنوس"[2].

---

[1] GeorgeMarçais : Architecture musulmane et occident p276

[2]- ابن مرزوق : المصدر السابق، ص 18.

منذنة جامع سيدي بومدين:

تقع المئذنة في الركن الشمالي الغربي للجامع، ترتفع على امتداد البلاطة الاخيـرة من المسجد، وهي ذات طراز مغربي من حيث شكلها وتخطيطها ونظامها المعماري. فهي تشبه المآذن المرينية بالمغرب والزيانية بتلمسان.

والمئذنة عبارة عن برج مربع(اللوحة 30)، يقدر ارتفاعها الكلي بحـوالي 27.5م بحيث يمكن للناظر أن يراها من مسافات بعيدة تحفها بساتين ومنتزهات العباد.

الطابق الأول:

يعتبر جزءا منها ومن مبنى المسجد ذو قاعدة مربعة طول ضلعها مـن الخـارج 4.5م ومن الداخل 3.30م، وسمك جدارها 0.60م وارتفاع البرج الكلي حـوالي 23.7م وتحيط بالقاعدة ملحقات استغلت قديما لصالح الزوار والحجـاج الـذين كـانو يعبـرون تلمسان[1].

نصعد إلى أعلى المئذنة بواسطة درج يدور حول دعامة مركزية مملـوءة طـول ضلعها 1.70م وفي كل دورة خمس (5) درجات ويبلغ عدد درجاتها 86 درجة ويـصل طول الدرجة الواحدة 0.75م[2]، ويغطي الدرج قبوة متقاطعة يليها قبوة نصف أسـطوانية على التناوب، ويتخلل جدار الدورة الثالثة طاقة معقودة بعقد مدبب يتجاوز نصف الدائرة، وأضيئت الدورات بنوافذ مستطيلة ضيقة تحتل من الخارج إطارا مستطيلا وسط شـبكات زخارف المعينات أو داخل العقود الزخرفية، وهناك دخلة واسعة مستطيلة ومعقودة أشبه ما تكون بشرفة يمكن الإشراف منها على سقف الجامع وصحنه، وتتكـون دورة الـدرج الأخيرة من تسع مراقي عوضا عن خمس في الدورات الأخرى، ويقابلها يمينـا غرفـة مستطيلة تشبه الغرفة السفلية القائمة عند المدخل يعلوا بابها عقد منفرج، ويتوسط الشرفة الطابق العلوي الذي يتراجع قليلا عن جدار بدن المئذنة.

---

[1]– عبد العزيز لعرج : المرجع السابق، ص 266.

[2] Rachid BOUROUIBA: l'art religieux.....p272

الجوسق:

يقوم في وسط سطح البرج الجوسق العلوى للمئذنة أو البرج الثاني(اللوحـــة 28)، حيث يتراجع جدران البرج الأسفل بما يسمح للمؤذن بالحركة والطواف حوله.

ندخل الى الجوسق من باب ضيق نصعد اليه بدرجة واحدة (عتبة) وهو معقـود بعقد مدبب وتعلوه زخارف متشابكة، وغرفة الجوسق مربعة الشكل طول قاعدتها 1.88م وارتفاعه 5.40م، تغطيه قبيبة نصف دائرية تبدوا من الداخل ضحلة وينتصب في أعلاها جامور ذي ثلاث تفافيح كبيرة ذهبية اللون تتدرج في حجمها من الأســفل إلـــى الأعلـــى وتنتهي بهلال.

زخرفة مئذنة سيدي بومدين:

إن زخرفة المئذنة تختلف من واجهة إلى أخرى فهي متكونة من زخارف متنوعة يغلب عليها تشبيكات المعينات تنتهي في أعلى البرج الأول بإفريز من الزليج على شـــكل حزام يمتد على الأوجه الأربعة لها ويقول ابن مرزوق "والصومعة كذالك في غاية الحسن والاتقان، كل جهة من جهتها الأربعة تخالف الأخرى في النوع والإحكام وذُهِّبت تفـــافيح جامورها بثلاثمائة وسبعين دينارا ذهبا".[1]

تبدأ زخرفة البرج ابتداءا من3/1 من ارتفاع البرج[2] وتشغل حوالي 10/7 عرضها، يتوج المئذنة حزام فسيفسائي ذي زخارف مكونة من الأطباق النجميـــة بـــألوان متعـــددة ويظهر أن هذه النجمات قد جددت ولعل التجديد حدث في حوالي سنة 1973م و قد تمـــت عملية الترميم بطريقة روعيت فيها القوالب والصبغ القديمة[3].

---

[1]– ابن مرزوق: المصدر السابق ص18.

[2] Marçais (G W) : op cit, 262

[3]– عبد العزيز لعرج: المرجع السابق، ص 267.

الواجهة الجنوبية:

وقوام زخرفتها لوحة فنية تنقسم إلى حشوتين :

الحشوة الأولى : صغيرة وزخرفتها عبارة عن طاقة معقودة بعقد نصف دائري يعلوها عقد مفصص كبير وتطوقها تربيعة مستطيلة الشكل يعلوها عقد متعدد الفصوص يرتكز على كابولين[1].

الحشوة الثانية: يصل ارتفاعها إلى بداية الجوسق، زخرفتها تقوم على بائكة ثلاثية العقود، خطوطها زخرفية على شكل عناصر أشبه ما تكون بالمقرنصات تعلوها عقود نصف دائرية متراكبة على شكل صفوف.

الواجهة الجنوبية والغربية:

واتبع المعماري في نفس النظام في زخرفة الواجهة الجنوبية وهي متكونة من حشوتين:

الحشوة الأولى : صغيرة وزخرفتها عبارة عن نافذة منحوتة ضمن إيطار مستطيل، وهذه النافذة المنحوتة معقودة بعقد نصف دائري متجاوز يعلوها عقد مفصص كبير من 11 فضا منخرط بدوره في عقد مفصص نصف دائري متجاوز بتناوب مع عقود مفصصة على شكل عقد منكسر وتطوقها تربيعية مستطيلة الشكل.

الحشوة الثانية :زخرفتها عبارة عن تشبيكات منكسرة من زخارف على شكل معينات تقوم على بائكة معقودة، ثلاثية العقود منكسرة زخرفية، خطوطها التحديدية على شكل عناصر أشبه ما تكون بالمقرنصات ويصل عددها إلى 8 صفوف وكل صف يحتوي على 4 معينات بثلاثة رؤوس، بحيث الرأس المركزية تتكئ على عمود من الآجر Pilastre وهذه الوضعية لا نجدها في أي مئذنة أخرى[2].

---

[1]– عبد الكريم عزوق : المرجع السابق، ص 116

[2] Rachid BOUROUIBA : l'art religieux p273

الواجهة الشرقية:

وهي الواجهة المطلة على الصحن، وتتكون من حشوة واحدة فقط لأن الجزء السفلي منها يخلو من أي مظهر من مظاهر الزخرفة وذلك لاختفاء قاعدة المئذنة بملاحق المسجد، وفي هذا الجدار نجد ايطار مربعا نقرأ فيه الكتابة التالية" بركة محمد"

وقد كتب بخط كوفي ذي خصائص مربعة[1] ويعتقد "مارسيه" أنه المثال الوحيد في تلمسان وربما أحد الأمثلة المغربية النادرة من هذا النوع من الزخرفة الكتابية والتي استعملت كثيرا في المشرق وهو الخط الكوفي[2].

هذه الحشوة هي الوحيدة في الواجهة الشرقية تحتل زخرفتها شبكة المعينات ذات ورديات ثلاثية الفصوص فهي عبارة عن 8 صفوف وفي كل صف 8 معينات، متدرجة تنتهي بعقدين مدببين، وكل عقدين غائرين يعلوهما عقد نصف دائري بارز يزدان بقطع الفسيفساء الخزفية على شكل دوائر مربعة و معينات مزهرية رصع منها فراغان نباتيان يعلوها برع حتى نصل إلى أعلى المئذنة.

الواجهة الشمالية:

وهي عبارة عن لوحة فنية فريدة من نوعها، في أسلوب زخارفها وهي ذات حشوة واحدة غائرة من الأسفل إلى الأعلى لأن مكان الحشوة الأولى يدخل في نطاق جدار المسجد فهي مقسمة إلى ثلاث حشوات مستطيلة، عمودية، الوسطى منها مزينة بنافذة منحوتة ضمن ايطار المستطيل، وينقسم الإيطار إلى أربعة أقسام، الأولى قصيرة تتمثل في فتحة لإنفاذ الضوء والهواء معقودة بعقد مدبدب، أما الثانية فهي غائرة وتخلو من الزخارف. الثالثة فهي أكثر ارتفاعا يتخلل القسم الأدنى طاقة صغيرة معقودة بعقد مدبدب يعلوها زخارف على شكل معينات منكسرة ومتراكبة، ويعلوا كل معين عقد مدبدب صغير، أما القسم الاخير فهو عبارة عن طاقة مفتوحة لإدخال الضوء والهواء معقودة بعقد نصف دائري ويحيط به تربيعية بارزة[3].

---

[1] Rachid BOUROUIBA : L'art religieux p273

[2] (G.W).Marçais : Les monuments arabes p263

[3]- عبد الكريم عزوق :المرجع السابق، ص 117.

أما الحشوتان الجانبيتان فهما متناظرتان عبارة عن شبكة من عقود منكسرة تنتهي بعقود مدببة، متكونة من تسعة صفوف كل صف بمعينان.

يتم تهوية وادخال الضوء الى المئذنة بواسطة نوافذ نحتت داخل شبكة معينات وهي موزعة كالتالي:

فتحتان متتابعتان في الواجهة الغربية للمئذنة، ونافذة على يسار الواجهة الشرقية المطلة على صحن المسجد وفتحة في الواجهة الشمالية في جزءها العلوي و نافذة ثانية في جزئها السفلي. تتخذ هيئة العقد النصف الدائري، وتعتبر الفتحتان في الواجهة الشمالية العليا وفي الواجهة الشرقية أكبر الفتحات، أما الفتحتان الأخريتان فهما عبارة عن فتحات صغيرة وضيقة، منقوشة داخل شبكة المعينات، وهي بذالك تشبه ما كانت عليه النوافذ في المئذنة الزيانية[1].

يعلو الواجهات الأربعة شريط من قطع الفسيفساء الهندسية، عبارة عن مربعات ومستطيلات، ثم يعلوا الشريط الأول آخر أكثر اتساعا تشغله أطباق نجمية أو زهرية تحتوي على 24 فرعا وتنخرط في مربع، وكل واجهة زخرفت بثلاث زهريات كاملة محاطة بنصف زهريات تتواصل على الواجهات الأخرى[2].

ويملأ الفراغ بينهما قطعة أخرى مربعة ومستطيلة ومتعامدة ومعينات ودوائر، وتمثل الزهريات تشابكا في الخطوط البيضاء التي تحد المساحات التي يسودها اللون الاسود، ويتلاقا فيها اللون الأخضر والأصفر فتكون نجمية ذات 24 رأسا محاطة بخطوط منكسرة[3]، ويلي هذا الشريط شريط آخر ضيق تكسوه قطعة من الفسيفساء الخزفية فهي متكررة باللون الأبيض على شكل(W).

وينتهي البرج بشرفات مسننة عددها أربعة من منتصف كل واجهة وأربعة أخرى ركنية فيصبح عددها 16 شرفة و4 ركنية وتكسوا أوجهها أطباقا نجمية أصغر حجما من

---

[1]- Rachid BOUROUIBA : L'art religieux p273
[2]- (G.W).Marçais, Les monuments arabes p263
[3]- (G.W).Marçais, Les monuments arabes p263

أطباق الإفريز وذالك بزليج متعدد الالوان وتتكون تلك الأطباق من نجوم مركزية ذات 9 رؤوس، وهذا النموذج فريد من نوعه في زخرفة الشرفات ولا مثيل له في مساجد تلمسان الزيانية وقد استعمل المرينيون هذه الزخرفة في المسجد الكبير[1] ويبلغ ارتفاع الحائط 1,11م وسمكه 0,30م وارتفاع الشرفة 0,49م وعرض قاعدتها 0,60م وعرض قمتها 0,22م[2].

زخرفة الجوسق:

زخرفة الجوسق عبارة عن حشوة مستطيلة داخلة تزينها شبكة من المعينات ترتكز على عقد ذي شرفة من رأس واحد، وهذه المعينات قائمة على عقد رخوي ذي خطوط من الفصوص والدلايات، يشكل مفتاحه فص واحد أو فصان، ويكسوا مركز العقد وفراغ المعينات زخارف من الزليج المتعدد الألوان قوامها عناصر نباتية وهندسية أساسها وريدة ثلاثية ويحيط هذه التشبيكات شريط من الزليج على شكل أطباق نجمية ذات 12[3].

5- جامع الباشا:

هذا المسجد أسسه محمد الكبير في مدينة وهران عام 1796 بأمر من الباشا الداي بابا حسن الذي حكم الجزائر من عام1791م إلى عام 1798[4]، في أواخر الفترة العثمانية كما تشير إلى ذالك اللوحة التأسيسية التي تتقدم مدخل الجامع ونطالع فيها النص التالي: "بسم الله الرحمن الرحيم مسجد الباشا أسس بأمر من سيدي الحسن باشا 1976م" وقد تم انشاؤه بعد الفتح الثاني لوهران سنة 1207هـ/1792م(اللوحة 1/51)، وهو مسجد جامع كما تدل على ذلك اللوحة التأسيسية المحفوظة بمتحف وهران وهي لوحة تذكارية منقوشة على الحجر.

---

[1] صالح بن قربة: المرجع السابق، ص 128.

[2]- Rachid BOUROUIBA : L'art religieux p274

[3]- عبد العزيز لعرج: المرجع السابق، ص 269.

[4]- يحي بوعزيز: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، منشورات ANEP 2004، ص 67.

يقع جامع الباشا في شمال المدينة القديمة على الضفة اليمنى الشرقية لوادي الرحى الذي يعرف اليوم بوادي"رأس العين" في سفح شديد الانحدار جنوب غرب برج الأمحال والبرج الأحمر قبالة حي القصبة على الضفة اليسرى الغربية للوادي ويجاوره على اليمين الجنوبي حي درب اليهود الذي بني في نفس الفترة تقريبا على أراضي قدمها الباي "محمد بن عثمان الكبير" لليهود الذين هاجروا إلى هذه المدينة آتين من جهات مختلفة من البلاد[1].

يعتبر جامع حسن باشا الجامع الوحيد الذي لم يمسه التخريب الاستعماري الفرنسي إذ ذكر "أجين كروك" أن الجنرال (ديميشال- حرس على سلامة الجامع لتفادي أي مقاومة في مدينة وهران[2].

يعتبر مدخل جامع الباشا من أجمل مداخل المساجد في الجزائر(اللوحة 50)، فهو عبارة عن مدخل تذكاري يؤدي إلى قاعة مربعة. والمدخا مغطى بقبة مثمنة الأضلاع ذات زخارف هندسية بديعة، وتزينها كتابات قرآنية في أعلى جهاتها الأربع.

ونعثر في بيت الصلاة على كتابة أثرية كتبت بالخط الكوفي في أعلاها ونص الكتابة "يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا"

بيت الصلاة عبارة عن مخطط مربع الشكل يبلغ طول ضلعه 27,5م، ويتألف من خمس بلاطات وسبعة أساكيب. تتميز البلاطة الوسطى بأنه أكثر البلاطات اتساعا، وتحمل قبة مركزية شبيهة بقبة جامع القيروان، وهي ترتكز على أعمدة حجرية يحيط بها رواقان. الرواق الأول مغطى بأقبية متقاطعة، أما الرواق الثاني فمغطى بقبة صغيرة ثم قبو متقاطع بالتناوب. ويبلغ عدد قبيبات المسجد إثنا عشر قبيبة. وقد فتحت في هذه القبيباب شبابيك ذات تغطية جصية، قوام زخارفها إما أطباق نجمية، أو عنصر زخرفي متأثر بالزخارف العثمانية كشجرة الحياة أو شكل مزهرية تنبثق منها أفرع نباتية مورقة ووورديات.

---

[1]- Houari Chaila : Oran histoire d'une ville, Oran 2002, EDIR, p55

[2]- يحي بوعزيز: نفسه

وفي وسط جدار القبلة محراب مضلع، مزخرف بزليج حديث، تتقدمه قبة تـزدان بتربيعات على الزليج العثماني.

ويحتوى المسجد على دعامات مربعة وأعمدة مزدوجة تحمل عقود بيت الصلاة.

ومن بيت الصلاة نمر إلى صحن المسجد عن طريق باب من الخشب الـصلب لا يزال إلى يومنا محافظا على شكله الأصلي. أما الصحن فهوعبارة عـن شـكل نـصف دائري، تتوسطه نافورة مبنية من الرخام الأبيض مستحدثة تغطيها قبيبة قليلة الارتفاع.

المئذنة:

بنيت المئذنة في نفس الفترة التي بني فيها المسجد، فحسب المؤرخ"محمد بن يوسف الزياني" يكون تاريخ بنائهم واحد وهو سنة 1796م(اللوحة 58)، فقد جمعوا لمنارته حجرا "ضخما" أتو به أربعة أيام من برج الصبايحية[1].

تحتل مئذنة جامع الباشا الزاوية الشرقية الجنوبية لبيت الصلاة وهي منفصلة على المسجد يبلغ ارتفاع المئذنة 31,50م ونصل إليها بعد المرور على الميضاة، وتتكون مـن ثلاثة أقسام رئيسية القاعدة المثمنة، البدن المثمن والجوسق، توجد بقاعدة المئذنـة فتحـة المدخل التي يبلغ ارتفاعها 1,90م وعرضها 0,83م وهي معقودة بعقد نـصف دائـري، يؤدي هذا الباب إلى درجتان على مدخل المئذنة ويغلق هذا المدخل بباب خشبي.

اتخذت المئذنة من الداخل شكلا مثمنا طول كل ضلع منها 2,50م فهي تتكون مـن الداخل دعامة مركزية مستطيلة الشكل صماء مقاساتها 1,63مx1,56م (شكل1) ويوجـد على يسار المدخل غرفة مستطيلة الشكل مغطات بقبو نصف اسطواني، عـرض بابهـا 0,75م وارتفاعها 1,55م وبها فتحة ارتفاعها من الداخل 0,40م وعرضها يقل من 0,40م ليصل 0,10م من الخارج.

مكتبة الكلية - ص203 -

[1]- محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الجزائر 1978م، ص 204.

ويلتف حول النواة المركزية سلم صاعد يتكون من 151درجة عرض كل واحدة 30سم وارتفاعها 18سم وطولها 85سم وهي تدور عكس عقارب الساعة متممة أربعة دورات إلى الأعلى، وكل دورة تشمل على أربعة درجات ما عدا الدورة الأخيرة التي يتغير فيها النظام فتتكون من الدورة من ثمان درجات(الشكل) وتسقف هذه الدورات قبوات متقاطعة في الأركان، تتوسطها قبوات نصف أسطوانية.

ينتهي بدن المئذنة بقسم أعلى الذي هو الجوسق مثمن الشكل يبلغ ارتفاعه 4.50م وطول ضلع قاعدته 80سم، يحيط بالقسم العلوي ممر عرضه 1م محاط بشرفة من الحديد يقف فيه المؤذن للآذان. ترتفع الشرفة المثمنة بـ 1,04م، مسورة بسياج حديدي مفرع، يزدان بزخارف هندسية عبارة عن مربعات و معينات.

زخرفة المئذنة:

تشمل واجهات المئذنة على أربعة قطاعات زخرفية تقسم البدن إلى قسمين. يفصل بينهما زخرفة بارزة مثمنة الشكل، وزخرفت واجهات المئذنة بنفس الشكل الذي نكتفي بوصف واحد فقط.

القسم السفلي:

يبلغ ارتفاعه 17,40م و طول ضلع قاعدته 2,30م وسمكها 1م .

يزخرف القسم السفلي من المئذنة بقطاعين متراكبين من الزخرف المعقود بعقد نصف دائري متعدد الفصوص طول فتحته 1,41م وهذه الفصوص متقاطعة فيما بينها، فتحتها تقدر بـ0,29م، ويوجد هذا العقد داخل نطاق مستطيل الشكل غائر عند وجه المئذنة، ويفصل بين كل من القطاعين إفريز عريض من تربيعات الزليج الأبيض والأخضر(اللوحة 60).

القسم الأوسط:

يبلغ إرتفاعه 11,60م وقاعدته أصغر من القسم السفلي وسمكها 50سم، نظامها الزخرفي يشبه القسم السفلي أما الطول وعرض الجدار فيختلفان على القسم الأدنى، يتوج البدن بإفريز أكثر عرضا من الإفريز الفاصل، وينتهي البدن بنطاق مثمن يبرز قليلا على سمك جدار المئذنة، وتقوم عليه شرفة يلاحظ وجود فتحات مستطيلة ارتفاعها من الداخل يتراوح بين 0,35م و 0,48م وعرضها 0,30م و0,47م استعملت للإضاءة وتهوية المئذنة، خاصة وأن هذه الأخيرة تعد من بين المآذن العالية.

الجوسق: القسم الأعلى في المئذنة مثمن الشكل وقد زخرفت واجهاته الثمانية بنفس الزخرفة وهو مقسم إلى جزئيين. الجزء السفلي خالي من الزخارف، يتراوح طول أضلاعه بين 0.78م و0.81م أما الجزء العلوي فهو المغطى بالزخارف على شكل معينات من الزليج تتناوب منها الأخضر والأبيض، ويتوج الجوسق قبة مضلعة يعلوها سفود بارز يحمل أربعة كريات يعلوها هلال.

وقد استخدم في بناء هذه المئذنة من الحجر الملصوق المتوسط الحجم أشبه من بالقوالب مستطيلة الشكل التي صفت على شكل حليات وتلاحمت فيما بينها بملاط شديد الصلابة تتخللها عوارض خشبية.

6- جامع عين البيضاء بمعسكر:

لقد كانت مدينة معسكر عاصمة لبايليك الغرب الوهراني في القرن السابع عشر ميلادي، خلفا لمازونة التي كانت بعيدة بعض الشيء عن وهران، من أشهر بايات بايليك الغرب الباي محمد بن عثمان الكبير الذي يعتبر الباي الثالث والعشرين في مجموعة البايات الذين حكموا بايليك الغرب وقد تولى هذا المنصب منذ عام 1778م وبقي فيه قرابة ربع قرن حتى عام 1799م، وقد استطاع الباي عمر تحرير مدينة وهران والمرسى

الكبير عام 1792م من الاحتلال الإسباني[1]. خلا إقامة الباي محمد بن عثمان الكبير* بمدينة معسكر اهتم بتعميرها ومن ضمن منشآته بها مسجد سيدي الحسن أو مسجد المبايعة أو مسجد عين البيضاء(اللوحة 33).

ويعرف هذا الجامع بهذا الاسم بسبب وجود عين كانت موجودة أسفل السور المذكور وكان لونها يميل إلى البياض، ولم تقتصر هذه التسمية على الجامع فقط المنطقة، بل سمي الحي كله باسم هذه العين، ويشير أحد الكتاب في سنة 1841م إلى هذه المنطقة بكونها قسم من أقسام بارزة وهي: معسكر وسط مدينة وركوب إسماعيل وباب علي وعين البيضاء وتعتبر الأقسام الأخرى بمثابة ضواحي مدينة معسكر[2].

يقع الجامع في وسط مدينة معسكر على بعد 300م من السور الشرقي لها على أرض مائلة إلى الشرق كذالك، وقد تم الفراغ من بناءه في أول شهر ذي القعدة عام 1195هـ الموافق لـ 19 أكتوبر 1781م وكان المهندس الذي أشرف على بنائه هو المعلم أحمد بن محمد بن صاري التلمساني[3]، وهذا ما تدل عليه الكتابتين التذكاريتين اللتان تحيطان بالمحراب وقد كتبت على اللوح من الجص نصها:

"الخط المغربي"

- بسم الله الرحمان الرحيم – صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
- الحمد لله
- اما بعد أمر بتشييد هذا الجامع المبارك خليفة السلطان السيد محمد باي بن عثمان
- أيده الله آمين.
- إنتهى بحمد الله على يد المعلم- أحمد بن محمد بن حج إحساين بن صار مشيق.

---

[1]- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص215.

*- الباي محمد بن عثمان: بن ابراهيم الكردي ويلقب بالكبير والكحل والمجاهد والمنصور، لما قتل أبوه الذي كان باي التيطري بمعسكر في غارة وجدت ضد أولاد نايل، تكفل به صديقه أبو اسحاق إبراهيم المليانى(قائد مليانة) بعائلته وولده محمد الكبير، فكان هذا الأخير نشط متزايدا في الشجاعة والذكاء من أعماله إختضاء القبائل المتمردة، إعلان الجهاد لاسترجاع وهران من الاسبان سنة 1792م ثم اتخذها عاصمة له.

[2]- Louis Janet :L'Algérie, premenades pittoresque, , Libraire Editeur, Paris, 1840 p.148

[3]- يحي بوعزيز: نفسه، ص 215.

- التلمساني رحمه الله في أول يوم ذي القعدة عام خمسة وستين مائة وألف[1].

أما في عهد الاحتلال الفرنسي تحول الجامع إلى مخزن للعتاد العسكري، وبقي كذالك حتى سنة 1905م، وفي رواية أنه قد أعيد فتحه مسجدا للمسلمين سنة 1910م[2].

اهتم الباي محمد عثمان بتعمير مدينة وهران، فأسس عدة مساجد ومدارس منها مسجد الباشا الذي شيده محمد الشرشالي ومدرسة خنق النطاح المعروفة حاليا بجامع الباي الكبير.

يتكون الجامع من صحن وبيت للصلاة مربع تقريبا يبلغ طول ظلعه 16,20م و16,17م وهي مغطاة بقبة كبيرة، تشغل كل القاعة، وترتكز على ثمانية أعمدة ثنائية، ويحيط بالقاعدة رواق مغطى بقبيبات صغيرة في الجهات الأربعة، أما المسافات المتبقية فقد غطيت بأقبية متقاطعة، يبلغ طول الرواق الجنوبي 16,17م وعرضه 2,81م، أما الرواق الشرقي والغربي فيبلغ طوله 6,20م وعرضه 2,85م وتدخل إلى بيت الصلاة من خلال مدخل واحد يقع على يمينها، ولبيت الصلاة محراب مظلع يتوسط جذار القبلة وقد زخرفت بنقوش جميلة، قوامها آيات قرآنية منها :" في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة"[3]. أما المحراب تتقدمه قبة زينت بزخارف جصية قوامها زخارف توريقية.

مئذنة الجامع :

تقوم المئذنة في الزوايا الجنوبية الغربية لبيت الصلاة يبلغ ارتفاعها 6,16م (اللوحة 34)، تنقسم المئذنة إلى ثلاث أقسام: القاعدة وهي مربعة الشكل تنتهي ببروزات ركنية أما البدن فهو ثماني الأضلاع وينتهي في أعلاه بدرابزين بسيط مثمن أيضا، أما الجوسق فهو ثماني الأضلاع تعلوه قبيبة مثمنة وتنتهي بتفاحات وهلال.

---

[1]- Leclerc (ch) : " les inscriptions de Mascara" In revue Africaine1859-1860. pp 42-46

[2]– بن بلة خيرة: المنشآت الدينية خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير، ص 84.

[3]– يحي بوعزيز: المرجع السابق ص 216

قاعدة المئذنة: مربعة الشكل وترتفع تقريبا 3,77م بها فتحة مستطيلة عمقها 0,49م وعرضها 0,20م، تزداد إتساعا كلما اتجهت نحو الداخل، ليصبح عرض فتحتها 0,80م، وهي تستعمل لإضاءة والتهوية الجزء السفلي من المئذنة، ويعلو المئذنة طنف بارز أو بروزات ركنية، أما في منطقة إنتقال البدن المربع إلى المثمن توجد في الأركان الأربعة زخرفة بارزة عبارة عن ثلاثة أنصاف كرات، نصف الكرة السفلى أكبر من الوسطى والثالثة.

البدن: يرتفع من سطح بيت الصلاة إلى بداية الشرفة بـ 11,60م يبلغ طول ضلعه 1,53م، وهو بسيط وخال من أي زخارف(اللوحة 33).

الجوسق:

ينتهي البدن بدرابزين بسيط مثمن أيضا يتوسط الشرفة المثمنة جوسق مثمن الشكل علوه يقدر 2,61م، وطول ضلعه حوالي 0,50م، مغطى بقبيبة صغيرة، بها سفود يتكون من بدن مخروطي تليه كرة بيضوية الشكل صغيرة الحجم ثم كرة أخرى أكبر حجما، بها قضيب مخروطي يعلوه شكل هلال.

ندخل إلى المئذنة بواسطة مدخل يبلغ إرتفاعه 2,10م وعرضه 0,73م، تتقدمه عتبة مرتفعه عن بيت الصلاة بـ 0,16م تؤدي إلى سلم صاعد يتكون من 62 درجة يتراوح طول الدرجة الواحدة ما بين 0,78م–0,80م، ويدور هذا السلم حول نواة مركزية مصمتة أسطوانية الشكل، المئذنة من الداخل شكلها أسطواني أيضا.

ويؤدي السلم إلى باب في بدن المئذنة ارتفاع فتحته 1,40م وعرضها 0,69م ويؤدي هذا الباب إلى سطح بيت الصلاة التي تنزل إليه بواسطة درجين خشبيين، طولهما يقدر بـ 0,58م وهي تؤدي إلى الشرفة المثمنة الأضلاع بسيطة ولا تحمل أي زخرفة.

الفصل الرابع

دراسة تحليلية للمآذن في الغرب الجزائري

إن الهدف من هده الدراسة هي معرفة أوجه التشابه والاختلاف بين مأدن الغرب الجزائري، والتي هي موضوع هذه الدراسة.

كما نحاول التعرف على أهم المراحل التاريخية التي مرت بها المئذنة، فتأثرت عمارتها وزخرفتها.

ومن خلال الدراسة التحليلية نسعى في هذا الفصل تسليط الضوء على كثير من الخصائص المعمارية التي ميزت مأدن هذه الفترة، كما نسعى إلى الوصول إلى مدى التواصل المعماري بين نظام المأدن في الغرب الجزائري ونظام نظائرها من المأدن في أقطار العالم الإسلامي المختلفة.

كما نستخلص أهم النتائج من خلال دراستنا لنماذج من المأدن في بلاد المغرب الجزائري وسنستعرض هذه الخصائص من خلال حملة نقاط.

عدد المآذن:

لم تعرف مساجد الغرب الجزائري تعدد المآذن، فقد إكتفى المعماري بمئذنة واحدة تقوم في أحد أركان المسجد، وضاهرة تعدد الآذن نجده سابقا في مصر الإسلامية و الدولة العثمانية، ففي جامع الحاكم بأمر الله بالقاهرة تقوم مئذنتين، أما للجامع الأزهر ثلاث مآذن، وإستعمل كل من مسجد آيا صوفيا و المسجد النبوي الشريف وجامع السليمانية بأدرنة بتركيا أربعة[1].

فلماذا اكتفت مساجد الغرب الإسلامي بمئذنة واحدة في حين تعددت في المشرق وآسيا؟

فالمئذنة لها دلالة روحية وإيمانية فهي ترمز للوحدانية وإنفراد الله عن الشريك، لهذا كانت المئذنة رمزا لارتباط المعماري المسلم أن يبعد عن فكر المشاهد ووجدانه، فكرة التعدد والاختلاف وأصل محلها فكرة الإنفراد والوحدانية ومن هذا المنطلق الإيماني ، اعتمد المعماري في الغرب الجزائري على طراز مئذنة، بعد انقضاء القرون الإسلامية الأولى ظهر في التشريع الإسلامي ما يعرف بالمذهب الفقهية وأشهر المذاهب الفقهية ما نسب للإمام مالك وأبي حذيفة والشافعي وأحمد ولم يبق الخلاف بين هذه المذاهب نظريا

[1]- عبد الكريم عزوق: المصدر السابق ص152

فقد انتقل إلى حياة الناس السياسية والاقتصادية...ليصل فيما بعد إلى العمارة الإسلامية التي أثرت على عناصر المسجد والمدارس ، وتعدد هذه العناصر مثل المئذنات، الإيوانات و المحاريب حسب تعدد المذاهب ، فتجد مئذنة الغوري بمصر ذات أربعة رؤوس للدلالة على أن هذه المدرسة تدرس فيها المذاهب الأربعة، كذلك المسجد الأموي بدمشق وصلت عدد محاربيه إلى أربعة بعدد المذاهب الفقهية[1].

أما المعماري المغربي اعتمد في تخطيطه على مئذنة واحدة فقط للدلالة على التمسك المغرب الإسلامي على مذهب واحد وهو المذهب المالكي، فالتشريع الإسلامي يفرض على المعماري، أن لا يصرف فكرة عن حقيقة جوهرية وإغراءاته الوثنية يقصد بذلك أن يجهله دائما مرتبطا بالله[2].

موقع المئذنة

يختلف موقع المئذنة من جامع إلى أخر ومن فترة إلى أخرى فنلاحظ أن مآذن الغرب الجزائري تنتصب في الجهة الشمالية للمسجد في بعض الأحيان على محور المحراب أو إحدى أركان بيت الصلاة.

فالمئذنة التي تقع في الجهة الشمالية على نفس محور المحراب تتمثل في مئذنة المسجد لجامع تلمسان ومنصورة الجزائر العاصمة وأيضا مئذنة جامع قلعة بني حماد وكلها مآذن تقوم في نفس محور المحراب وهي تقليد لمئذنة جامع القيروان بداية القرن الثاني هجري وصفاقس التي أقيمت في القرن 3 هـ/9م.

وبهذه الوضعية تكون المئذنة مع المحراب زاوية قائمة تربط بين الأرض والسماء فنجد في اتجاه القبلة المحراب الذي يمثل الاتجاه الذي يقصده المسلم خمس مرات في اليوم بوجهه وقلبه يرتبط في لحظة واحدة بعالم الأرض والسماء التوجه إلى القبلة والوقوف بين أيدي الله فالمحراب أقدس مكان في المسجد وهذا ما أراد الفنان المسلم أن يبرزه من خلال

---

[1]- طرشاوي بلحاج: المصدر السابق، ص117

[2]- نفسه ،ص 118.

فكرة ابتكار المجاز التقاطع ونجد في اتجاه السماء التي تتمثل بدورها أقدس مكان خارج حرم المسجد.

أما المآذن التي تقوم على إحدى أركان بيت الصلاة، فتجد مئذنة مسجد سيدي أبي مدني وسيدي الحلوي و الجامع الجديد بقسنطينة... وهي كلها تقع في الجهة الشمالية الغربية ذ من المسجد.

أما المآذن الباقية فتتخذ وضعيات مختلفة فمئذنة جامع ندرومة تقع في الزاوية الشمالية الشرقية ومئذنة جامع الباشا تقع في الزاوية الجنوبية الشرقية لبيت الصلاة وكذا مئذنة مسجد أبي حسن التي تعتبر الوحيدة في مدينة تلمسان التي تتخذ هذه الوضعية أما مئذنة جامع الدار البيضاء بمعسكر فتتخذ الزاوية الجنوبية الغربية.

إن موقع المآذن في الزوايا في الزوايا الركنية لبيت الصلاة آو الصحن في واجهة المسجد لأول مرة تقليد قديم ظهر في القيروان، ثم في جامع المهدية 304هـ/911م.

وموقع المئذنة على هذا النحو في المساجد ليس مقتصرا على الجزائر فقط بل امتد هذا التأثير إلى القاهرة الفاطمية و تمثل في مئذنتي جامع الحاكم بأمر الله تقع في الركنين الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي وهما بارزتان عن الجدار الخارجي[1].

ولعله من الصعب أن نجد تفسيرا عاميا لموضوع المآذن بهذه الأركان. فالمآذن الزيانية تتميز بأنها تقع عادة زوايا الجدار في مؤخرة المسجد، باستثناء مئذنة الجامع الكبير بتلمسان، مسجد العاصمة فتقع مئذنتهما في منتصف الجدار المقابل لجدار القبلة، وفي نفس محور المحراب.

ولعل وضع المآذن في الزاوية الشمالية الشرقية، يكون قد تأثر بعمارة المآذن لدى الموحدين[2].

أما المآذن المرينية المتمثلة في جامع سيدي أبي مدين وسيدي الحلوي فكلتاهما نصب في الزاوية الشمالية الغربية من الجامع إلا أن مئذنة جامع سيدي الحلوي تبرز عن جدار المسجد.

---

[1]- السيد عبد العزيز سالم: المآذن المصرية نظرة عامة عن أصلها وتطورها مند الفتح العربي حتى الفتح العثماني ،مؤسسة شباب الجامعة للطباعة و النشر ،مطبعة الأميرة ،القاهرة 1959 م ،ص17

[2]- Rachid BOUROUIBA : L'art religieux....., P186.

أما مئذنة منصورة فهي المئذنة الوحيدة التي تنتصب في منتصف الجدار الشمالي على نفس محور المحراب.

تجدر الإشارة أن موقع المئذنة في المساجد العثمانية لم يكن خاضع إلى أي قاعدة بل كانت تصب في المكان الذي يستطيع فيه المؤذن يطلق صوته إلى آفاق بعيدة.

أما مئذنة جامع أغادير فتقع في موقع استراتيجي هام يسمح للراقي أن يصعد إلى قمتها لرؤية ما في المدينة مما يدل على أن هذه المئذنة استعملت برجا للمراقبة في الأوقات المضطرة[13].

جدول رقم 1: تحديد موقع المئذنة

اسم الجامع	سنة تأسيسه	الفترة	موقع المئذنة	موقع الجامع
جامع الكبير تلمسان	1280	الزيانية	شمالية على محور المحران	تلمسان
جامع سيدي الحلوي	1354	مرينية	شمالية غربية	تلمسان
جامع أبي الحسن	1296	زيانية	جنوبية شرقية	تلمسان
جامع ندرومة	1145	زيانية	شمالية شرقية	ندرومة
جامع سيدي أبي مدين	1339م	مدينة	شمالية غربية	تلمسان
جامع منصورة	1302	مدينة	شمالية محور المحراب	تلمسان
جامع عين البيضاء	1780	عثمانية	جنوبية غربية	معسكر
جامع الباشا	1792	عثمانية	جنوبية شرقية	وهران
جامع سيدي لخضر	1156	عثمانية	شمالية غربية	قسنطينة
جامع قلعة بني حماد	1007	حمادية	شمالية محور المحراب	

[1] - A .Bel : «Fouilles faites sur l'emplacement d'Agadir, l'ancienne mosquée de Tlemcen » , Tlemcen, IWEV A.F.R, 1913, P 34

شكل المئذنة:

لقد حضيت المئذنة إهتماما بالغا و عناية فائقة من طرف المعماري المسلم، فجعل لها أشكالا وأنماطا عدة، فمنها ما بنا على شكل مربع كما في مساجد الشام، ومنها مابنى على شكل حلزوني كمئذنة الجتمع الكبير في سمراء وجامع ابن طلون في مصر ومنها مابنى على شكل هرمي مثل مساجد المزاب بالجزائر، أما في الغرب الجزائري فقد اتخدت المئادن شكلين:

الأول: الشكل المربع، او طراز القاعدة المربعة وهو الطراز الغالب على المئادن المغربية

الثاني: المثمنة الشكل السائر الى الاسطواني، أو طراز القاعدة المثمنة وهي فريدة من نوعها في عمارة المئادن الغرب الجزائري.

وتتمثل في جامع الباشا بوهران وعين البيضاء بمعسكر وهي طراز جديد أدخله العثمانيون معهم إلى الجزائر و المئذنة المثمنة متكونة من طابقين مثل المئادن الزيانية والمرينية.

إن المئادن المربعة يمكن تقسيمها من حيث المظهر العام على صنفين:

أ- فهناك مئادن تتألف من ثلاث طوابق كما هو الحال في جامع قيروان

ب- وصنف يتألف من طابقين او برجين البرج الرئيسي وهو الاطول والبرج الثاني هو الجوسق،

وعادة مايعلوه سفود علقت به ثلاث تفاحات ذات أحجام مختلفة.

يمكن أن نستنتج أن الشكل المربع وعدد الطوابق المأدن في الجزائر عامة وفي الغرب الجزائري خاصة، يرجع في الأصل إلى مئذنة قلعة بني حماد المتكونة من طابقين التي إتخدت كنموذج في المآدن في الجزائر و المغرب الأقصى باعتبارها أول مئذنة أقيمت في الجزائر وكان لها تأثير واضح على نظام المآدن في المغرب الأقصى والأندلس خاصة في عصر الموحدين حيث يبدو أنها اتخدت مصدرا للمأدن الموحدية، كمأدنة جامع الكتبية بمراكش.

تغطية جوسق المئذنة:

اختلفت تغطية الجوسق من مئذنة إلى أخرى، فنجد الشكل المخروطي والهرمي، كما غطي الجوسق في كثير من الأحيان بقبيبة صغيرة ففي النماذج المدروسة نجد عدة أنواع في تغطية الجس، فهناك تغطية على شكل قبة مثل جوسق جامعة مدروسة وجامع الدار البيضاء بمعسكر وكذلك تغطية قبة مضلعة كما هو الحال في مئذنة جامع الباشا بوهران، أما مئذنة منصورة فقد إندثر جوسقها أو طابقها العلوي، ومن الصعب تحديد شكل سقف الجوسق إلا أن ابن المرزوق أثناء صعوده إلى بذكر أنه رأى "العمود تركب فيه التفافيح وهو من الحديد"[1]، وروض إبن ابي الزرع فيضيف بعض التفاصيل فذكر أن "أبا يعقوب يوسف بني به منارا عظيما وجعل على رأسه تفافيح من الذهب بسبع مئة دينار ذهبيا"[2] ونستنتج من الوصفين أن المئذنة كانت تنتهي من الأعلى بجوسق تعلوه قبة يخرج منها سفود بارز ركبت فيه تفاحات ، أما مئذنة سيدي أبي مدين نجد تغطية الجوسق هرمية الشكل، أما الجامع الكبير بتلمسان فنجد الجوسق مغطى بسقف على شكل قبة بصلية.

التركيب الداخلي للمآذن:

يختلف التكوين المعماري الداخلي للمآذن الجزائرية من مئذنة إلى أخرى ومن طراز إلى أخر،لا توجد قاعدة عامة في التكوين الداخلي للمئذنة، فإن مقاسات الدعامة المركزية وعدد الدرجات وعرضها وعددها في كل دورة يتغير من مئذنة إلى أخرى.

فهناك مآذن ذات دعامة مركزية مصمتة وعلى السمة الغالبة في أغلب المآذن، الزيانية والعثمانية ، وتكون الدعامة المركزية عادة مربعة مثل جامع الكبير بتلمسان وجامع ندرومة وجامع سيدي بومدين....وبعض الأحيان أسطوانية الشكل مثل جامع قسنطينة والتي تحتوي على دعامة مركزية دائرية نادرة في ولا يوجد لها مثيل في

---

[1]- إبن المرزوق: المصدر السابق ،ص17

[2]- إبن أبي الزرع: المصدر السابق ،ص228

لمغرب .أما في المشرق فلا نعثر على مثل هذا الشكل إلا في جامع الحاكم بأمر الله في العصر الفاطمي[1]

أما جامع عين البيضاء بمعسكر فتخطيط الدعامة المركزية للمئذنة مصمتة ذات شكل أسطواني، وهذا النوع قليل الانتشار في الجزائر، وظهوره مرة أخرى في فترة حكم العثمانيون، بمثل تطورا جديد لنظام المآذن الجزائرية ونعتبر عليه لأول مرة في جامع الداي.

أما المآذن الزيانية فإنها تحتوي على سلم بداخلها يدور حول النواة المركزية كما في قلعة بني حماد[2] يتم الصعود بواسطته إلى سطحها. وبالمقارنة مع المساجد التي أقيمت في الفترة الموحدية، نلاحظ اختلافا بينا، إذا كانت مآذنهم تحتوي داخلها سلما كما في تنمل، والقصبة بمراكش، وتارة أخرى منحدرا صاعدا في الكتبية والجيرالدا وحسان بالرباط؟ وهذا المنحدر أو الممشى كان مغطى بأقبية متصالبة[3].

أما مئذنة جامع المنصورة فهي ذات دعامة مركزية جوفاء وهي فريدة من نوعها في الجزائر والمغرب الإسلامي وتعود إلى العهد المريني، يرتقي الراقون إلى أعلاها عن طريق مسري متصاعد، أقيم على منحدرات مائلة تنتهي بأقبيلة متصالبة، لا تزال ترى بعض آثارها، وهذا النوع من البناء يرجع إشتقافة إلى فترة حكم العباسيون[4]، ذلك لأن مئذنتي مسجد المتوكل وأبي دلف في سمراء كانتا لهما منحدرات خارج المئذنة ، في حين نجد أن المنحدر مئذنة منصورة يوجد داخلها، وحسب الأستاذ Lezine: " أن تبسيط سلم برج أجوف النواة أهم من تبسيط برج ذي نواة غير مجوفة (فارغة) ، ينبغي أن يكون ارتفاع درجات السلم منسجما " مع عرضها، لأن عدم انسجام يحدث تعبا " شديدا "[5].

---

[1] -Rachid BOUROUIBA :L'art religieux p43

[2]- Ibid, p126

[3]- صالح بن قربة: المرجع السابق ص 88.

[4]-A LEZINE : note d'archéologie algérienne, p270

[5]- صالح بن قربة: نفسه ص117

جدول رقم 2: خصائص النواة المركزية

نـــــــواة / مئذنة الجامع	شكل النواة	طول ضلعها /م	طول الدرجات /م	عدد الدرجات
الجامع الكبير بتلمسان	مربعة	2.80	0.96	130
جامع ندرومة	مربعة	1.26	0.82	102
جامع سيدي ابي مدين	مربعة	1.70	0.75	86
جامعا المنصورة	جوفاء	4.60	منحدر	منحدر
جامع الباشا بوهران	مربعة	1.63-1.56	0.90-0.88	160
جامع الدار البيضاء بمعسكر	أسطوانية	قطرها 1.50	0.80-0.78	76

إن المئذنة المربعة والمثمنة يشتركان في شكل النواة المركزية مع اختلاف طفيف في مقاساتها.

جدول رقم 3: مقاسات الجوسق:

جوسق المئذنة	الارتفاع /م	الطول /م	النسبة	شكل التغطية
جامع الكبير بتلمسان	4.70	2.90	1.62	بصلية
جامع ندرومة	4 .26	2.04	2	قبة
جامع سيدي أبي مدين	5.40	1.88	2.8	قبة هرمية
جامع المنصورة	7	تهدم	تهدم	قبة
جامع الباشا وهران	2.65	2.31-2.16	0.81-0.78	قبة مضلعة
جامع الدار البيضاء بمعسكر	2.61	0.60	0.52	قبة

طول المئذنة :

تتميز مآذن الغرب الجزائري بالارتفاعات المتوسطة تتناسب مع مساحة المسجد من حيث صغره أو كبره وعلى عكس بعض المساجد في المشرق الإسلامي و أسيا، فمئذنة قطب منار يبلغ ارتفاعها 73م وجامع السليمانية باسطنبول 23.50.[1]

تعتبر مئذنة المنصورة أطول مئذنة في الجزائر وثالث مئذنة في المغرب الإسلامي بعد كل من مئذنتي الكتيبة بمراكش ومئذنة حسان بالرباط و يبلغ طولها 38م وكان يصل إلى 45م قبل تهدم جوسقها، أما المآذن المتبقية فنسبها تكاد تكون متساوية.

ومآذن الغرب الجزائري عموما لا تخرج عن هذه القاعدة، فهناك مآذن يقل ارتفاعها عن 20م، كما هو الحال في مسجد أبي الحسن وسيدي إبراهيم.

أما الجوسق فإن أغلب النماذج المدروسة لاحظنا أن جوسقها له ارتفاع متوسط، مغطى بقباب بصلية، مما يعطي للمئذنة الكثير من الأناقة والخصوصية.

وأطول جوسق هو جوسق مئذنة المنصورة إذ بلغ طوله الأقصى 7 أمتار، يأتي بعده طول جوسق مئذنة المشور التي يبلغ ارتفاعه 5,92م.

جدول رقم 4: أبعاد المآذن المدروسة:

إسم الجامع	شكل المئذنة	ارتفاع البدن/م	ارتفاع الجوسق/م	الارتفاع الكلي/م	النسبة
جامع الكبير بتلمسان	مربعة	24.45	4.70	29.15	1/6
جامع الكبير بندرومة	مربعة	20.50	4.20	24.70	1/6
جامع سيدي بومدين	مربعة	21.60	5.40	27.50	1/6
جامع المنصورة	مربعة	38	7	45-38	1/6
جامع الباشا وهران	مثمنة	31.35	2.65	34	1/11
جامع الدار البيضاء معسكر	متمنة	17.76	2.61	20.37	1/8

وتمتاز هذه المآذن بالرشاقة والتناسق والتناسب مع المبنى وتتناسب بين قاعدة الطابق الأول وإرتفاعه وبين قاعدة الجوسق وإرتفاعه أيضا.

[1] –Rachid BOUROUIBA: Apport de l'Algérie,……P273.

شرفات المئذنة :

كل المآذن متوجة بشرفة، فالسطح العلوي للمئذنة محاط بجدار صغير الذي يحمي كل إنسان يصعد إلى السطح.

فهذا الجدار تعلوه شرفة مدرجة (مسننة) على محيط الشرفة فهناك مآذن خالية من هذا النوع من الشرفات مثل مئذنة جامع ندرومة، جامع الدار البيضاء بمعسكر وجامع الباشا وهذا العنصر المعماري شاع عند بني مرين في الجزائر والمغرب[1] ففي شرفة مئذنة الجامع الكبير بتلمسان تعلوه شرفات مدرجة عددها ستة عشر بمعدل أربعة في الأركان وثلاثة في كل ضلع، أما مئذنة سيدي أبي مدين نجد عشرون شرفة مدرجة بمعدل أربعة شرفات في الأركان وأربعة شرفات في كل ضلع، فمئذنة ندرومة خالية من هذا التزيين وتكتفي بسطح بسيط محاط بجدار صغير، أما مئذنة منصورة جوسقها قد تهدم كليا فمن الصعب تحديد شكله.

أما في العهد العثماني فنلاحظ أن الشرفة الجوسق تتخذ شكل آخر في التزيين، فاتخذت مئذنة جامع الباشا بوهران شبكة حديدية مرتفعة على صنف الشرفة المثمنة وهذه الشبكة الحديدية نظم أشكال هندسية عبارة عن مربعات ومعينات بداخلها شكل زخرفي ، أما النوع الثاني من المآذن العثمانية كمئذنة جامع الدار البيضاء في معسكر فهي تكتفي بجدار يحيط سقف المئذنة مكونا الشرفة.

---

[1]- صالح بن قربة: المرجع السابق، ص 128.

زخرفة المآذن:

إن إدراك الفنان المسلم لفن الزخرفة جعله يعتبر من أهم مبدعيه و منشنيه حتى كاد يعتبر الفن الإسلامي فنا زخرفيا، ذلك إن أغلب ما خلفه المسلمون من آثار ومعالم حضارية تحتوي ولو شيء القليل من الزخرفة أو النقش بدءا من خاتم الذي تحلى به البدو و إنتهاءا بالبناء الضخم الواسع الذي يجمع الآلاف من الناس[1].

استطاع الفنان المسلم بخياله الخصب أن يحقق الأمر الآخر وهو البعد عن المحاكاة الطبيعة وبهذا كان هذا الفن ملائما للمواصفات التي يحدد بها الفن الإسلامي[2].

لقد أبدع الفنان المسلم في زخرفة المآذن فقد خصها بعناية ومهارة فنجد فيها كل القيم الجمالية المؤثرة، فنجد فيها قدرا كبيرا من الإبداع الفني من الرشاقة والنقش والحليات وعلى هذا النحو تنوعت زخرفة المآذن في الغرب الجزائري من نباتية، وهندسية و كتابية، وتعد هذه العناصر مقومات أساسية في بناء هذا الفن، تتعاون مع بعضها تارة وتنفرد كل منها على حدا تارة أخرى .

الزخرفة النباتية:

أقبل الفنان المسلم إقبالا شديدا على استخدام الزخارف النباتية في فنونه المختلفة، ومن الأسباب الدافعة إلى ذلك، عدم وجود آيه شبهة للتحريم أو الكراهية في هذه النوعية من الزخارف. إذ يلاحظ أن القرآن الكريم قد وردت فيه إشارات كثيرة للنباتات والزروع والحب والخضروات ومنتجات المختلفة هذا بالإضافة أبى ذكر لأجزاء النباتات مثل الورق وطلع الأشجار والسنابل والينع والتمر، كما تحدث باستفاضة في كثير من الآيات عن الأشجار ومنافعها، وعن الزراعة وفوائدها وعن النباتات ودلالاتهما على وحدانية الله

---

[1]- خرواع توفيق : المرجع السابق ص92.

[2]- صالح أحمد الشامي: الفن الإسلامي التزام وإبداع" ط1" القاهرة، دار القلم، 1990،ص170.

وقدرتها وعن الحدائق والبساتين التي رأيتها تملأ النفوس بهجة وسرورا وعن الفواكه المختلفة[1].

باستيحاء من الطبيعة فقام رجال الفن تقليدها تقليدا صادقا حيث نجد الفنان المسلم لم يبتكر وحدات زخرفية نباتية جديدة، وإنما برع في طريقة وترتيب العناصر النباتية وتنسيق أجزائها تنسيقا " جعلها تبدوا وكأنها شيء جديد في مظهرها لكنها لا تخرج عن أصولها الواضحة[2].

لقد شهدت الزخرفة النباتية تأثيرا كبيرا في تزيين المباني عامة والمئذنة خاصة، فقد فسر العلماء ذلك التحوير بنفور المسلمين من تقليد الخالق عز وجل في خلقه وبالتالي انصرافهم بصدق عن تمثيل الطبيعة[3] وإختلفت أرائهم، فمنهم من يرى أن الزخارف النباتية والأزهار والأشجار ما هي إلا مجرد عناصر مجردة ، تمثل براءة الطبيعة ونقاء العقيدة وصفاء النفس ولا تعكس بأية حال إشارة أو رمز يدل عن غير ذلك، ويقف فريق آخر مشككا فيما إن كانت هذه الزخارف تتضمن رموزا دينية، توحي إلى الفردوس، أو أنها تشير إلى دلالات سياسية[4] ورغم ذلك فقد بلغت الزخارف النباتية درجة سليمة من الجمال الفني وتفرقا لا مثيل له وتجاوز في إيداعها حدا لم نستطع الفنون الأخرى بلوغه[5] ظهرت الزخرفة النباتية في المآذن الجزائرية في أول مرة في مئذنة جامع قلعة بني حماد.

ويتمثل ذلك في اللوحة الحجرية التي تعلو عقد مدخل يبلغ طوله 94 سم وعرضها 32سم[6]، محلاة بزخارف نباتية وهندسية وتتمثل في أغصان وفروع متموجة ومراوح

---

[1]- محمد عبد العزيز مرزوق: فنون الزخرفة الإسلامية في العصر العثماني، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، 1974، ص12.

[2]- عبد الناصر ياسين: الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية " دراسة في "ميتافيزيقا" الفن الإسلامي' الطبعة الأولى ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة مصر، سنة 2007، ص115.

[3]- زكي محمد حسن :المرجع السابق ص249

[4]- عبد الناصر ياسين:نفسه ص77.

[5]- لعرج محمود عبد العزيز: " الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر ومن العصر التركي "، ط1، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990، ص 275.

[6]- Rachid BOUROUIBA : Apport de l'Algérie ..... P317.

نخيلية بسيطة ومزدوجة، وتنتهي بأشكال زهرية مفصصة وهذه الفروع والمراوح تتموج وتتداخل فيما بينها على غراء ما يعرف بزخرفة التوريق، ويفصل الإيطار الخارجي عن الحشوة المركزية شريط من الدوائر المنقوطة[1].

أما في العهد الزياني تتعدد الزخرفة الكتابية وتشترك بصفة محصورة مع الزخرفة الديانية والهندسية[2]، فنجد الزخرفة النباتية في أعضاء المسجد بإستثناء المئذنة التي تتغلب عليها الزخرفة الهندسية، أما الزخارف النباتية فتكاد تندعم في المئذنة الزيانية ما عدا مئذنة المسجد الجامع بتلمسان حيث تتمثل في الطوق النحاسي الدائري المجوف الذي كان يتوج مئذنة المسجد الجامع إذا تتخلل الكتابة بعض المراوح النخيلية البسيطة منها ما ينتهي بثلاثة صفوف[3].

عرفت الفترة المرينية فقرا في الزحرفة النباتية وكان استعمالها محدودا جدا في عناصر المسجد فكان استعمال هذا النوع من الزخرفة إما وحيدا ومشتركا مع الزخرفة الهندسية أو الزخرفة الكتابية[4]، فنجد في جوسق مئذنة أبي مدين كوة مستطيلة داخلة تزينها شبكة من المعينات بها زخارف نباتية على شكل فروع متشابكة تنتهي بمراوح ثلاثية الفصوص من الفسيفساء الخزفية الدقيقة ذات اللون الأبيض والأسود ومحاطة باللون الأخضر الأخضر (اللوحة 60).

أما مئذنة جامع المنصورة فيتميز جزئها السفلي بزخرفة نباتية تزين المدخل المدخل الرئيسي الموجود في المئذنة، يعلوه إطار يحتضن باب الدخول به زخرفة كتابية ممتدة بينة وبين إستدارة العقد المتراكب السفلي الذي تعلوه باب المدخل الرئيسي وتتكون تلك المساحة من ركني العقد المذكور تقوم زخرفة نباتية عناصرها سيقان ملتوية ممتدة، وعناصر من المرواح النخيلية البسيطة والمركبة، منها عناصر بارزة وأخرى على

---

[1]- عبد الكريم عزوق:المرجع السابق، ص178

[2] - Rachid. BOUROUIBA : l'art algérien musulman, en Algérie P205.

[3]- عبد الكريم عزوق:نفسه، ص178

[4]- Rachid. BOUROUIBA: Ibid P205

عناصر أرضية متكونة من سيقان ملتوية بحجم أصغر (اللوحة 45) أما في العصر العثماني استخدمت الزخرفة النباتية مختلطة مع الزخرفة الهندسية وكان استخدامها محدودا وقد تميزت بتشكيلات متنوعة وأغلبها عبارة عن أنهار وأوراق عرفت بها الزخرفة العثمانية كزهرة اللالة التي انتشرت في كافة الفنون العثمانية من الخزف والنسيج والسجاد وغير ذلك، ولم تكن عناية العثمانيين بهذه الزهرة بسبب جمال شكلها فحسب، بل كانت تربط لديهم بمعان "ميتافيزقية" ومفاهيم عقائدية، إذا يلاحظ أن حروف هذه الزهرة هي "الألف والام والألف والألف والام والهاء" وهذه الحروف إسم الجلالة "الله" نفسها[1]. إلا أن نماذج المآدن العثمانية المختارة في دراستنا هذه تنعدم فيها تماما الزخرفة النباتية كمسجد الجامع الباشا بوهران ومسجد الجامع الدار البيضاء بمعسكر.

الزخرفة الهندسية:

لعبت الزخارف الهندسية دورا هاما في ازدهار الفنون الإسلامية، وبلغت ذروتها بالمغرب والأندلس خلال القرن 14م خاصة في تكسية الجدران المؤلفة من الزليج المفصص أو الفسيفساء الخزفية[2]، فقد أصبحت الرسوم الهندسية عنصرا أساسيا من عناصر الزخرفة منها الزخرفة الجصية والرخامية والحجرية، وبرع الفنان المسلم وأبدع فيها كثيرا إلى درجة جعلته ينال الإعجاب وتقدير الفنانيين الآخرين[3] وبراعة المسلمين في الزخارف الهندسية كان أساسها علم وافر بالهندسة العلمية التي استعملوها في زخارفهم الهندسية كالدوائر والمثلثات والمربعات والنجوم والأهلة والأطباق النجمية وأنصاف الدوائر وكذا العصائب والخطوط بأنواعها المنكسرة والمتشابهة[4]. ويبدوا أن النماذج التي وصلتا من الفن الإسلامي لهذه الأشكال تخرج من نطاق الحصر نظرا لانتشارها في

---

[1]– محمد عبد العزيز مرزوق: المرجع السابق ص280

[2]– لمرج محمود عبد المزيز : المرجع السابق،ص265.

[3]– خرواع توفيق: المرجع السابق ص99.

[4]– زكي محمد حسن : في فنون الإسلامية "، دار الرائد العربي، بيروت 1987.

مختلف المواد الفنية، وخلال شتى العصور الإسلامية المتعاقبة[1] وتكمن أهمية الزخارف الهندسية، يتعلق بأهمية موضوعها خاصتا إذا علمنا أن هناك إتجاها لمضمونها اتجاها يرى أن عدم احتلال التصوير الإسلامي للمرتبة الأولى في الفن الإسلامي ، يرجع إلى أن الرمزية الهندسية قد حلت محله، وذلك لأنها أصدق تعبير عن المطلق من ناحية، وعن المعاني من ناحية أخرى.

أستخدمت الزخرفة الهندسية في المآذن الجزائرية إستخداما واسعا فقد أصبحت هذه الزخرفة الهندسية ميزة من ميزا ة الفن الإسلامي في الجزائر، وقد إتخدت عناصر الزخرفة الهندسية في مآذن الغرب الجزائري شبكة من المعينات المتراكبة والمتناسقة فيما بينها وكذلك أشكال عديدة من العقود.

فشبكة المعينات المتداخلة ظهرت لأول مرة في المحراب جامع قسنطينة[2]، ثم استعملها الموحدون في زخرفة مآذنهم حيث ظهرت في جوسق مئذنة الكتبية بمراكش. وتشغل حيزا كبيرا في مسجد حسان بالرباط ، و الجيرالدا بإشبيليا[3]

يمكننا تصنيف مآذن الغرب الجزائري إلى نوعين:

1/مآذن عاطلة من شبكة المعينات، وهذا النوع يشمل المآذن العثمانية

2/ مآذن تحتوي على حشوة ذات المعينات المتشابكة، وهذا النوع يشمل كل المآذن المرينية ومعظم المآذن الزيانية.

---

[1]– عبد النصر ياسين: المرجع السابق ص95.

[2]- Rachid BOUROUIBA: L'art musulman..... p124

[3]- George Marçais :Manuels ....., p 401

شبكة المعينات:

تختلف شبكة المعينات ونظامها من مئذنة إلى أخرى وأحيانا يختلف في المئذنة الواحدة من جهة إلى اخرى ،كما هو الحال في مئذنة جامع ندرومة بحيث تكثر المعينات التي تزين الواجهة الشرقية للمئذنة ،فيبلغ عدد المعينات 105معين(10صفوف ذات 6 معينات /9صفوف ذات 5معينات)، أما في الواجهة الجنوبية والغربية تبلغ 59معين (7صفوف ذات 5معينات/6صفوف ذات 4معينات) ، أما مئذنة جامع تلمسان فزينت الواجهة الجنوبية 45معين (6صفوف ذات 4معينات/7صفوف بها 3معينات)، أما في الواجهتين الشرقية والغربية للمئذنة تبلغ 32معين (6صفوف ذات 2معينات/6صفوف ذات 3معينات)، أما المآذن الخالية من شبكة المعينات، تجد مئذنة جامع التي تزداد بحشوتين مستطيلتين الشكل، متراكبتان العليا منها مزينة بعقدين خماسي الفصوص داخل إيطار مستطيل يطوقه بدوره إيطار آخر مستطيل من الفسيفساء وهذا تجديد ظهر واضحا في تطوير نظام الزخرفة على مآذن المغرب الأوسط[1].

في النماذج المدروسة من المآذن نجد جميع المعينات متجانسة بإستثناء معينات مآذن جامع منصورة وسيدي بومدين.

ففي مئذنة جامع منصورة فإن الجزء السفلي للمئذنة منقسم إلى ثلاثة حشوات مستطيلة عمودية والحشوة التي تتوسطها يحوطها إطار مستطيل مجوف بفتحتين على شكل عقد متجاوز ، أما الأجزاء الجانبية بها شبكة من المعينات المتداخلة .

وفي الواجهة الشرقية لمئذنة سيدس أبي مدين: فإن شبكة المعينات منقسمة إلى ثلاثة حشوات مستطيلة عمودية، الوسطى منها مزينة في الجزء العلوي، بنافدة على شكل عقد نصف دائري متجاوز، بين هذه الفتحات هناك شبكة من المعينات عددها عشرة أما الحشوات الجانبية فهي مزينة بشبكة من المعينات على شكل عقد رخو دو رأس واحدة.

---

[1]-عبد الكريم عزوق: المرجع السابق ص187

أشكال المعينات :

كل المآذن زيانية كانت أو مرينية المزينة بشبكة المعينات تتخذ نفس الأسلوب الزخرفي في الجزء العلوي للمعين، فهو يأخذ شكل عقد وفي بعض الأحيان يشبه العقد الذي يحمل شبكة المعينات.

ويمكن تصنيف المعينات حسب شكل العقد الذي ينتهي به إلى:

1/ عقد رخو ذو شرفة من رأس واحد يملء الواجهة الشرقية والغربية لمئذنة جامع ندرومة والواجهة الشرقية والغربية لمئذنة جامع أبي مدين.

أما الواجهة الشمالية والغربية لمئذنة ندرومة تتخذ المعينات عقد نصف دائري متفاوت.

2/ عقد رخو ذو شرفة من رأسين ويشمل الواجهة الشمالية والجنوبية لمئذنة أبي مدين.

3/ عقد رخو ذو شرفية من رأس واحد متناوب مع عقد رخو ذو شرفية من رأسين وهذا النموذج نجده في الواجهة الشرقية الغربية لجامع الكبير بتلمسان.

تعتبر المعينات من أهم الزخارف التي زينت بها المأذن الزيانية والمرينية، أما الفترة العثمانية إستخدمت المعينات بأنواع مختلفة مصحوبة بزخارف نباتية وهندسية وكتابية وذلك في مختلف منشآت الدينية ولكن إستخدامها كان محدودا جدا وكان إستعمالها في عناصر المسجد لجامع عين البيضاء بمعسكر في إيطار المحراب بتركيبات زخرفية هندسية تتمثل في مربعات من نجمة وسطى تحيط بها أربعة معينات ركنية سداسية الأظلاع بينما المعينات الظلعية سداسية الأظلاع...[1] أما مسجد الباشا بوهران زين المنبر بخطوط متشابهة بينهما ينتج عنها تشكيل المعينات ولكن عنصر المئذنة خالي من شبكة المعينات وتكتفي المآذن العثمانية في الغرب الجزائري بالعقود والزليج.

---

[1]– بن بلة خيرة : المرجع السابق ص 402.

العقود:

أستعملت العقود في المآذن لوضعية جمالية فقط، وإتخذت هذه العقود عدة أشكال التي اختلفت من فترة إلى أخرى، وتعد العقود عنصرا زخرفيا إستعمله الفنان المسلم في تزيين الواجهات خصوصا المآذن المغربية الأندلسية في العصور الوسطى[1].

ظهرت العقود لأول مرة في الجزائر في مئذنة قلعة بني حماد شهدت طرازا فريدا من نوعه بين مآذن المشرق والمغرب كله، فالقطعتان الجانبيتان بواجهة المئذنة يزيدان بمشكاة جوفاء معقودة بعقد نصف دائري يحيط بعقد تشتبك فيه فصوص ويتخذ شكل دلالات[2] ثم إستعملها الموحدون في زخرفة مآذنهم فنجد هذه المعينات ترتكز على عقد واحد في الإيطار الرئيسي لمئذنة جامع إستيليا وعقدين في الإيطارات الوسطى في نفس المئذنة وثلاثة عقود في مئذنة القصبة في مراكش ومئذنة حسان بالرباط[3]، كما إستعمل الموحدون العقود المفصصة في حمل زخارف مظفرة[4]، ويبلغ عدد الفصوص تسعة[5] أما في مآذن الغرب الجزائري نلاحظ أن هناك تنوع كبير في عدد وأشكال العقود المستعملة في حمل شبكة المعينات نجد في المآذن الزيانية أن شبكة المعينات تتركز على عقدين ويشمل ذلك في الواجهة الشرقية لمئذنة جامع تلمسان أما الواجهة الشمالية والغربية والجنوبية على أربعة وفي مئذنة جامع ندرومة أن الواجهة الشرقية تشمل ثلاث عقود وعلى خمس عقود في الواجهة الشمالية والجنوبية للمئذنة، أما المآذن المرينية كمئذنة منصورة فهي الأخرى تتخلى بعقدين وثلاثة عقود في مئذنة سيدي أبي مدين.

---

[1]- صالح بن قربة : المرجع السابق ص124

[2]- رشيد بورويبة :الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1988م ص213

[3] - Rachid BOUROUIBA: Apport de l'Algérie..... P296

[4]- صالح بن قربة : المرجع نفسه ص89

[5] - Rachid BOUROUIBA: Ibid..... P297

أما أشكال فتختلف من فترة إلى أخرى، فتجد عند الزيانيون العقود الخماسية الفصوص وعقود ذات إحدى عشر فصا ولا سيما العقد ذي شرفة من رأس واحد ورأسين فمئذنة ندرومة بزخرفت واجهتها الشمالية بعقد ذي ثلاثة فصوص وفي مئذنة الجامع الكبير فتتحلى بعقد ذي سبعة فصوص. ونجد في الفترة المرينية أن الأسلوب الزخرفي لأشكال العقود يشبه المآذن الزيانية وهذا يوحي لنا بتأثر الفن الزياني على المريني ففي مئذنة سيدي أبي مدين إستعمل العقد المفصص ونجد في الواجهة الغربية للمئذنة عقد ذي إحدى عشر فصا وعقد رخو ذي شرقة من رأس واحد في الواجهة الشمالية للمئذنة وإستعمل كذلك العقد الرخو برأس واحد ورأسين وثلاثة رؤوس، وفي مئذنة منصورة إستعمل العقد الرخو ذي شرقة من رأس وثلاثة رؤوس واستعملت كذلك العقد النصف دائري المتجاوز من ثلاثة وخمسة وسبعة وتسعة وإحدى عشر فصا.

أما في الفترة العثمانية إستعملت أنواع مختلفة من العقود فهناك العقود المفصصة والمنكسرة والدائرية والمستطيلة المنحنية..... فنجد في مئذنة الباشا بوهران العقد المفصص الذي أستعمل لتزيين كل الواجهات حيث نجد بها صنف يقسم الواجهات إلى قسمين ففي الجهة السفلى مزينة بعقدين مفصصين متشابكين متداخلين الذي يزين كل جهة من واجهات المئذنة.

أما مئذنة جامع الدار البيضاء بمعسكر فهو خالي من أي زخرفة تماما.

الفسيفساء:

استعمل الفنان في تزيين المآذن زخرفة قائمة على تشكيلات من الفسيفساء الخزف التي نجدها في معظم الحالات في جوسق بالفسيفساء، فمئذنة جامع أبي مدين شرفاء المآذن جوسقها محلى بإيطار مستطيل بداخله زهيرات من الفسيفساء الخزف وهي بعد ثلاثة ونصف وكل زهرة ذات إثنى عشر بتلة ثم حاشية ضيقة تتحلى خطوط مستقيمة متضافرة وتكسوا كل واجهة من واجهات جوسق المئذنة (اللوحة 28)

أما في الفترة العثمانية نجد هذا النوع من التزيين على شكل بلاطات من الزليج، فهي مئذنة جامع الباشا بوهران يتوسط الجوسق المثمن وهو منقسم إلى جزأين السفلي خالي من الزخارف، أما العلوي فمغطى بمعينات من الزليج الأزرق والأبيض، أما بدن المئذنة فهو مقسم بطنف جزأين وكل جزء مقسم إلى جزأين يعلو كل جزء شريط من الزليج في كل ظلع نجد إيطار من مستطيل من نفس شبكة معينات الجوسق باللون الأزرق والأبيض – الشكل–وتذكرنا هذه الزخرفة بتلك التي تزين الدخلات الصماء الموجودة في جوسق مئذنة الجامع أبي لحسن بتلمسان، فيكون هذا التأثير مقربا على العمارة الجزائرية في العهد العثماني.

أما مآذن الغرب الجزائري الباقية فهي خالية من هذا النوع من التزيين باستثناء مئذنة سيدي الحلوي التي لا تدخل في نطاق دراستنا.

الزخرفة الكتابية:

من المعروف أن الخط العربي ارتبط ارتباطا وثيقا بالدين الإسلامي، ومن ثم فغن المسلمون ينتظرون إليه نظرة إكبارا وتقديرا، ويتذوقونه بمتعة وروحية بالإضافة إلى اللذة الحسبة[1] حتى قيل عنه أنه " هندسة روحية " فهو يجمع بين حالتين: الجلال السماوي والجلال الدنيوي [2].

فلقد لعبت الكتابة العربية في الحضارة الإسلامية دورا هاما في عالم الزخرفة والفن الإسلامي، فتعتبر الزخرفة الكتابية من ابتكارات الفن الإسلامي لها ميزات و خاصية واضحة من خلالها أهم الفنون الإسلامية.

---

[1]– حسن باشا : أثر العروبة والإسلام في نشأة الفنون العمارة والزخرفة، مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة الأولى ، الرياض، ذو الحجة 1495هـ/ديسمبر، 1975 ، ص45.

[2]– ثروت عكاشة: التصور الإسلامي الديني والعربي، المؤسسات العربة للدراسات والنشر، بيروت 1977م، ص25.

إن أهم ما استعمل الخط العربي كفن زخرفي كان في مصر مع نهاية القرن الثاني الهجري، الثامن ميلادي، ثم داعت شهرته وازدهاره خلال القرن الرابع الهجري ، العاشر ميلادي، وسار في ذلك حتى بلغ ذروته في الروعة والازدهار الفني والجمالي في أثناء القرنين الخامس والسادس الهجري ، أي الحادي عشر والثاني عشر الميلادي. واعتمد الفنان على استعمال الخط الكوفي بأنواعه نظرا لما يمتاز به من خطوط مستقيمة وحروف تتماشى وهدف الفنان المنشود[1].

لقد لعبت الزخرفة الكتابية دورا هاما في المنشآت الدينية في الجزائر، أما المآذن فهي الأخرى زينت بالزخرفة الكتابية.

إذن في بعض الأحياء تكون مختلطة من الزخارف النباتية والهندسية أما مآذن الغرب الجزائري معظمها خالية من النقوش الكتابية باستثناء مئذنة جامع المشور الذي يحيط بإحدى الواجهات للمئذنة شريط من الكتابة بالخط النسخي على مهاد من التوريقات وقد تعذر علينا قراءتها بسبب العوامل الطبيعية التي أثرت على الشريط[2]، أما بالنسبة لنماذج المآذن المدروسة فنجد في مئذنة جامع الكبير طوق نحاسي كان يتوج للمئذنة بن نقوش كتابية مضمونها " اليمن والإقبال "[3] (اللوحة 27) ويوجد هذا الطوق النحاسي بمتحف آثار القديمة بالجزائر العاصمة.

وهناك مثال آخر من النقوش كتابية بالخط الكوفي الهندسي المزوي المعروف بالمربع رصع بالزليج نصه " بركة، محمد " ويحتضن العقد الكبير عقدا آخر من نوع مفصص[4]، ونجد نفس النقش الكتابي على إحدى جدران مسجد الشرابلين بفاس في العهد المريني[5]. أما مئذنة منصورة فتحتل جزءها السفلي إيطار يحتضن باب الدخول ويعلوه قوام زخارف

---

[1]- أنور الرفاعي: تاريخ الفن عند العرب المسلمون، ط2 دار الفكر ، دمشق، يكون تاريخ ،ص136.

[2]- عبد الكريم عزوق:المرجع السابق، ص186.

[3] -Rachid BOUROUIBA : Apport de l'Algérie .....P316.

[4]- عبد العزيز لعرج : رسالة دكتوراه ، المرجع السابق، ص268.

[5] -Rachid BOUROUIBA : L'art religieux.....P274

شريط كتابي تأسيسي بالخط المغربي النسخي الأندلسي[1] ولم يكن من السهل قراءتها حوالي منتصف القرن الماضي من طرف بارجيس[2] وهذه الكتابة مضمونها:

" أشهد أن لا إلاه إلا الله ومحمد رسول الله"

وهناك نص أخر تحت النقش الكتابي العلوي لكن هذه الكتابة مختلطة عناصرها بعناصر زخرفية أخرى هندسية ونباتية ومضمون تلك الكتابة بالخط النسخي بالخط الكوفي. " الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، أمر ببناء هذا الجامع المرحوم أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق رحمه الله"[3].

[1] -Rachid BOUROUIBA : L'art religieux..... p180

[2]- عبد العزيز لعرج: المرجع السابق ،ص211

[3] -Brossefard : '' les inscriptions arabes '' ,p 235

الخاتمة

إن عنصر المئذنة بشكله المعماري المميز لم يكن معروفا في عهد الرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان المسلمون يعلنون على الصلاة من أعلى مكان في المسجد يرفع المؤذن صوته لإعلان عن الصلاة، فكانت المساجد الأولى خالية من هذا العنصر المعماري مثل المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، و ظهرت المآذن الأولى في الإسلام في العصر الأموي في الجامع الأموي بدمشق حيث استعملت أبراج المعبد القديم لتصبح أول طراز معماري تعرفه العمارة الإسلامية ومع مرور الزمن شهدت المئذنة تطورات في شكلها المعماري انطلاقا من عوامل عديدة منها مناخية وسياسية وعسكرية وحتى في مواد البناء ، فالمئذنة أعطت للمسجد طابعا مميزا يختلف من عصر لآخر.

إن المآذن المشيدة عبر تراثنا الوطني تختلف في أشكالها وتخطيطها الداخلي والخارجي وموقعها في الجامع من منطقة إلى أخرى ومن فترة إلى أخرى، فنجد في الغرب الجزائري على وجه الخصوص طراز في المئذنة المربعة التي يرجع شكلها إلى المئذنة جامع القيروان أولى مآذن المغرب الإسلامي، وهذه الأخيرة تأثرت هي الأخرى بمئذنة الجامع الأموي بدمشق ، فهناك أيضا طراز المئذنة المثمنة الأضلاع و المئذنة الأسطوانية الشكل. وهذا التنوع راجع إلى المراحل والفترات التي مر بها الغرب الجزائري ففي الفترة المرابطية لم يسجل إنشاء مآذن على الإطلاق في المساجد ذلك لاعتبارهم أن المئذنة بدعة لأن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خال من عنصر المئذنة لهذا تمسكوا بهذه السنة، أما الموحدون فلم يشيدوا في بلادنا بتاتا وعلى الخصوص الغرب الجزائري منشآت دينية، أو لم يصل إلينا النماذج..

تمتاز المئذنة في الفترة الزيانية بالرشاقة والجمال فهي ذات ارتفاع متوسط يتناسب مع كبر مساحة المسجد أو صغرها، فتبدوا المئذنة الزيانية وثيقة الصلة بمآذن الموحدين فهي ذات طابقين وتنتهي بشرفة، فقد أثرت المآذن الموحدية على نظيرتها الزيانية سواء

في نظامها العام أو من حيث الزخرفة وهذا الإلهام اقتبس لأول مرة من المئذنة الكتيبة بمراكش، وحسان بالرباط والجيرالدا بإشبيليا ، فقد تأثر الزيانيون والمرينيون بهذا الطراز وتميزت هذه المآذن بأنها تقع عادة في زوايا الجدار في مؤخرة المسجد باستثناء جامع تلمسان التي تقع مئذنته في منتصف جدار المؤخرة أي نفس محور المحراب، تتألف المئذنة في هذا العهد من نواة مركزية مربعة يلتف حولها درج صاعد في شكل حلزوني وتغطيها أقبية نصف برميلية.

عرفت المئذنة قمة ازدهارها من حيث الجمال والارتفاع والتخطيط الداخلي في العهد المريني، فمئذنة جامع المنصورة الفريدة من نوعها لها خصائص ومميزات لا توجد إلا في هذه المئذنة.

فهي أعلى مآذن الجزائر ، وثالث مآذن المغرب الإسلامي بعد مئذنتي جامع الكتيبة بمراكش ومئذنة حسان بالرباط، وهذا الارتفاع له هدف عسكري يشمل في المراقبة، أما من حيث تخطيطها الداخلي فتعتبر الوحيدة في الجزائر التي تحتوي على نواة مركزية جوفاء بداخلها غرف متراكبة، ويرتقي الراقون أعلاها عن طريق ممر صاعد منحدر بدور حولها فهذا مقتبس من المآذن الموحدية التي اقتبس هو الآخر من مئذنتي سامراء ومئذنتي جامع ابن طلون فاستعمال المنحدر في عهد بني مرين يعتبر تطورا ، أما من حيث الابتكار، وهي المدخل الرئيسي للجامع الموجود في قاعدة المئذنة فهي المئذنة الوحيدة في المغرب الإسلامي التي تتحلى بهذه الخاصية الفريدة من نوعها.

وفي الفترة العثمانية، نجد أن طراز المئذنة يختلف عن شكل المآذن الزيانية والمرينية ، فقد إبتكر المعماري العثماني شكلا جديدا لا وجود له قبل ذلك في الجزائر، فنجد الشكل المثمن كمئذنة جامع الباشا مسجد الدار البيضاء بمعسكر، فهي مكونة من طابقين، اما تكوينها الداخلي فتتوسطها نواة مركزية إما إسطوانية أو مثمنة يدور حولها درج صاعد يؤدي إلى أعلى شرفة.

توجت المآذن الزيانية والمرينية باستثناء جامع ندرومة بشرافات مسننة محاطة بشرفة وهذا مازادها جمالا رونقا. أما في المآذن العثمانية فقد اتخذت الشرافات إبداعا جديدا فهي عبارة عن شبكة حديدية من المربعات بداخلها شكل زخرفي ويشمل هذا النموذج.

لم تستخدم الزخرفة النباتية في الغرب الجزائري استخداما واسعا، فكان استعمال عناصرها محدودا، فنجدها مختلطة بالزخرفة الهندسية والنقوش الكتابية، وإقتصر على بعض المراوح النخيلية والفروع والأغصان كما هو الحال في الواجهة الرئيسية لمئذنة جامع منصورة.

أما الزخرفة الهندسية فقد شملت معظم مآذن الغرب الجزائري وأصبحت ميزة من مميزات المآذن الجزائرية، وقد عرفت تطورا مدهلا في العهد الزياني والعهد المريني فنجدها مزينة بإطار من المعينات ، فتركيبها يتغير من مئذنة إلى أخرى وفي بعض الأحيان نجد هذا التغير في نفس المئذنة من واجهة إلى أخرى كما هو الحال في مئذنة جامع ندرومة، أما العقود فنجد منها أشكال متنوعة تحمل شبكة المعينات في كل واجهات المئذنة.

تشهد المئذنة المرينية ابتكارا من حيث تزيين الجوسق، فمئذنة سيدي أبي مدين فريدة من نوعها من حيث تزيين الجوسق فهو مزين بزهيرات من الفسيفساء الخزفية وهذا ميزها عن باقي المآذن فامتازت بالأناقة والجمال وهي مئذنة الوحيدة في الغرب الجزائري المتوجة بهذا النوع من الزخرفة ، لا تشمل مآذن الغرب الجزائري على الزخرفة الخطية باستثناء مئذنة جامع منصورة التي بها نقوش كتابية بالخط النسخ والخط الكوفي مندمجة مع الزخرفة النباتية وكذلك مئذنة جامع سيدي أبي مدين ومئذنة الجامع الكبير، فقد كانت متوجة بطوق نحاسي يحمل بكتابة زخرفية والآن محفوظ بمتحف الآثار والفنون الإسلامية بالجزائر العاصمة.

أما المآذن العثمانية فقد امتازت بالتنوع والابتكار من حيث الشكل، أما من حيث الزخرفة نلتمس نوع من البساطة الفنية كما هو الحال في مئذنة جامع الباشا بوهران المزينة ببلاطات من الزليج وانعدام الزخرفة والنقوش كما هو الحال في مئذنة الدار البيضاء بمعسكر، وربما يعود ذلك إلى أن الخلافة العثمانية في الجزائر لم تعرف استقرارا سياسيا وأمنيا منذ ثلاثة قرون من الزمن حيث إهتم حكام الجزائر خلال هذه الفترة بالجهاد، فنلاحظ أن هناك نقس في الدقة والإتقان عكس ما عرفته المئذنة الزيانية والمرينية التي بلغ أعلى دورتها في الجمال.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية:

القران الكريم: برواية ورش

- ابن الأثير علي بن أحمد بن أبي الكرم(، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت لبنان، جزء 3.
- ابن الحكم (عبد الرحمن بن عبيد الله). فتوح مصر والمغرب، تحقيق الأستاذ عبد المنعم عامر، القاهرة 1961، وطبعة Albert Gateau Alger 1947، du Nord et L'Afrique d'Espagne .
- ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستمية ، محمد الناصر إبراهيم ، المطبوعات الجميلة ، الجزائر 1986.
- ابن المرزوق التلمساني: المسند الصحيح في مآثر المولى أبي الحسن تصحيح الاستاد ليغي بروفنسال، اميل لاروز، ارينس 1925.
- ابن حجر العسقلاني: شرح صحيح البخاري، طبعة بيروت 1976، كتاب الآذان، باب بدأ الآذان، ج2
- ابن خلدون أبو يحي زكرياء، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الحميد حاجيات، إصدارات المكتبة الوطنية 1400-1980.
- ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة دار الجيل، بيروت.
- ابن عذاري : أبو العباس أحمد ، البيان المغرب في أخبار المغرب، تحقيق -ليفي بروفنسال وكولان جزان، لندن 1948-1951. طبعة صادر جظان- بيروت 1950،ج1
- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين الجزء الأول، طابعة مصر، 1303 هـ.
- أبو حسن أحمد بن يحيى البلاذري : فتوح البلدان، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1983/1403.
- أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، تحقيق مرايا خيصوص، تقديم محمود بوعياد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1981.
- أحمد تقي الدين المقريزي: الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار، منشورات دار المعارف، لبنان 1920، المجلد 3.

- البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب نشرة دي سلان DESLANE الجزائر1911، بعنوان: Description de l'Afrique septentrionale
- السلاوي: كتاب المغرب والمشرق في حلي المشرق ،لندن،1988،ج1.
- السلاوي: الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، الدار البيضاء) بدون تاريخ(.
- المالكي، أبو بكر بن عبد الله، كتاب رياض النفوس، تحقيق الدكتور حسن مؤنس، القاهرة، 1951.
- المراكشي) محي الدين عبد الواحد بن علي(:كتاب المعجب في تلخيص إخبار المغرب،تحقيق الإستادان محمد سعيد العريان و محمد العربي علمي،القاهرة 1958
- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين): مروج الذهب ومعادن الجوهر– الجزء الرابع، طبعة محي الدين عبد الحميد، ج3 ج4 القاهرة 1958.
- بن أبي الزرع (علي بن محمد الفاسي) الأنيس المطرب القصاص في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس نشره Tornberg، أبسال، 1843.
- كتاب العبر:دار الكتاب اللبناني، بيروت 1966،ج6.
- لبخاري الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، تاريخ 256ه/ 869م،صحيح البخاري ،المجلد الأول،ج2،بيروت بدون تاريخ
- ليفي بروسلان: الإسلام في المغرب الإسلامي و الأندلس،ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز سالم و الإستاد محمد صالح الدين حلمي، القاهرة 1958
- محمد ابن المرزوق:المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة و تحقيق الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمد بوعياد، إصدارات المكتبة الوطنية(SNED)، النصوص و الدراسات التاريخية،5،الجزائر 1981/1401.
- محمد بن عبد الله التنسي: مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعياد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1985.
- محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الجزائر 1978م.

المراجع العربية:

- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين الجزء الأول، طابعة مصر، 1303 هـ.
- أحمد توفيق المدني: محمد باشا داي الجزائر،1791،1766،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1986.
- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاث مائة سنة، بين الجزائر والأسبان 1792/1492، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ج2
- أحمد سوسة: مسجد سامراء، طبعة المعارف، ج1.
- أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها، مدخل دار المعارف بمصر 1961.
- أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة بيروت، لبنان 1979.
- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الطبعة الثالثة، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية 1982.
- السيد عبد العزيز سالم: التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامي في مجال فنون العمارة الزخرفية، بحث ألقي في ندوة العلاقات المغربية المصرية، القاهرة 1989م
- السيد عبد العزيز سالم: المآذن المصرية نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح العربي حتى الفتح العثماني، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية القاهرة1959 .
- أنور الرفاعي: تاريخ الفن عند العرب المسلمون: ط2 دار الفكر ، دمشق، بدون تاريخ
- أنور الرفاعي: تاريخ الفن عند العرب، الطبعة 2، دار الفكر، 1977.
- بالحاج معروف: العمارة الإسلامية: مساجد مزاب والمصليات الجزائرية، منشورات قرطبة، الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م
- ثروت عكاشة: التصور الإسلامي الديني والعربي -5- المؤسسات العبية للدراسات والنشر، بيروت 1977م
- ثروت عكاشة: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية (الأضرحة والمقابر) دار المعارف – القاهرة 1981
- جمال الدين سرور: مصرفي عصر الدولة الفاطمية، القاهرة 1970.
- جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.

- جوستان لوبون: حضارة العرب (ترجمة عادل زعيتر)، مصر، طبع بمطبعة عيسى حلبي.
- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلامي، السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل بيروت القاهرة، ط 15، ج1، مكتبة النهضة المصرية، 1422-2001 م
- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية : الطبعة الثالثة القاهرة 1964.
- حسن إبراهيم والأستاذة طه: "عبيد الله المهدي" إمام الشيعة الإسماعيلية، القاهرة،1947
- حسن أحمد محمود: بنو زيري وسياستهم الداخلية
- حسن باشا : أثر العروبة والإسلام في نشأة الفنون العمارة والزخرفة، مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة الأولى ، الرياض، ذو الحجة 1495هـ/ديسمبر،1975.
- حسن مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، من قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي الجزائري في القرن السادس إلى القرن التاسع عشر ميلادي المجلد الأول، الجزء الأول، العصر الحديث للنشر والتوزيع، 1992.
- رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سبتمبر 1986.
- ربيع القيسي: جامع الجمعة في سامراء (مجلة الحوليات السورية دمشق 1956)، ج2.
- رشيد بورويبة :الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1988م
- رشيد بورويبة :الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة إبراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1989م
- رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ من الفتح الإسلامي إلى بداية العهد العثماني، وزارة الثقافية والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، المؤسسة الوطنية للفنون، وحدة رغاية1984
- زكي محمد حسن: ' في فنون الإسلامية "، دار الرائد العربي، بيروت 1987.
- زكي محمد حسن: كنوز الفاطميين، دار الرائد العربي، بيروت،1981.
- زكي محمد حسن: فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت 1981.
- زكي محمد حسن: فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان 1416هـ، 1981م
- سعد زغلول:تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور لاستقلال،(ليبيا تونس الجزائر) نشأة المعارف بالإسكندرية،1955،ج1.

- سليمان الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة والملوك الإباضية،د.ت،ج2.
- سيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ، العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وعمرانية وآثرية، دار النهضة العربية، بيروت- 1981،ج1،ج2.
- صالح أحمد الشامي: الفن الإسلامي التزام وإبداع" "ط1" القاهرة، دار القلم، 1990.
- صالح بن قربة: المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.
- عبد الحميد بن اشنهو: دخول الأتراك العثمانيون إلى الجزائر، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر1972.
- عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الثاني حياته وآثاره، ط1 الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام،ج1، المطبعة العربية الجزائر 1373-1954،ج1.
- عبد العزيز سالم: المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ج1.
- عبد العزيز فبلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 .
- عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني)ط1، الجزائر م و ف م، 2002) ج 1
- عبد الكريم عزوق: القباب والمآذن في العمارة الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية 1996.
- عبد الكريم عزوق، تطور نظام المآذن في المغرب الأوسط منذ بداية بني حماد حتى نهاية العصر العثماني، رسالة ماجستير في الآداب- قسم التاريخ والآثار، جامعة الإسكندرية 1991.
- عبد الله كامل موسى عبده:العباسيون و أثارهم المعمارية في العراق و مصر و إفريقيا دار الافاق العربية ط 1 القاهرة 2002/1422م
- عبد الله كامل موسى: الأمويون وآثارهم المعمارية، دار الآفاق العربية، ط1، 2003
- عبد الناصر ياسين: الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية " دراسة في ""ميتافيزيقا" الفن الإسلامي' الطبعة الأولى ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة مصر، سنة 2007 .
- عريب بن سعد: صلة تاريخ الطبري،لندن،1861.

- عطاء الله دهينة: الجزائر في التاريخ العهد الاسلامي، ج3.
- عفيف بهنسي: الجامع الأموي بدمشق، دار طلاس، دمشق، 1988.
- عفيف بهنسي: موسوعة الثرات المعماري، ج2
- علي عبد القادر حلمي: مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830،ط1،المطبعة لدار الفكر الإسلامي.
- عيسى سليمان: العمارات العربية، ج1
- فريد الشافعي مئذنة جامع ابن طولون رأي في تكوينها المعماري (مجلة كلية الآداب المجلد 14، الجزء 1، عام 1952
- فريد الشافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر1970.
- لعرج محمود عبد العزيز: " الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر ومن العصر التركي "، ط1، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990.
- محمد الطمار: تلمسان عبر العصور دورها في السياسة وحضارة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، 2007.
- محمد بن ميمون الجزائري: التحفة الرضية في الدولة البكداشية، مطبعة الجزائر،1981.
- محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافية، بيروت، لبنان.
- محمد عبد العزيز مرزوق: فنون الزخرفة الإسلامية في العصر العثماني، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، 1974.
- محمد ماجد خلوصي: المسجد عمارة وطراز وتاريخ، الطبعة الأولى، لبنان: دار قابس للنشر والتوزيع،1989.
- محمود وصفي محمد: دراسات في فنون العمارة العربية الإسلامية، دار الثقافة للطابعة والنشر بالقاهرة، 1980.
- موسى لقبال ، المغرب الإسلامي سياسة ونظم ،ط1،نشر مطبعة البحث قسنطينة الجزائر
- يحي بوعزيز: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، منشورات.ANEP 2004

الرسائل الجامعية

- بلحاج معروف: العمارة الدينية الإباضية بمنطقة الوادي مزاب من خلال بعض النماذج، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة، قسم الآثار كلية الآداب،تلمسان، السنة الجامعية 1423/مارس 2002.
- بن بلة خيرة: المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه،معهد الآثار، الجزائر، السنة الجامعية 2005-2006.
- خرواع توفيق:دراسة فنية أثرية لجامع الباشا بوهران،رسالة ماجستير، الثقافة الشعبية، السنة الجامعية 2002-2003.
- صادق خشاب: تأثير الفن الزخرفي الأندلسي على نظيره المغربي،نموذج تلمسان، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبة، السنة الجامعية 2000-2001.
- طرشاوي بلحاج: المآذن الزيانية و المرينية في تلمسان دراسة تاريخية. رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، السنة الجامعية 2002-2003.
- عبد الكريم عزوق: تطور نظام المآذن في المغرب الأوسط منذ بداية بني حماد حتى نهاية العصر العثماني، رسالة ماجستير في الآداب- قسم التاريخ والآثار، جامعة الإسكندرية السنة الجامعية 1990- 1991.
- فايزة مهتاري: أضرحة الأولياء في الغرب الجزائري، دراسة تاريخية ومعمارية خلال بعض النماذج السنة الجامعية 2005-2006.
- لعرج عبد العزيز: المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، رسالة دكتوراه ، مكتبة الآثار، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1998- 1999.

المجلات و الدوريات:

- دائرة المعارف الإسلامية، مادة "المنارة
- مجلة الأصالة، ع 26، السنة الرابعة، جويلية 1975.
- مجلة العربي، ع 507، فبراير 2001.
- مجلة منار الإسلام، ع 03، السنة السابعة، يناير 1982.

المراجع بالفرنسية:

- A .BEL : «Fouilles faites sur l'emplacement d'Agadir, l'ancienne mosquée de Tlemcen », Tlemcen, IWEV A.F.R, 1913
- A BERQUE : L'Algérie terre Art et histoire, ouvrage publié sous les auspices du gouvernement général de l'Algérie. Alger 1973.
- A. LEZINE: Notes d'archéologique Tlemcenienne in Bulletin d'archéologie algérienne, Tomme I, 1962-1965, Edtions E de Boccard, Paris 1967
- Ahmed KOUMAS et Chéhrazede NAFA :L'Algérie et son patrimoine, centre des monuments nationaux /Monum, Edition du patrimoine, Paris 2003
- Amar DHINA: Cites musulmanes d'orient et d'occident, sned, Alger.
- Brahim BENYOUCEF: Introduction à l'histoire de l'architecture islamique. Office des Publications Universitaires, 1994.
- CRESWELL (K.A.C): Early muslim architecture, umayyads, A.D. 622- 750 vol I , part II, Clarendon press, oxford, 1969.
- CRESWELL: Short Account of Early Muslim architecture, pengain Books, 1958, Beirut.
- Elie LAMBERT: L'art musulman d'accident des origines à la fin du xve siècle, société d'édition d'enseignement supérieur paris V° 1966.
- Encyclopédie Britanica, vol 11.
- George et william MARCAIS : Les monuments Arabes de Mascara, in R.n°4, Office des publication universitaire, Alger 1859/60
- George et william MARCAIS : Les monuments arabes de Tlemcen, Albert Fontemoing Editeur, Paris 1903
- George MARCAIS : « Sur la grande mosquée de Tlemcen ». In Amnales de l'institut d'études orientales tome VIII ; Edition la typo – Litho et Julie Carbonel Serger, 1949-1950.
- George MARCAIS: L'architecture musulmane d'occident (Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile), Art et métiers, Géographie. Paris 1954
- Gorge MARCAIS: L'art en Algérie, imprimerie Algérienne, Alger 1906
- Gorge MARCAIS: L'art musulman, presse universitaire de France, édition Auguste Picard 1926
- H. BASSET et H TERRASSE : « sanctuaires et forteresses almohades », Hesperis institut des hautes études marocaines N°VI La rose éditeur. Paris 1932.
- Henri STERLIN: l'architecture de l'islam, de l'atlantique au Gange paris ,Ed, société Française du livre 1979, office du livre Fribourg .
- Houari CHAILA : Oran histoire d'une ville , Oran 2002, EDIR.
- Kamel Edine SAMAH: Minaret in morth Africa And Spain in Bulletin of the faculty of arts, décembre 1953, vol xv, part II, cairo university, press 1954.
- L'Abbé BARGE : complément de l'histoire de Ben- Zeiyane roi de Tlemcen , ouvrages de Cheikh Mohamed Abdel El Tanassy, Ernest Le Roux 28 Bonaparte,1887.
- Louis JANET : L'Algérie, premenades pittoresque, , Libraire Editeur, Paris, 1840

- Lucien GOLVIN.: Essai sur l'architecture religieuse musulman. Tome I (généralités) Edition Klincksreck, paris 1970.
- Lucien GOLVIN : recherches archéologiques à la kalaa des Beni hammad, G.P Maison neuve et la rose, paris 1965.
- M. TERRASSE : L'art hispano mauresque,Publicatuion de l'Institut des hautes études marocaines, Tome XXV, Paris, Les éditions G. Van Oest 1932.
- Markus HATTSTEIM et Peter DELIUS: Art/ civilisation de l'islam, Edition Française, 2000
- Rachid BOUROUIBA: Apport de l'Algérie à l'architecture religieuse arabo-islamique
- Rachid BOUROUIBA: L'art musulman en Algerie, S.M.E.B, Alger, 1972
- Schact. j: Art oriental v2

المجلات و الدوريات الأجنبية:

- Ch LECLERC : " les inscriptions de Mascara" In revue Africaine1859-1860.
- Ch. BROSSLARD : Les inscriptions arabes de Tlemcen, Mansouria in revue africaine, 3ème Année, N°17, Juin 1859
- K.E SAMAH : Minarets in north africa and spain In bultin of the faculty of art, decemder 1953,vol XV, Cairo university press 1954
- K.E SAMAH : The birth and evolution of minarets in islam, in the bultin of the faculty of engineering, Cairo university press 1955.
- Site Internet
- Yvres Bonet:" Note sur l'architecture Religieuse au Mazb" Cahier des arts techniques d'Afrique du nord N°61960-1961 .

الملاحق

الاشكال

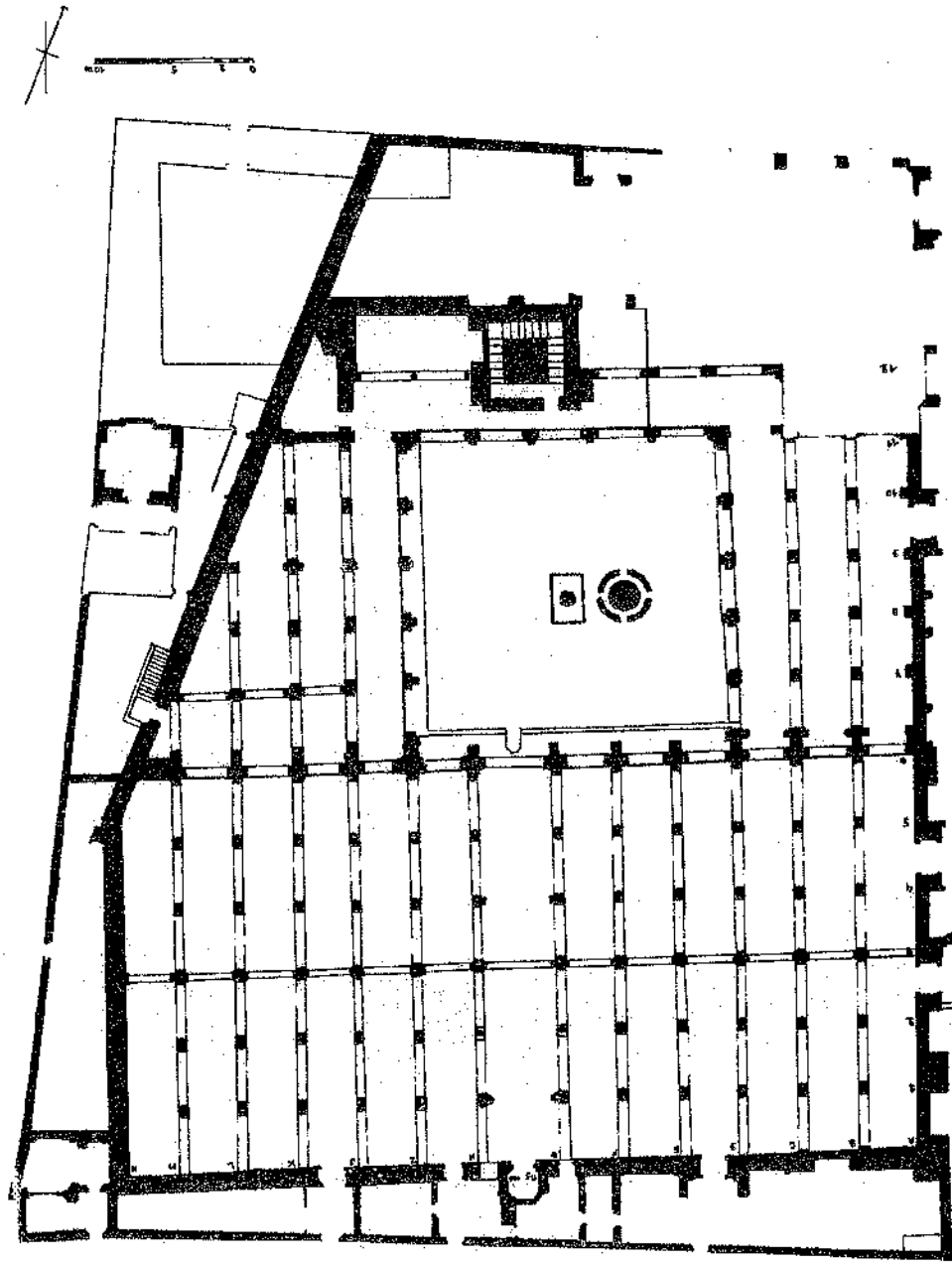

الشكل1 مخطط - الجامع الكبير-
(Rachid BOUROUIBA : L'Art religieux....P/ XLI)

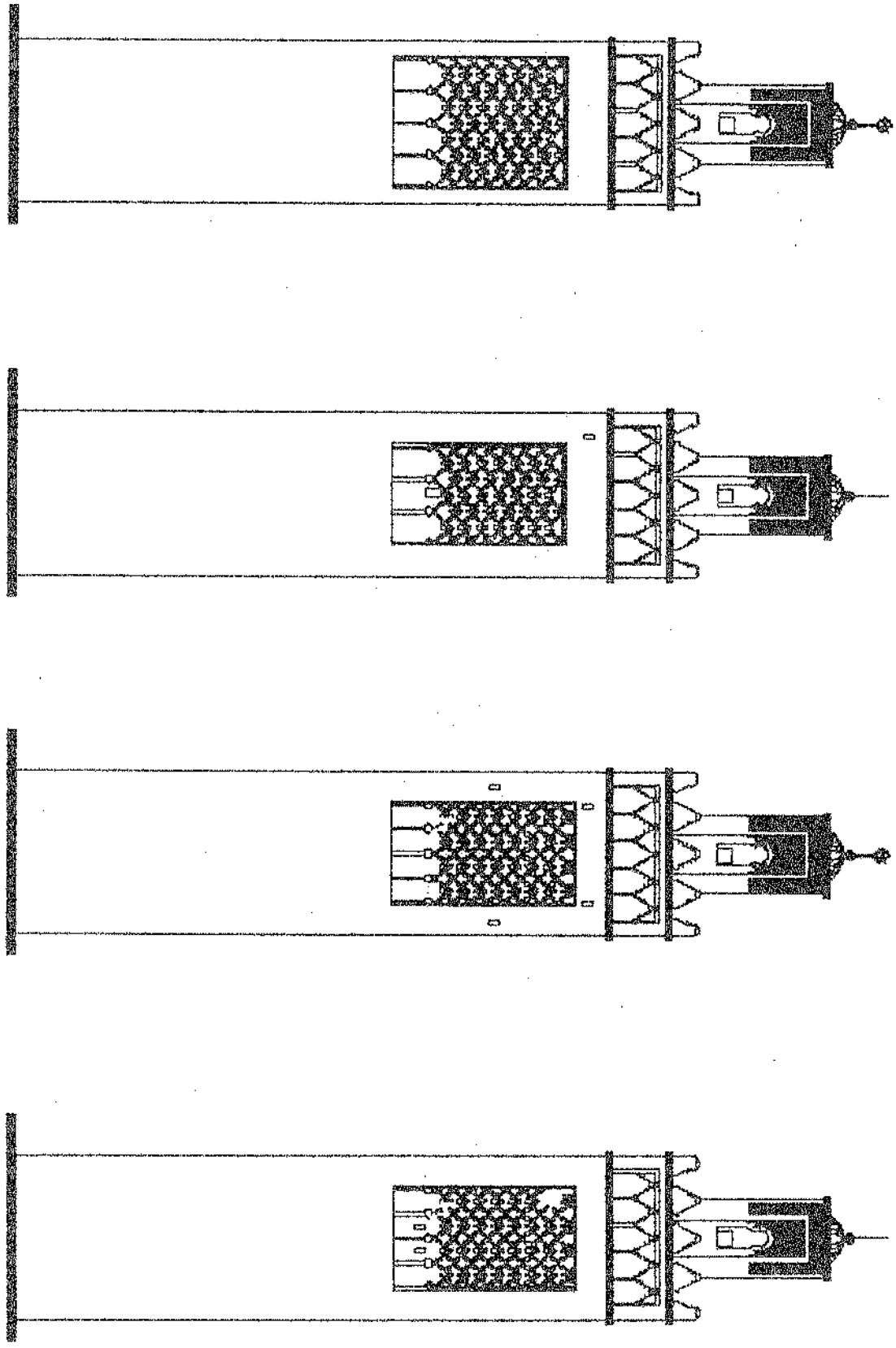

الشكل2 واجهات المئذنة - الجامع الكبير-

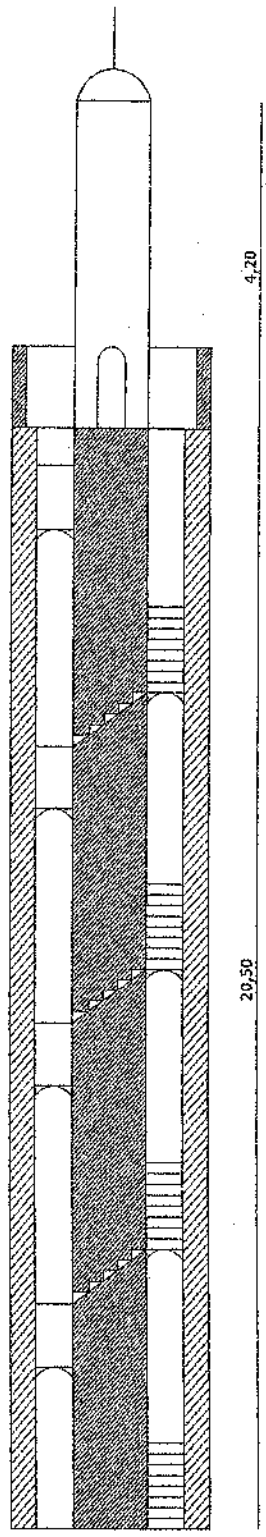

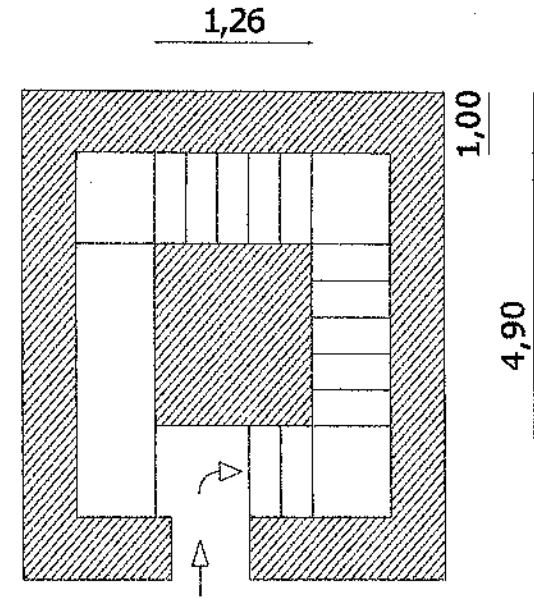

الشكل 3 مقطع طولي وعرضي لمئذنة الجامع الكبير

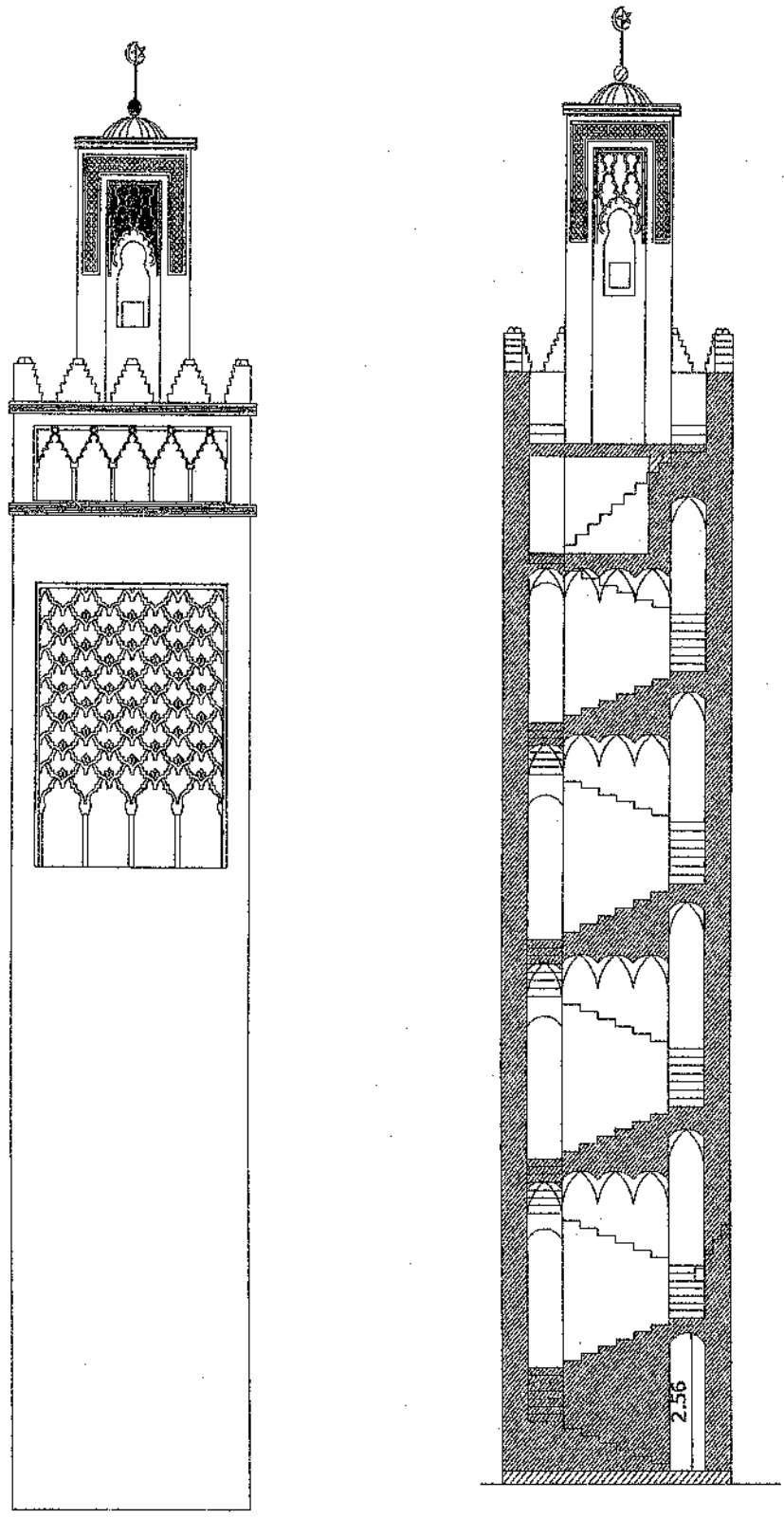

الشكل 4 مقطع طولي وزخرفة الواجهة الأمامية للمئذنة الجامع الكبير

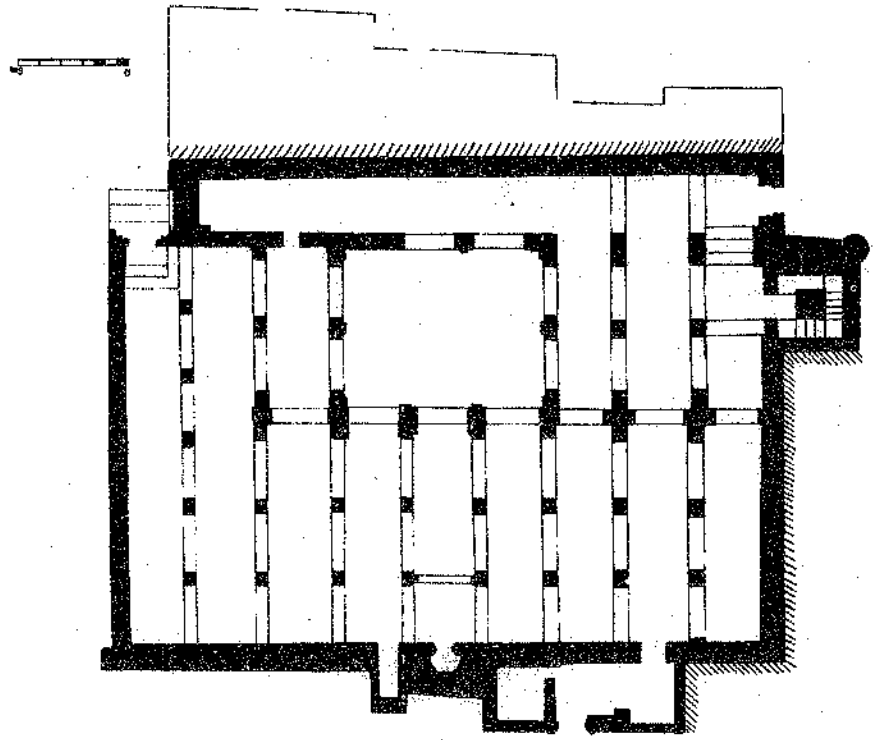

الشكل5 مخطط - جامع ندرومة –
(Rachid BOUROUIBA : L'Art religieux... .P/ XLII)

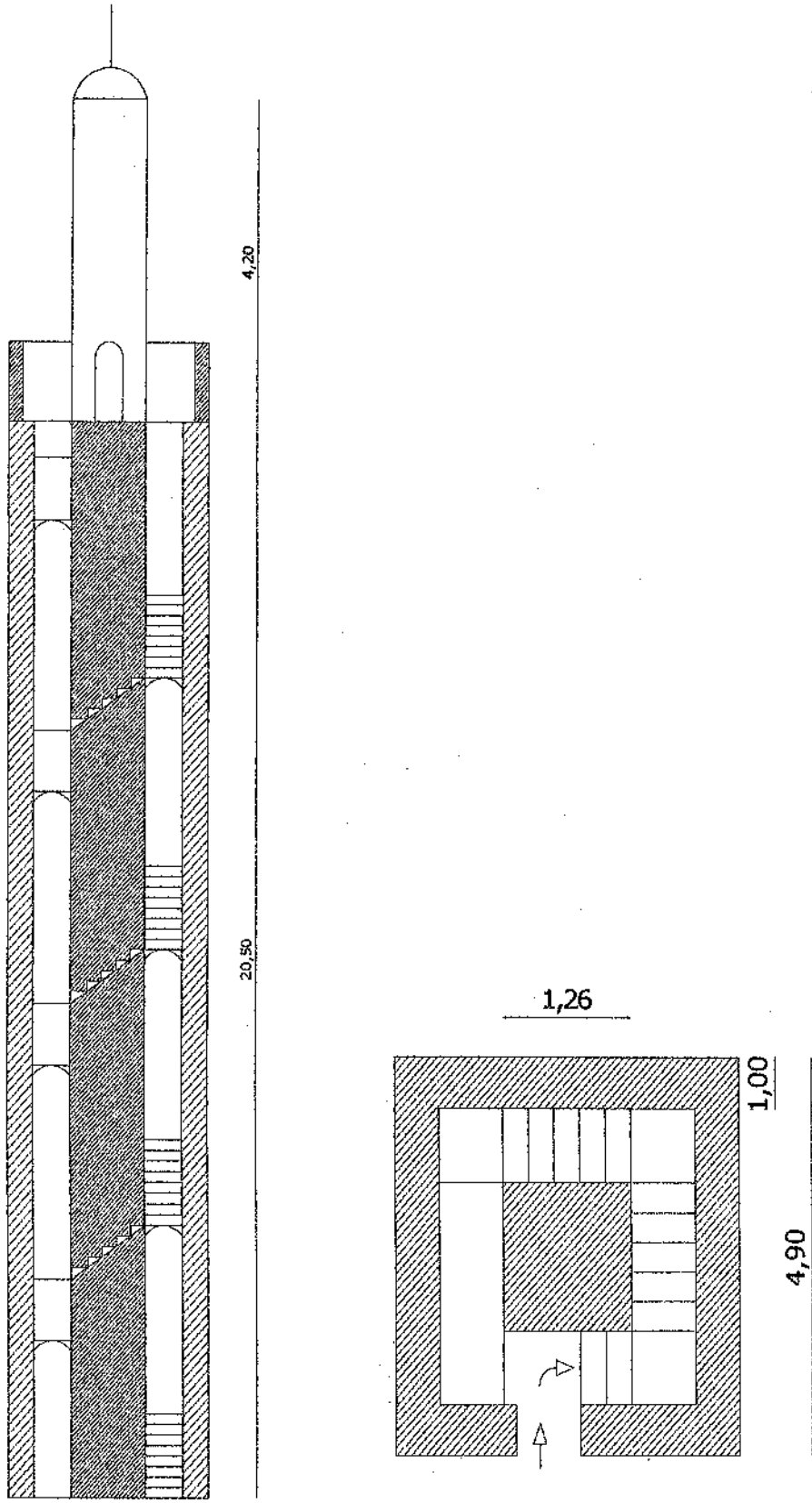

الشكل 6 مقطع طولي وعرضي لمئذنة جامع ندرومة

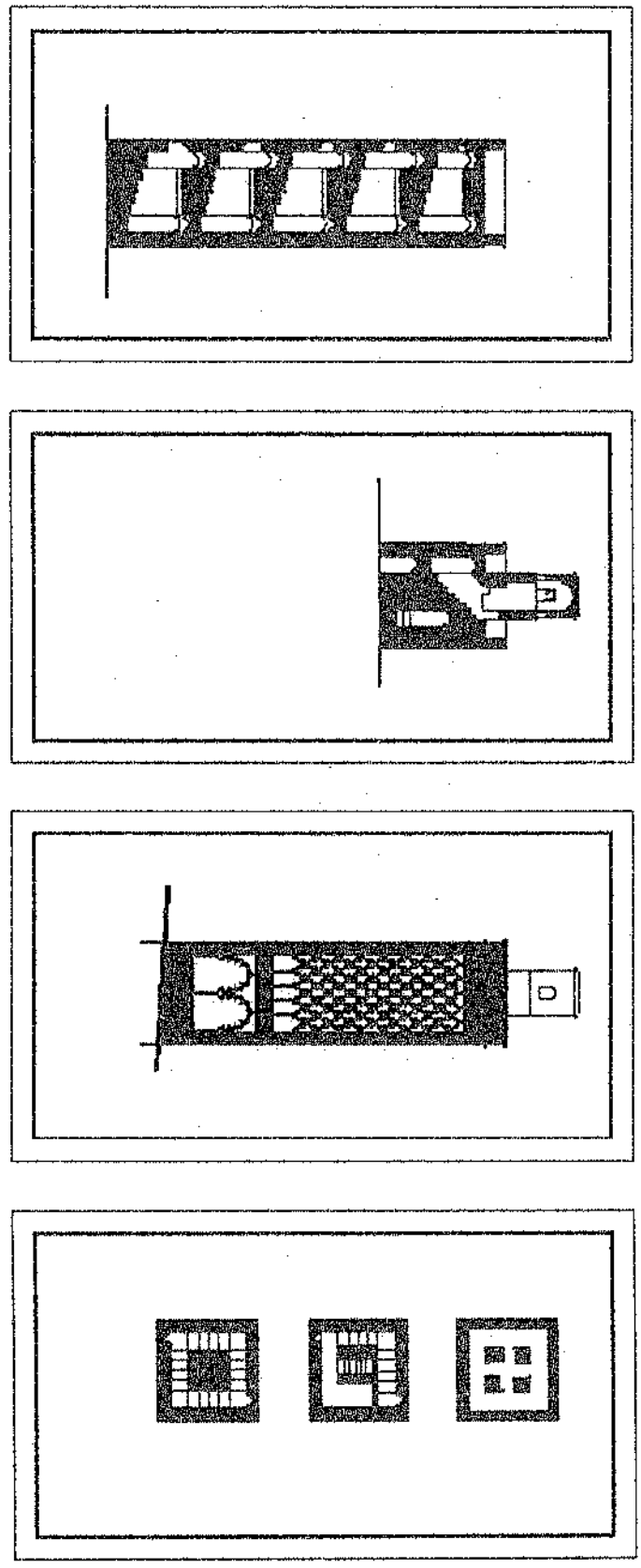

الشكل 7 مقطع طولي وعرضي لمئذنة جامع ندرومة
(المهندس المعماري ع. شيعلي)

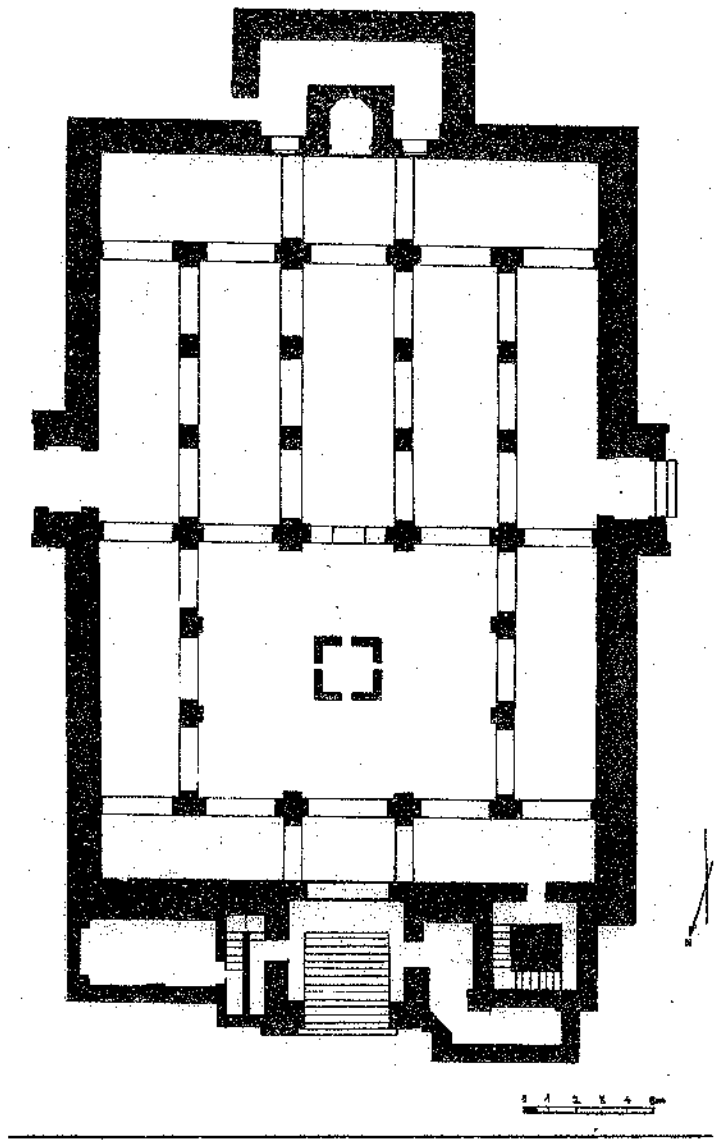

الشكل8 مخطط - سيدي أبي مدين –
(Rachid BOUROUIBA : L'Art religieux….P/ XCIII)

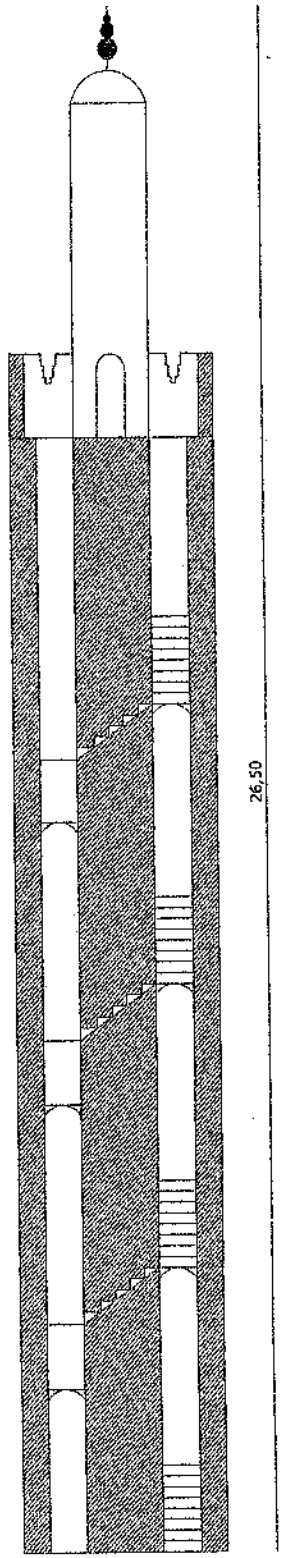

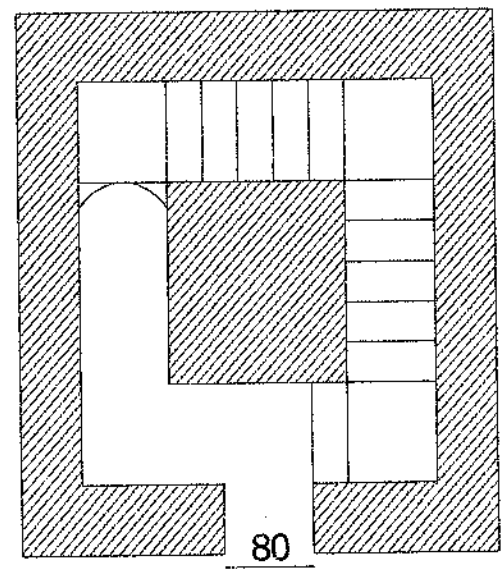

الشكل 9 مقطع طولي وعرضي لمئذنة جامع سيدي أبي مدين

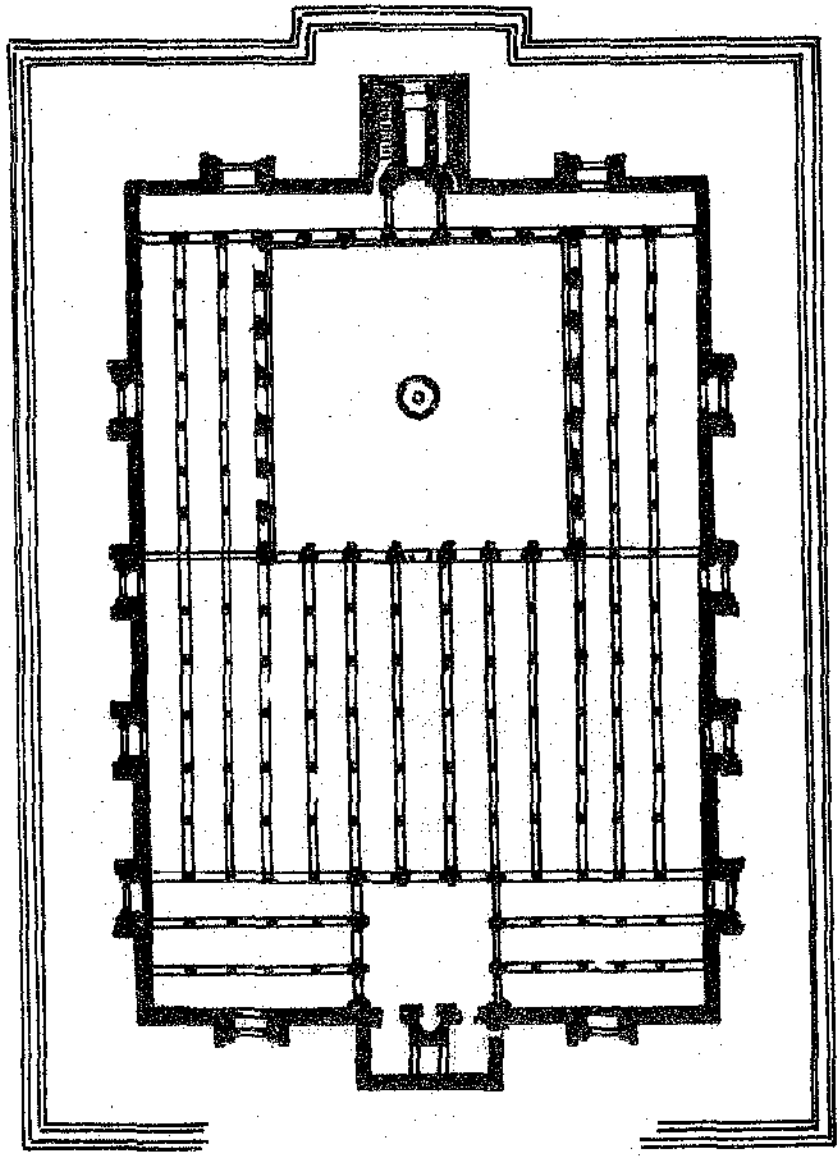

الشكل10 مخطط – جامع منصورة –
(Rachid BOUROUIBA : L'Art religieux....P/ XCV)

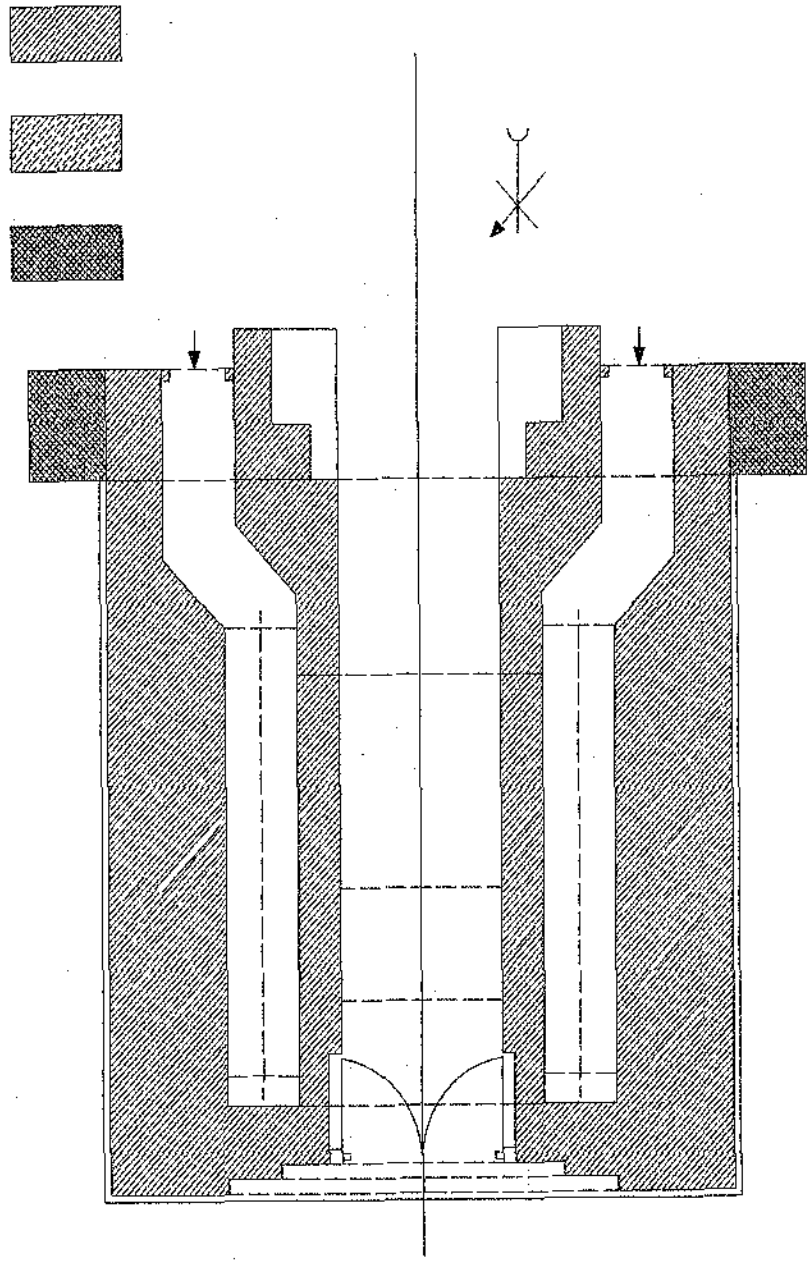

الشكل 11 مقطع عرضي لمئذنة جامع منصورة

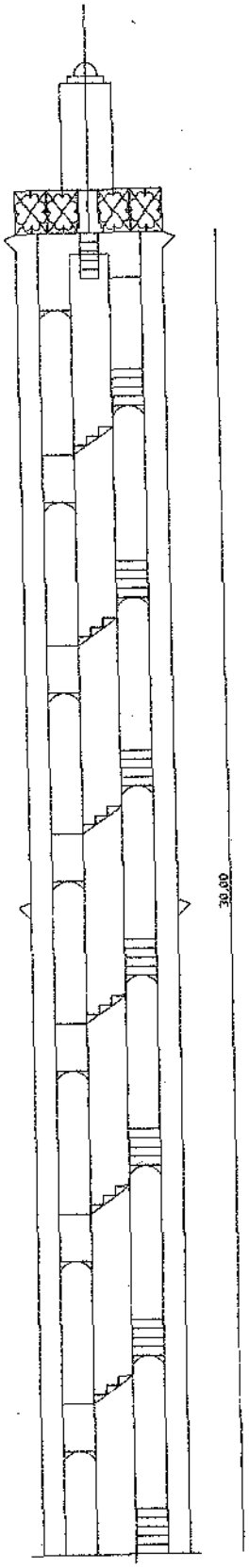

الشكل 13 مقطع طولي وعرضي للمئذنة

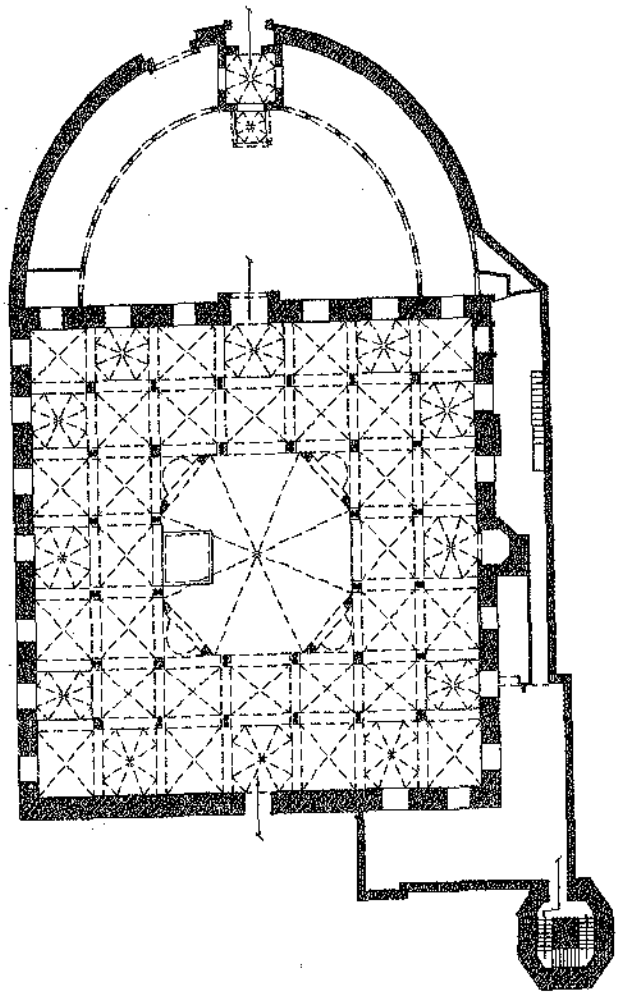

الشكل 12 مخطط مسجد

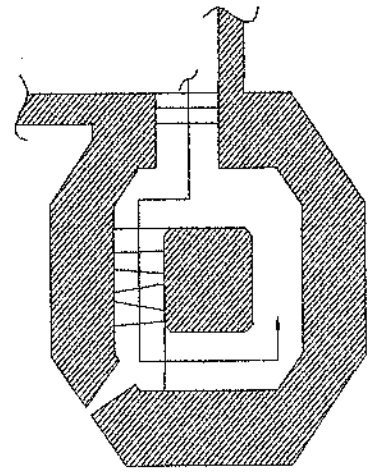

الشكل 14مقطع عرضي للمئذنة
و جوسق المئذنة

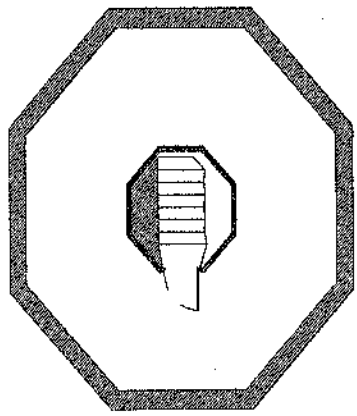

الشكل15 مقطع عرضي لشرفة

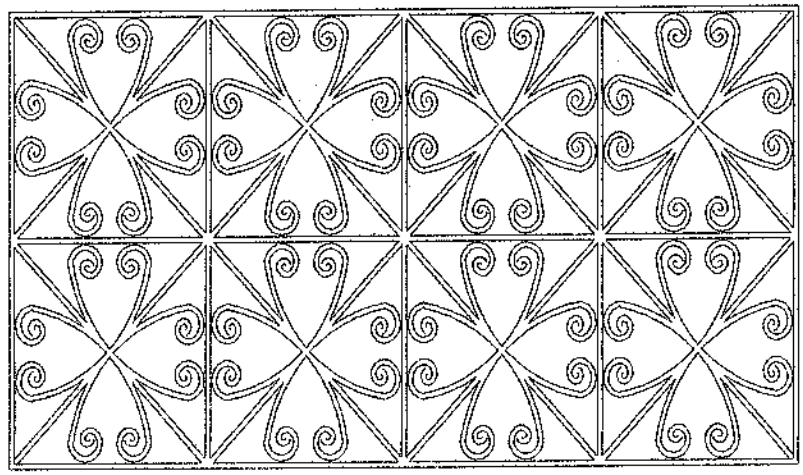

الشكل16 زخرفة شرفة المئذنة

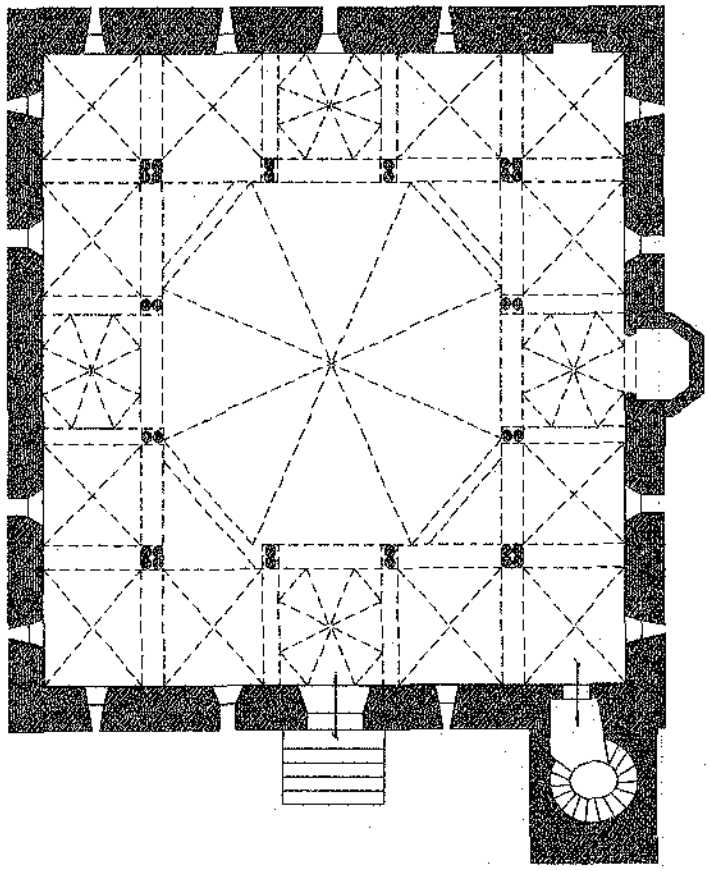

الشكل18 مخطط مسجد

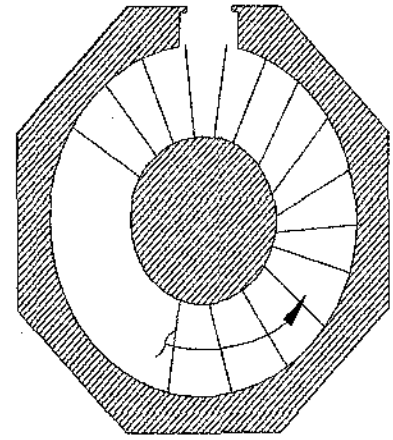

الشكل17 مقطع عرضي لجوسق المئذنة

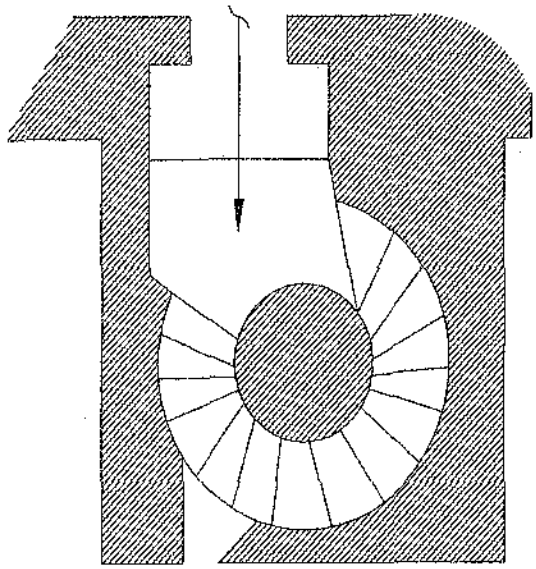

الشكل20 مقطع عرضي لقاعدة المئذنة

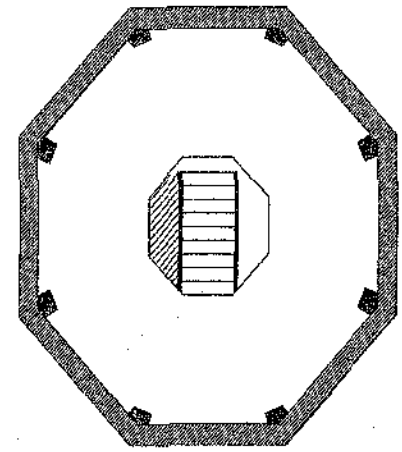

الشكل19 مقطع عرضي لشرفة المئذنة

جامع الدار البيضاء بمعسكر

اللوحات

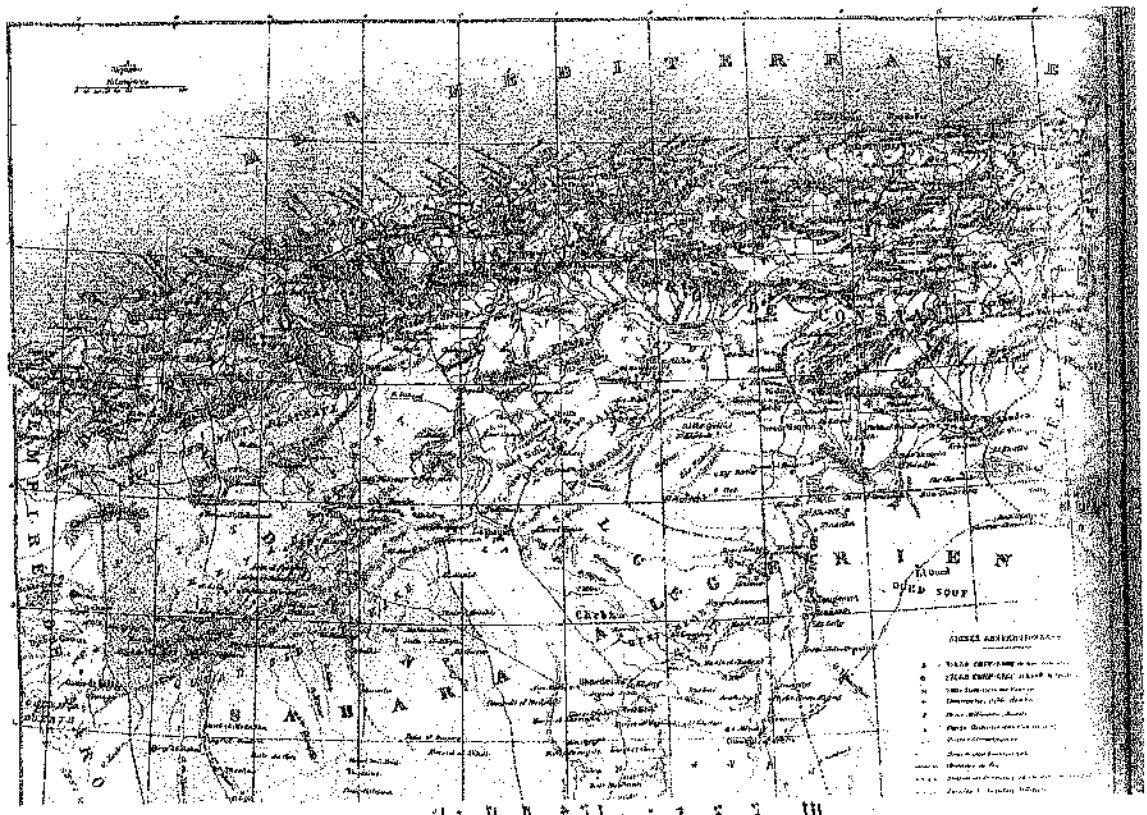

اللوحة رقم 1 خريطة شمال الجزائر

L'Algérie et son patrimoine *(Ahmed Komas/Chéhrazed Nafa)*

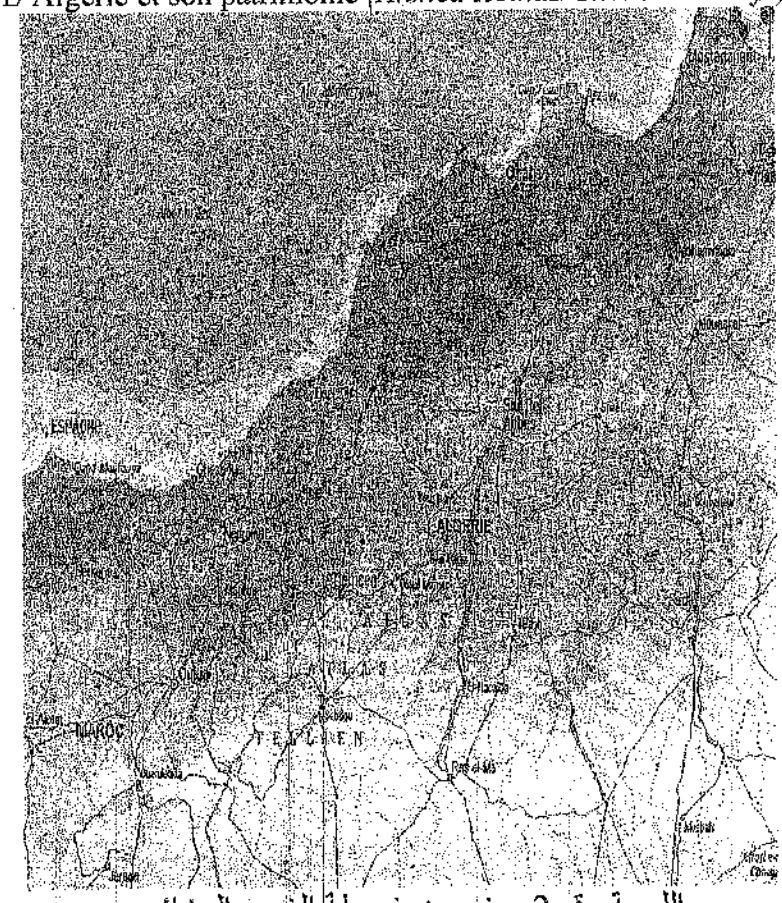

اللوحة رقم 2 جزء من خريطة الغرب الجزائري

ENCARTA 99 ATLAS

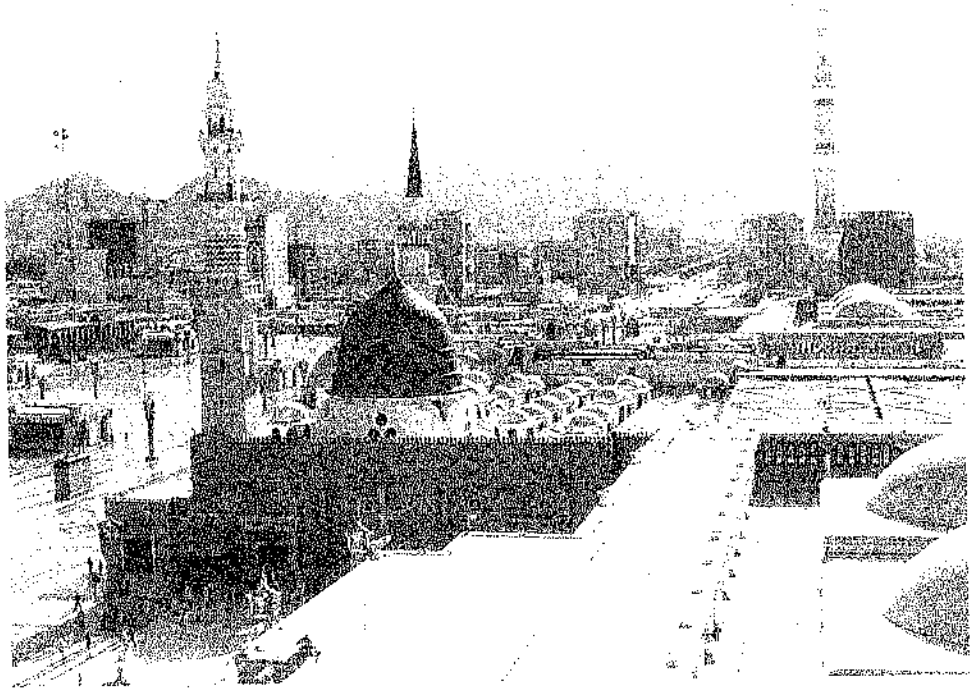

اللوحة رقم3 : مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم - المدينة المنورة-
www visotera.com

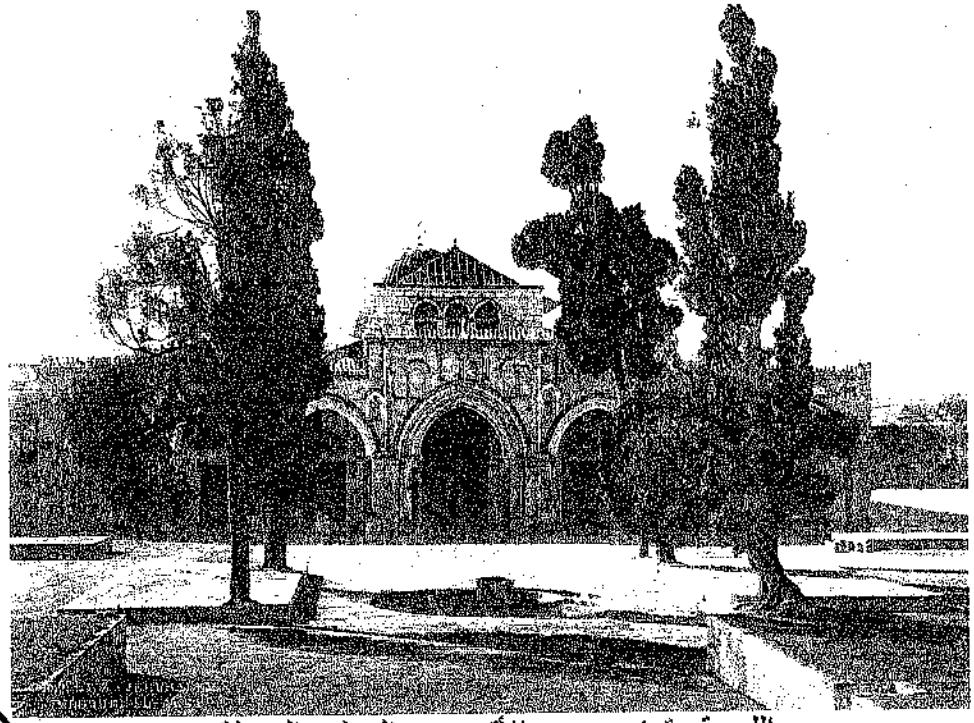

اللوحة رقم4 : مسجد الأقصى – فلسطين المحتلة-
www visotera.com

مكتبة الكلية
العلوم الاجتماعية والإنسانية
جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان

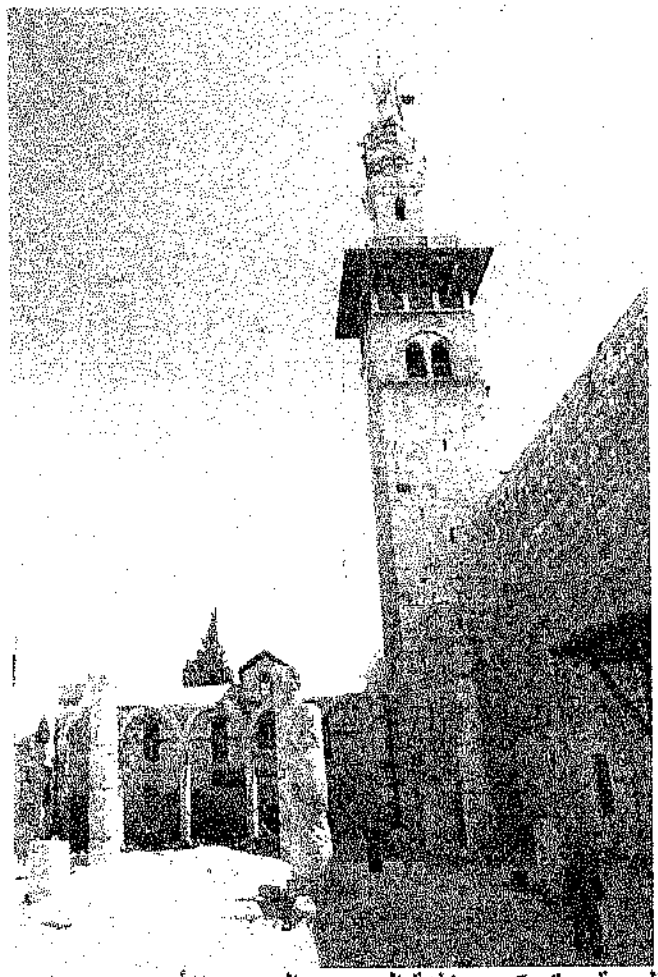

اللوحة رقم 5 : مئذنة العروس المسجد الأموي – دمشق-

www visotera.com

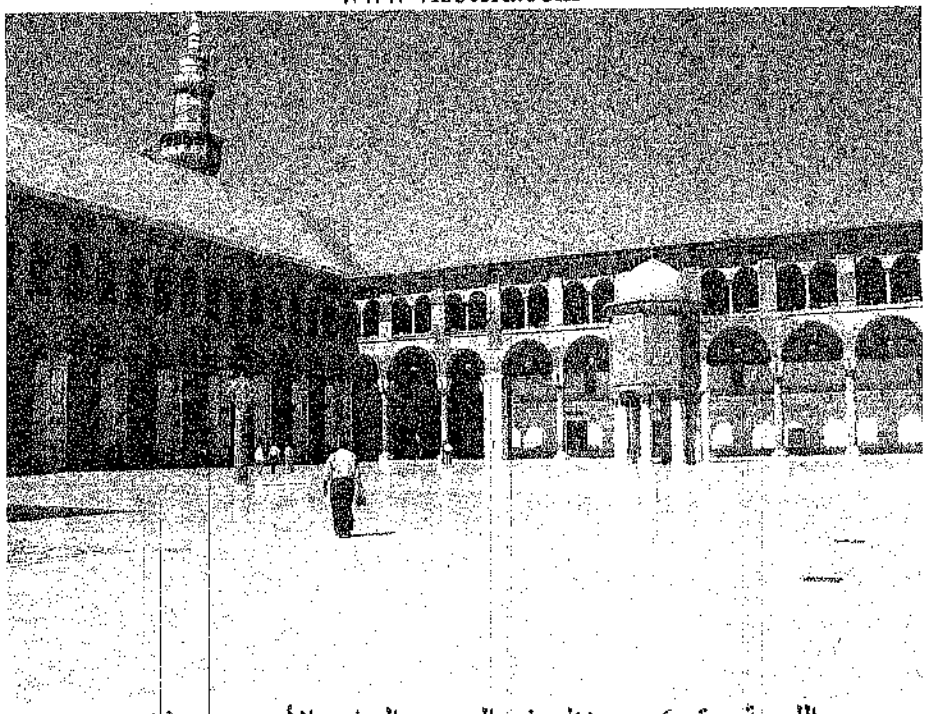

اللوحة رقم 6 : منظر في الصحن الجامع الأموي– دمشق-

www visotera.com

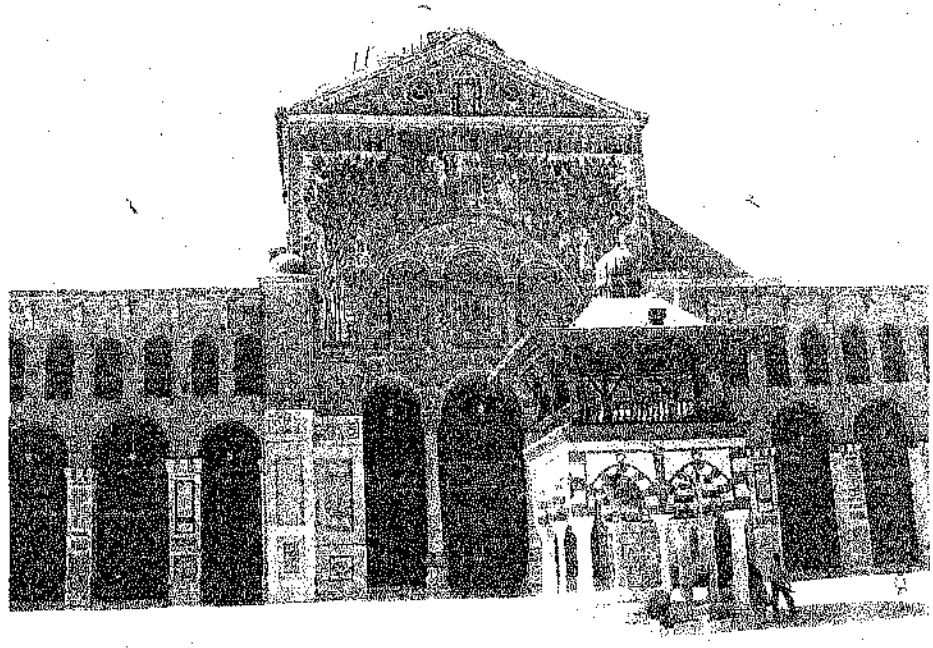

اللوحة رقم 7 : منظر في المدخل الرئيسي لبيت الصلاة / الجامع الأموي– دمشق
www visotera.com

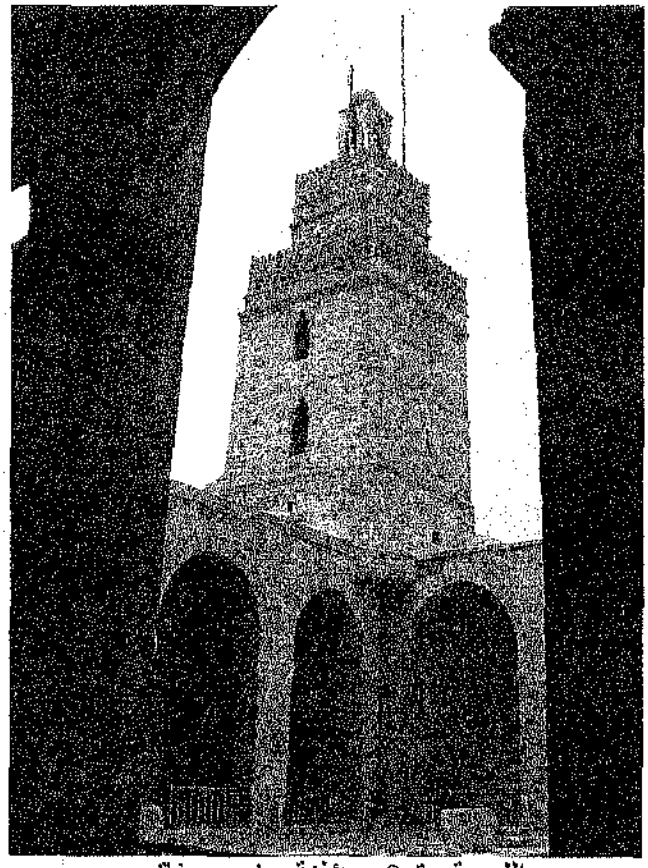

اللوحة رقم9 : مئذنة جامع صفاقس
SFAX
flickr.com/photos/15597777@N04/2188070826)(

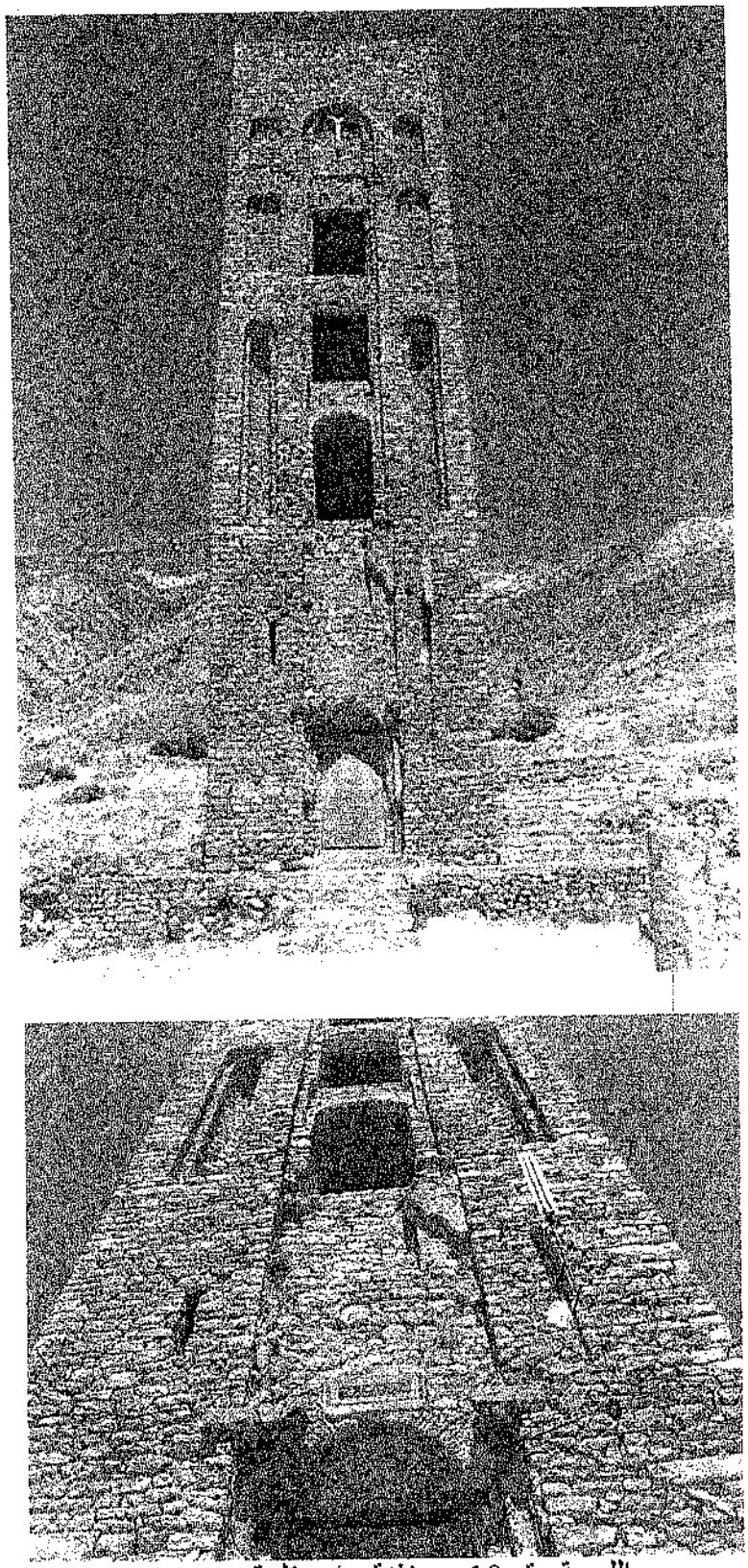

اللوحة رقم 10 : مئذنة جامع قلعة بني حماد

visoterra.com flickr.com/photos/15597777@N04/2188070826)(

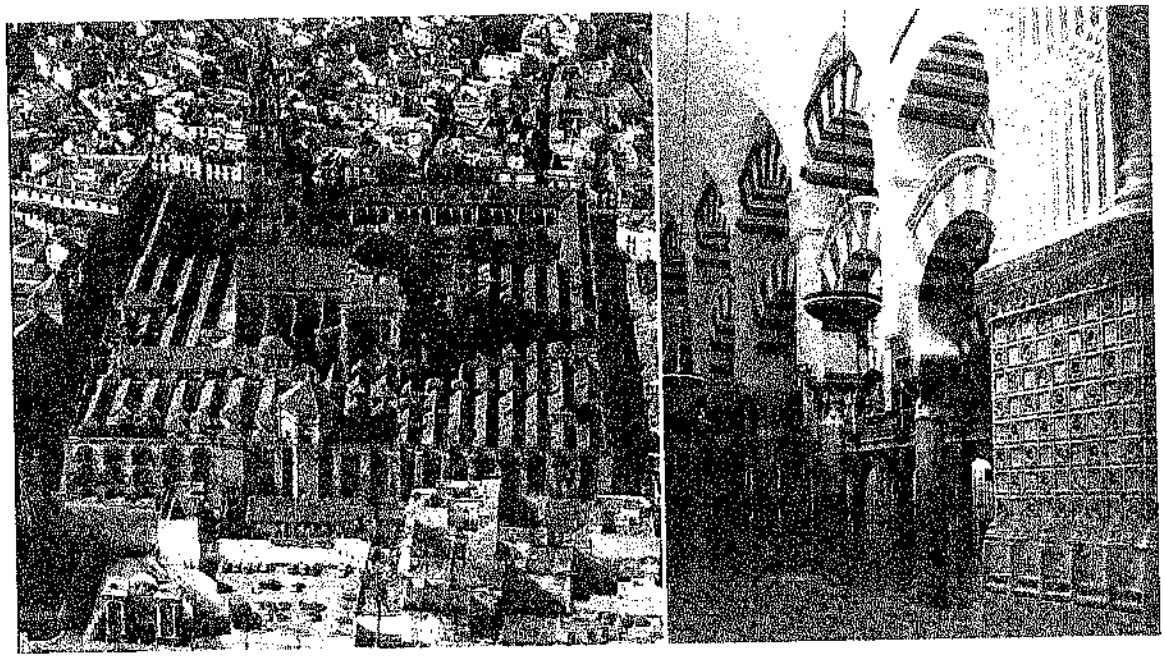

اللوحة رقم 11 : جامع قرطبة بالأندلس
www.ciao.fr/

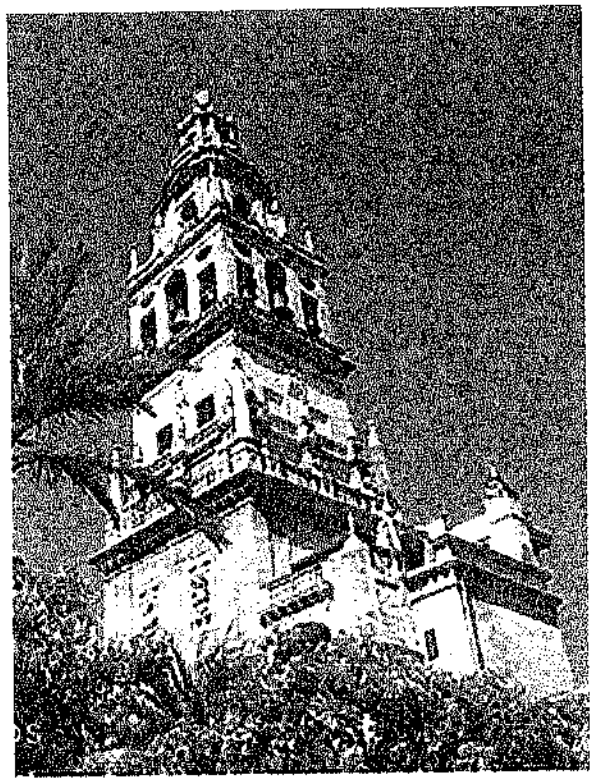

اللوحة رقم 12 : مئذنة جامع قرطبة بالأندلس www.ciao.fr/

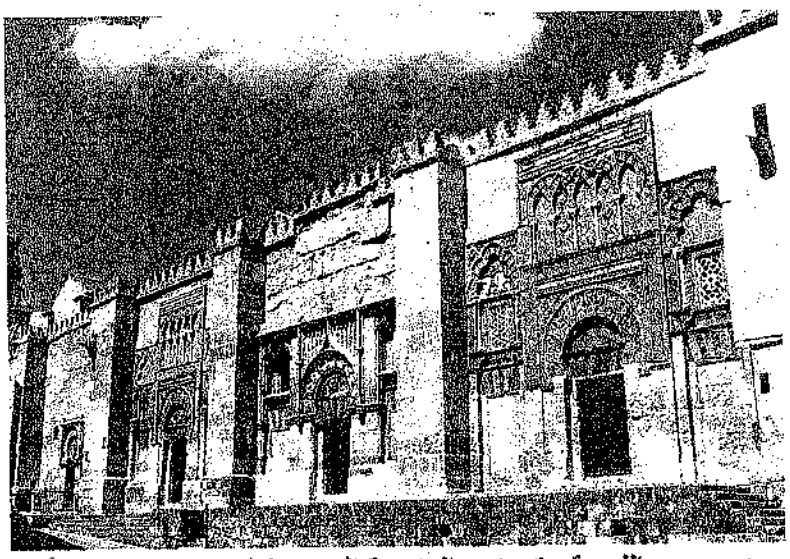

اللوحة رقم 13 الواجهة الرئيسية لتجامع قرطبة بالأندلس www.ciao.fr/

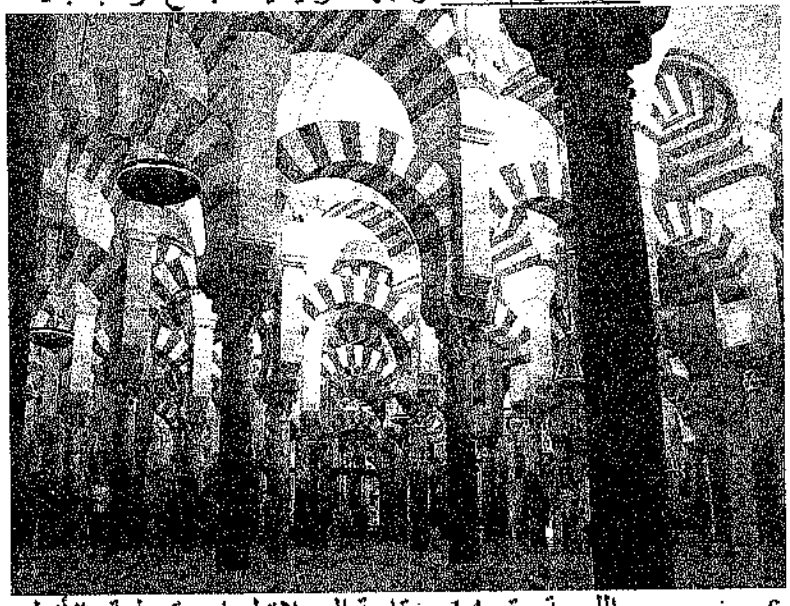

اللوحة رقم 14 : قاعة الصلاة لجامع قرطبة بالأندلس www.ciao.fr/

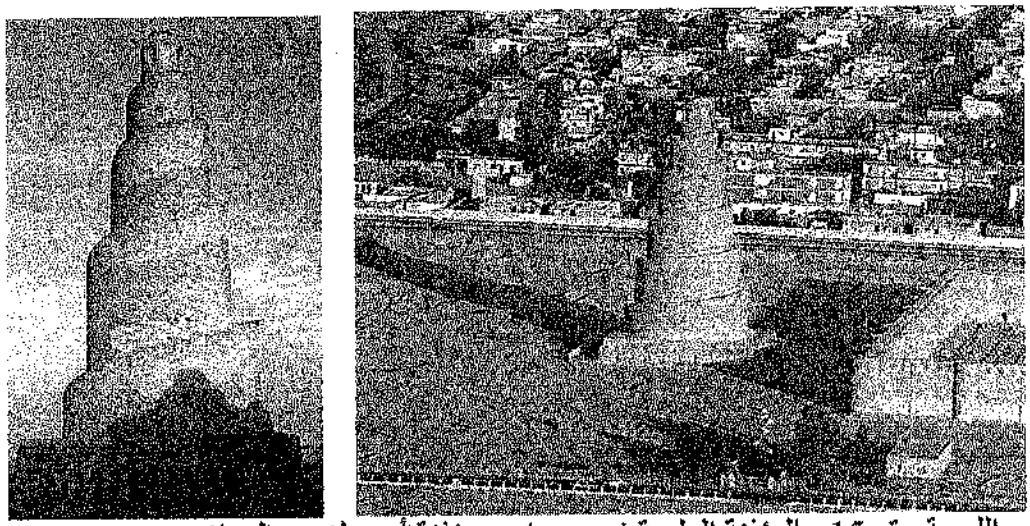

اللوحة رقم 15 : المئذنة الملوية في سمراء و مئذنة أبي دلف – العراق-www.ciao.fr/

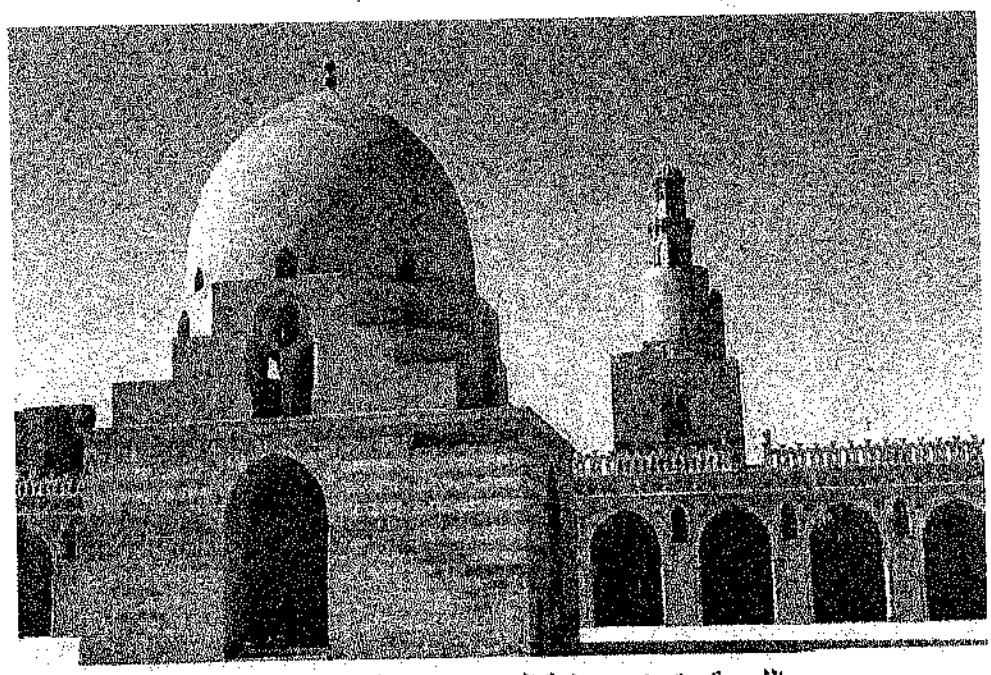

اللوحة رقم 16 مئذنة الجامع إبن طلون – القاهرة
www visotera.com

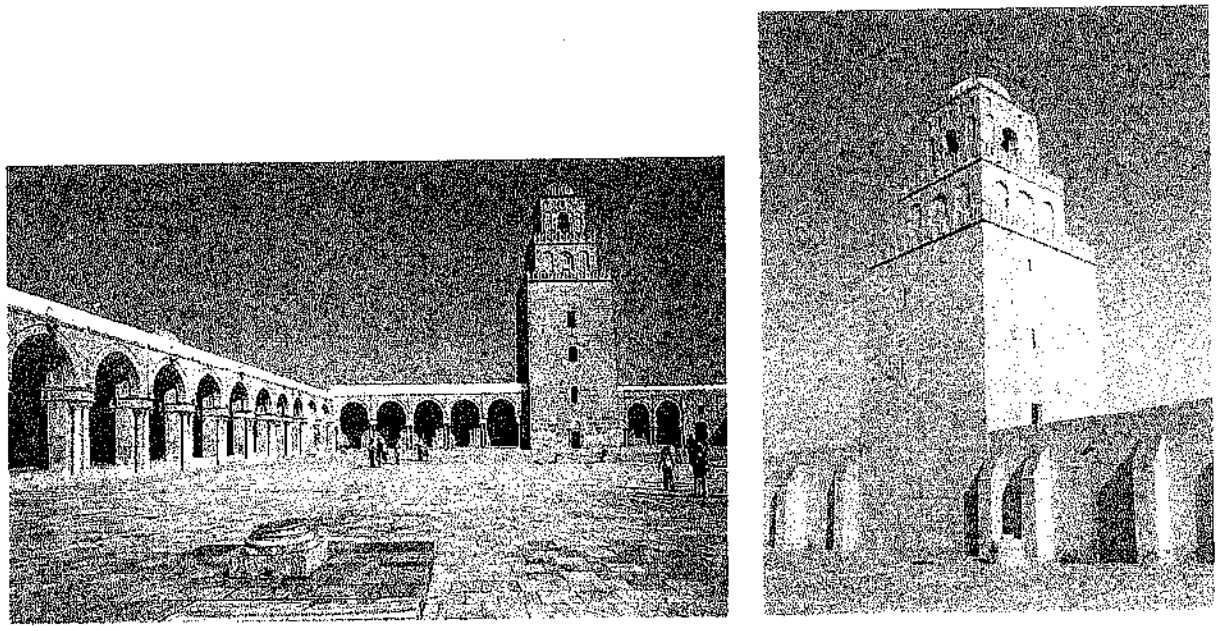

اللوحة رقم17 مئذنة القيروان – تونس
www visotera.com

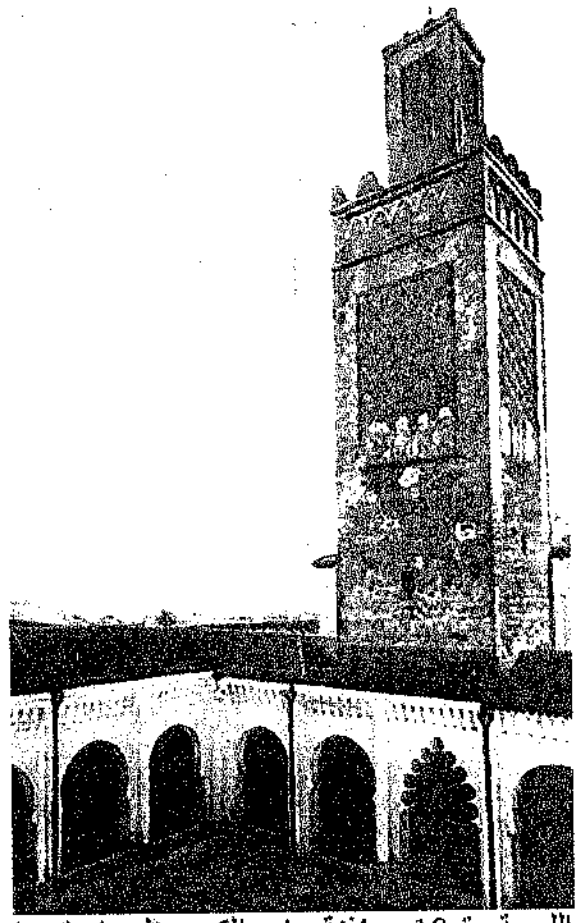

اللوحة رقم18 : مئذنة جامع الكبير بتلمسان قديما

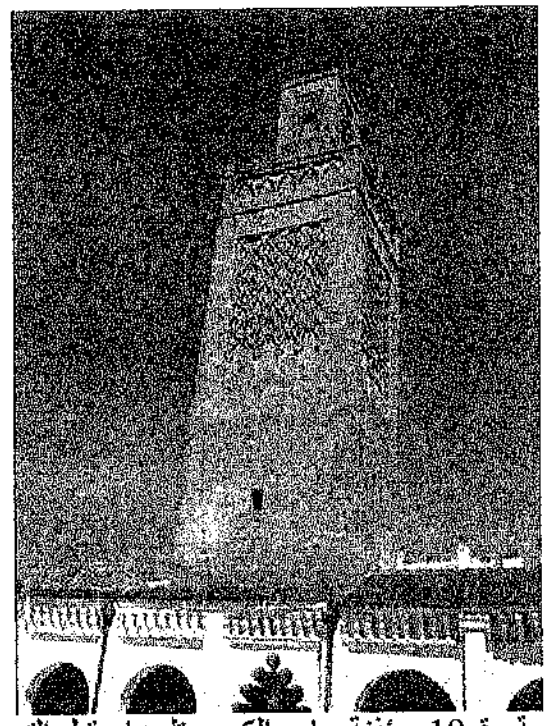

اللوحة رقم19: مئذنة جامع الكبير بتلمسان قبل الترميم

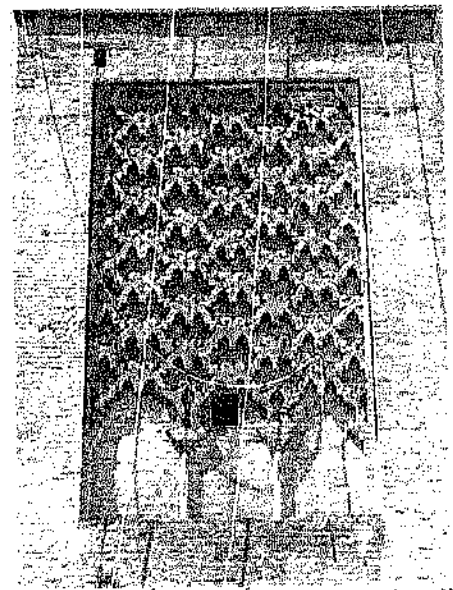

اللوحة رقم 20 :الأيطار الأول للمعينات

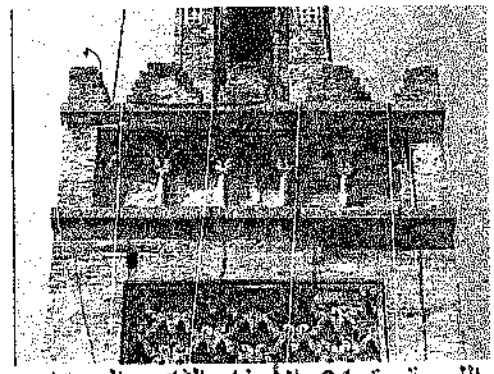

اللوحة رقم21: الأيطار الثاني المعينات

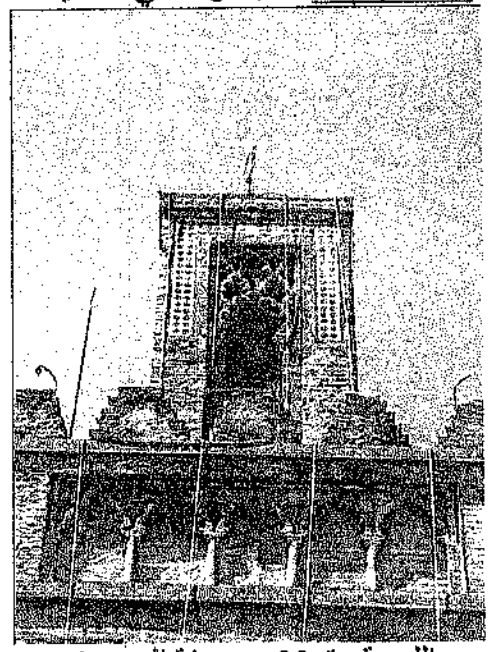

اللوحة رقم22: زخرفة الجوسق

صور لترميم المئذنة للمهندس المعماري ع. شيعلي

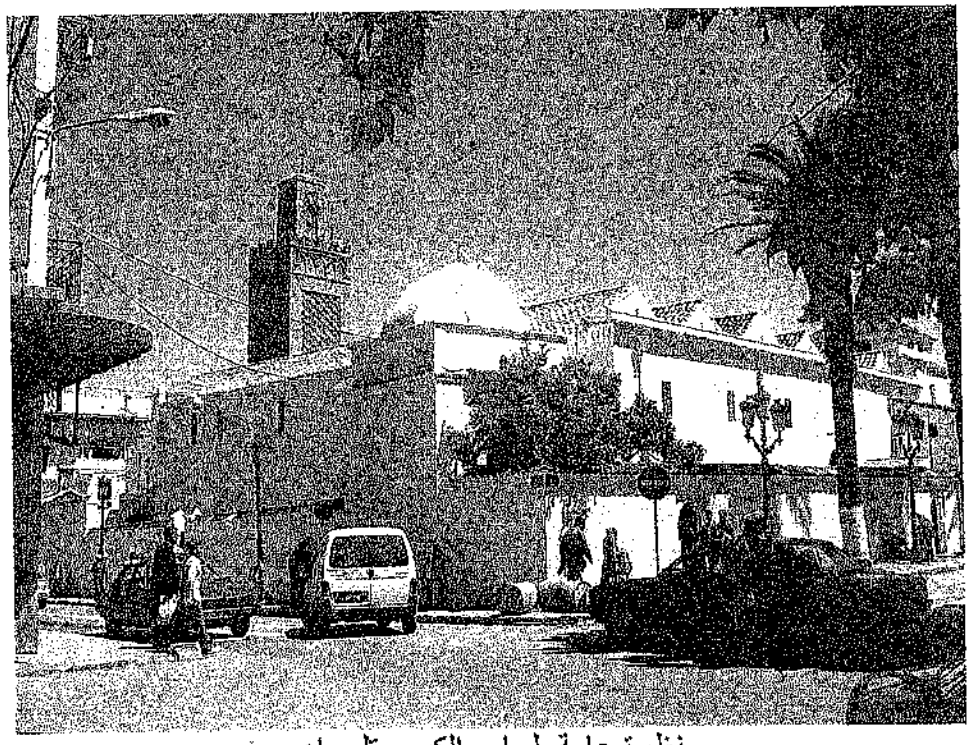

نظرة عامة لجامع الكبير بتلمسان

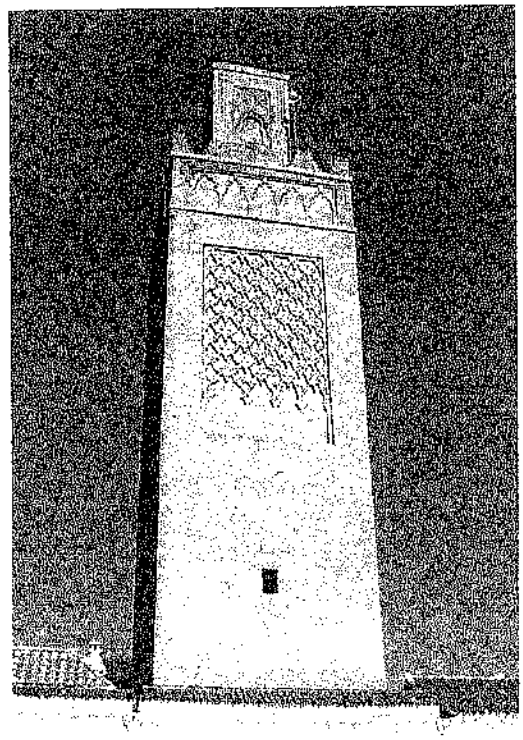

اللوحة رقم23: نظرة عامة لمئذنة جامع الكبير بتلمسان

اللوحة رقم 24: بيت الصلاة

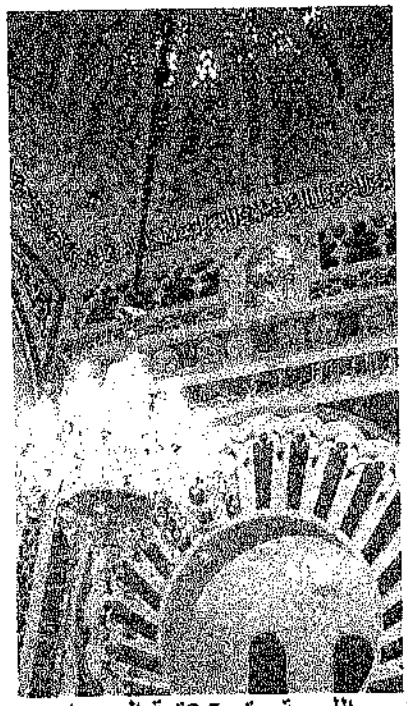

اللوحة رقم 25قبة المحراب

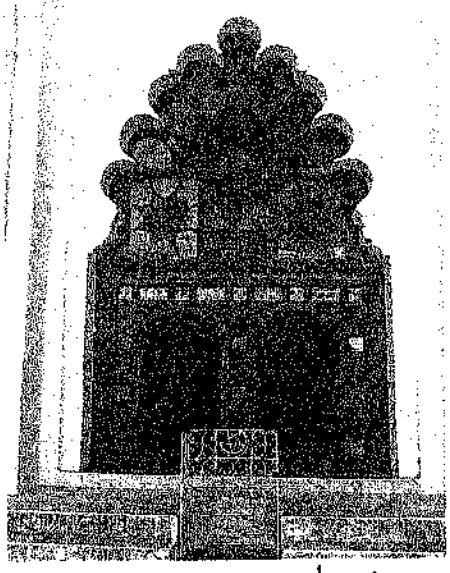

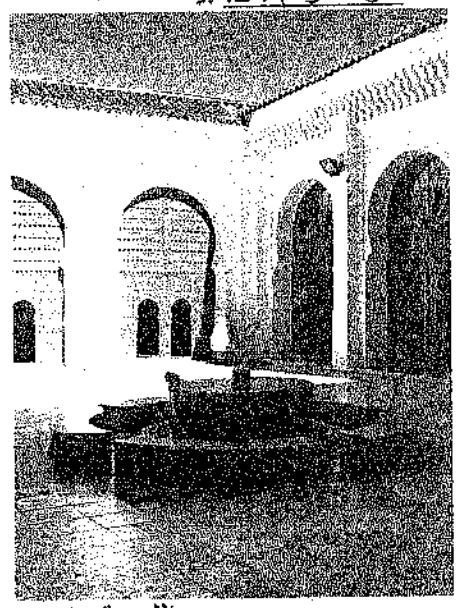

اللوحة رقم26: نظرة عامة في صحن جامع

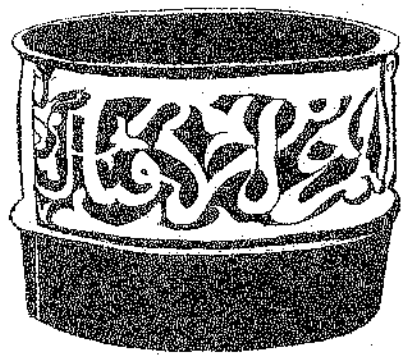

اللوحة رقم 27: الإكليل الذي يعلو جوسق الجامع الكبير عن رشيد بورويبة

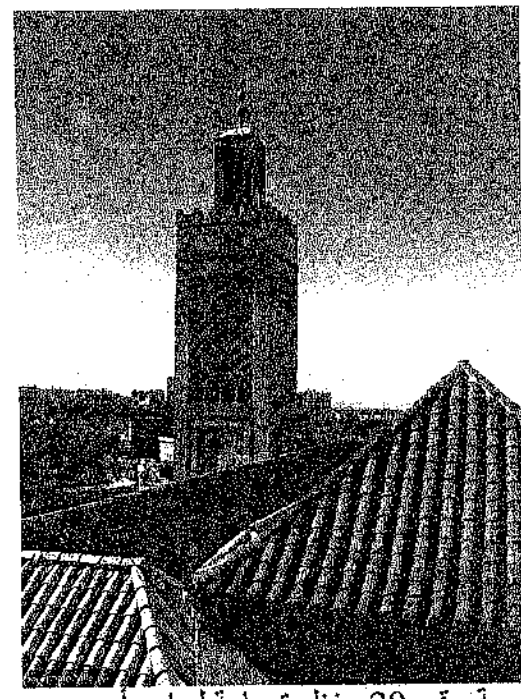

اللوحة رقم 29 : نظرة عامة لجامع أبي مدين

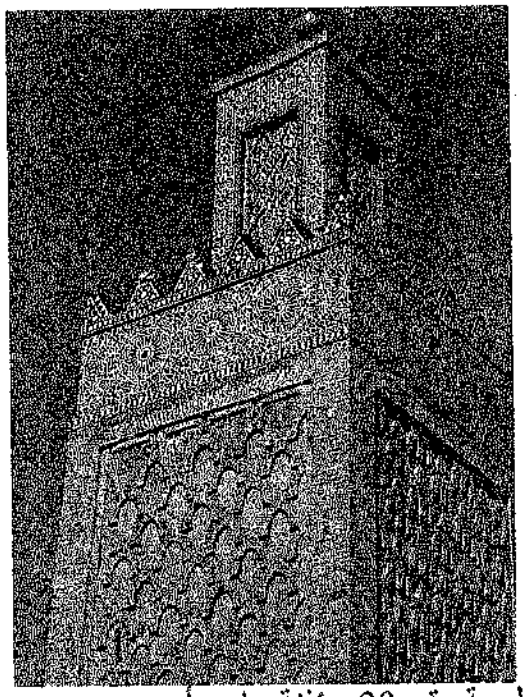

اللوحة رقم 30: مئذنة جامع أبي مدين

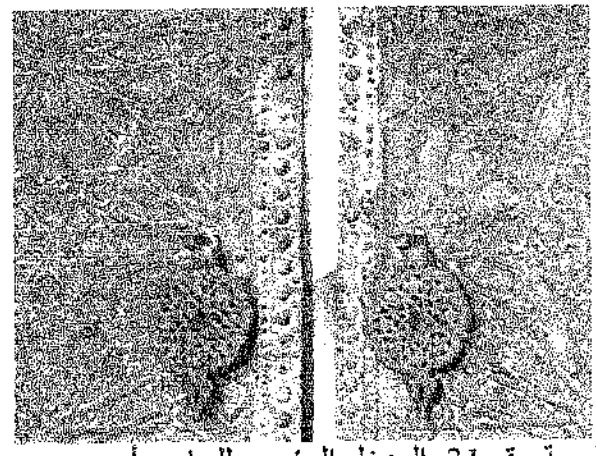

الوحة رقم 31 :المدخل الرئيسي للجامع أبي مدين

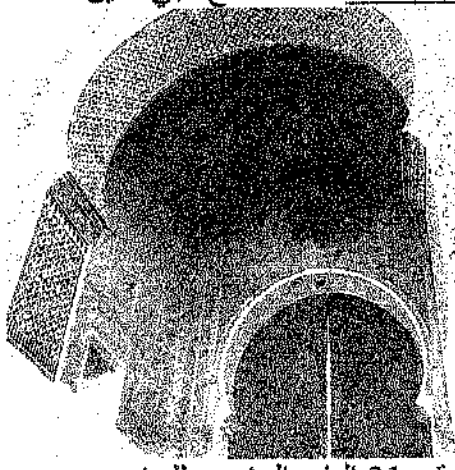

الوحة رقم 31 الباب الرئيسي للجامع

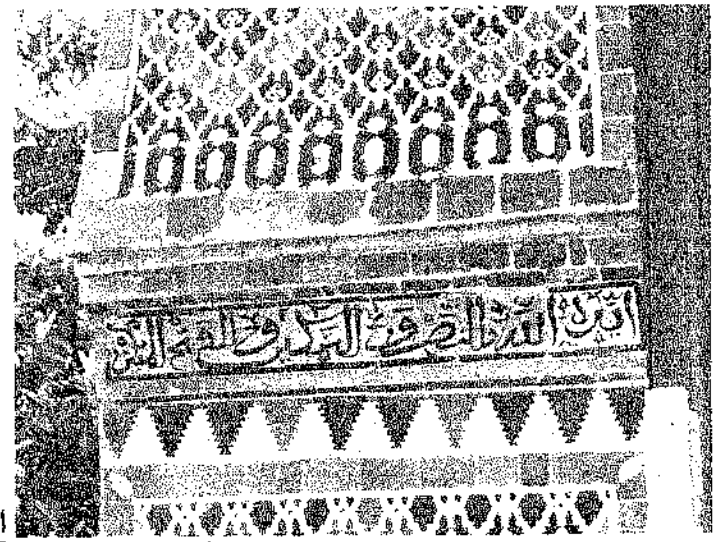

الوحة رقم 32 زخرفة المدخل

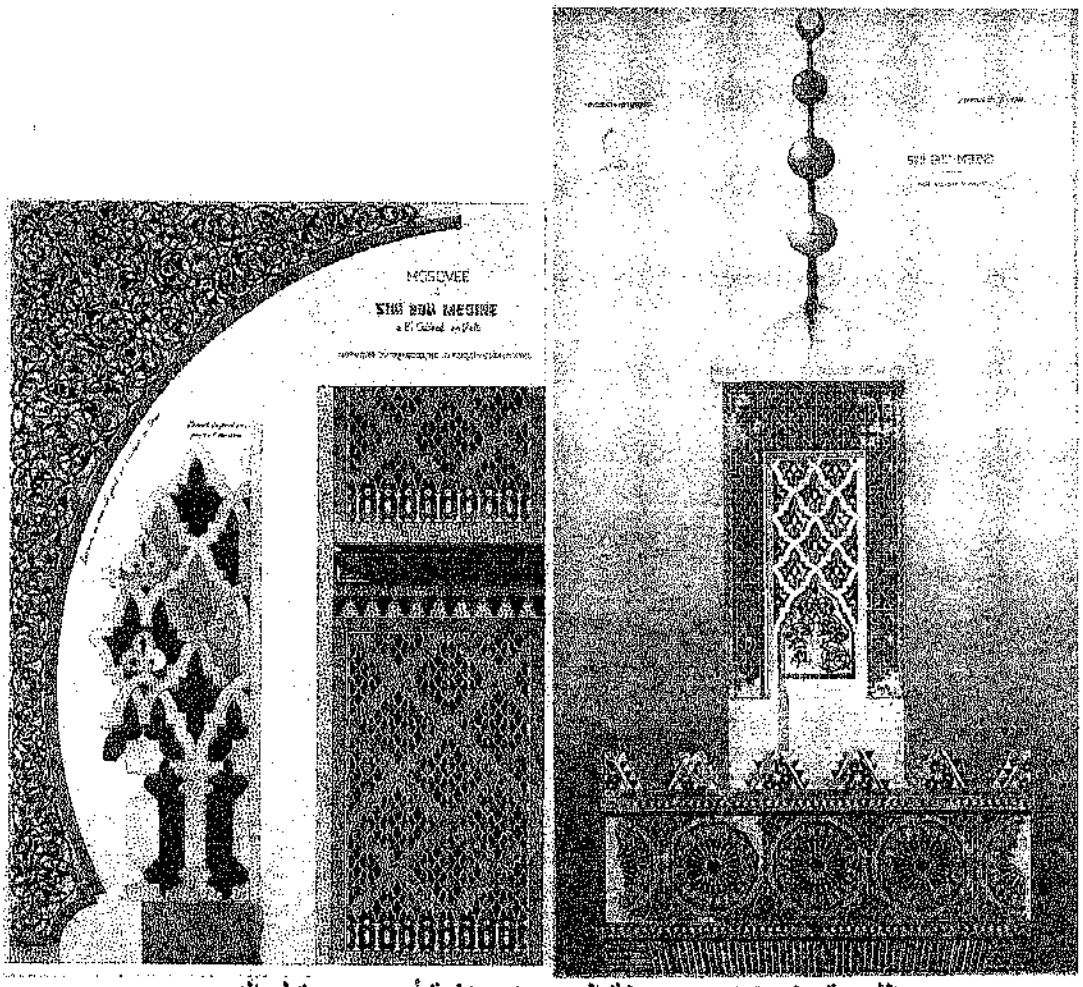

اللوحة رقم 28 : زخرفة الجوسق متذنة أبي مدين قبل الترميم
نجميات والتفافيح الثلاث في أعلى الجوسق

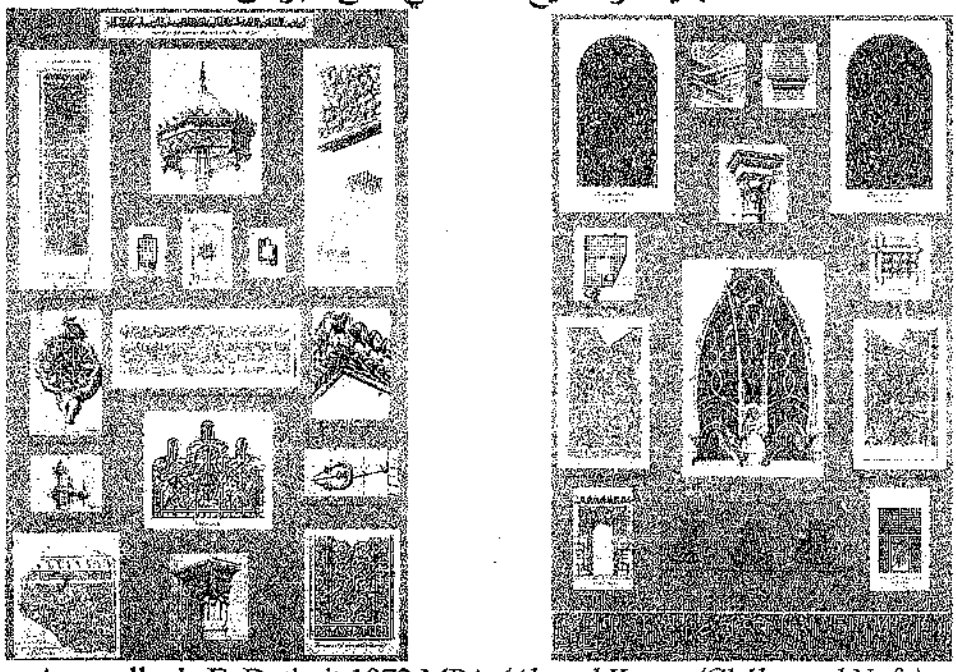

Aquarelle de E. Duthoit,1872.MPA *(Ahmed Komas/Chéhrazed Nafa)*
L'Algérie et son patrimoine

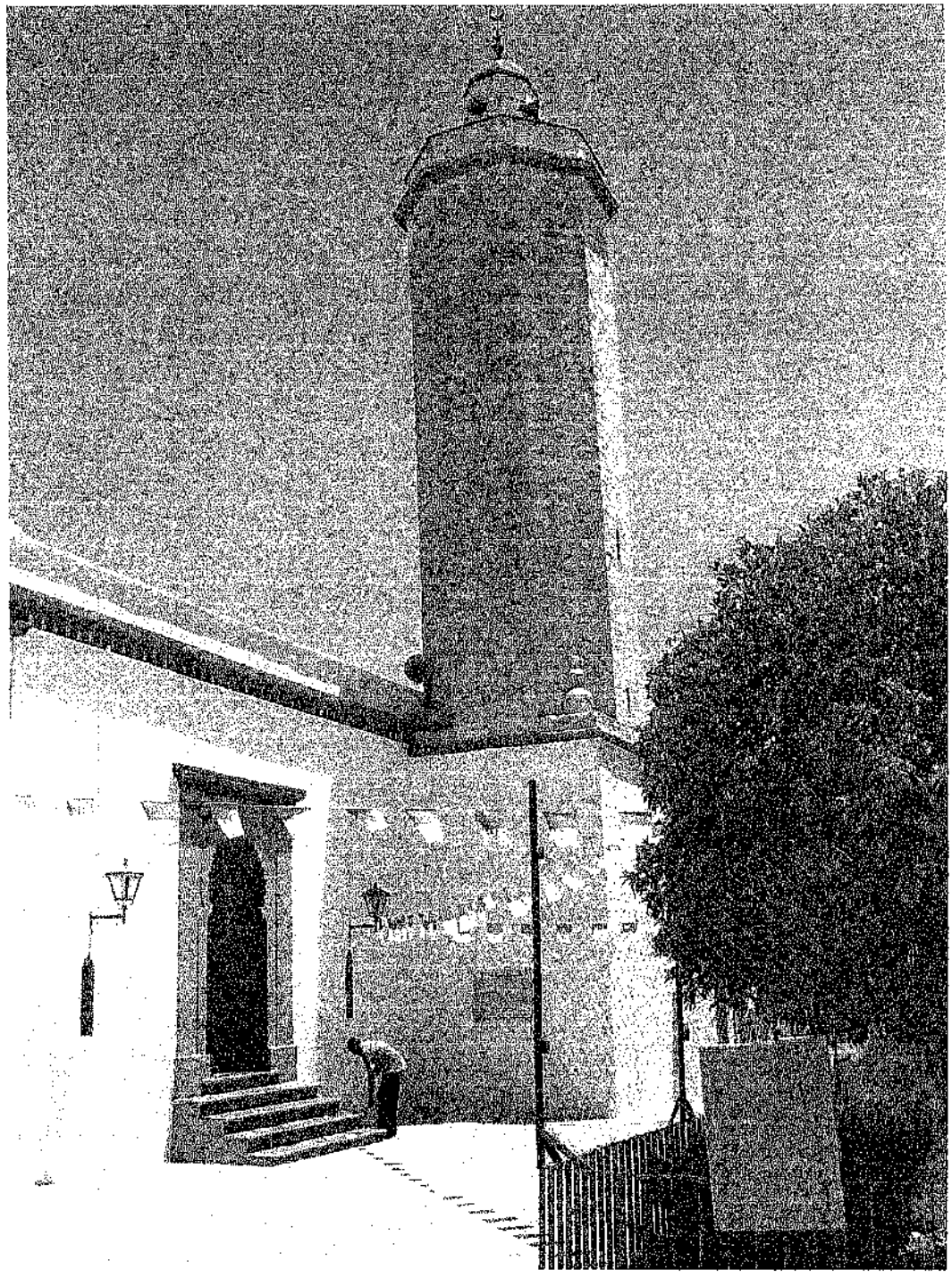

اللوحة رقم 33: نظرة عامة لجامع و مئذنة - الدار البيضاء بمعسكر-

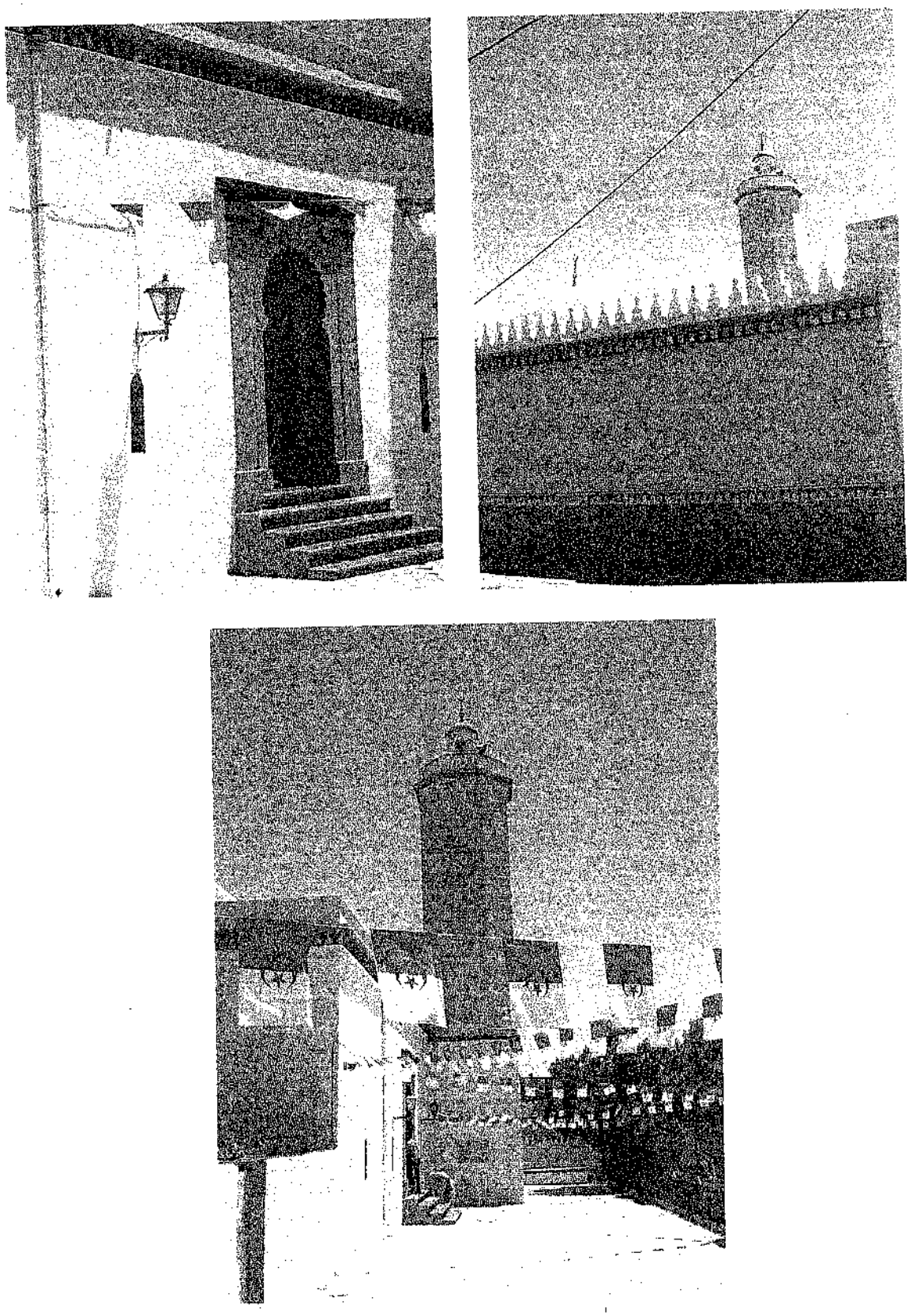

اللوحة رقم 34: نظرة عامة لجامع الدار البيضاء بمعسكر

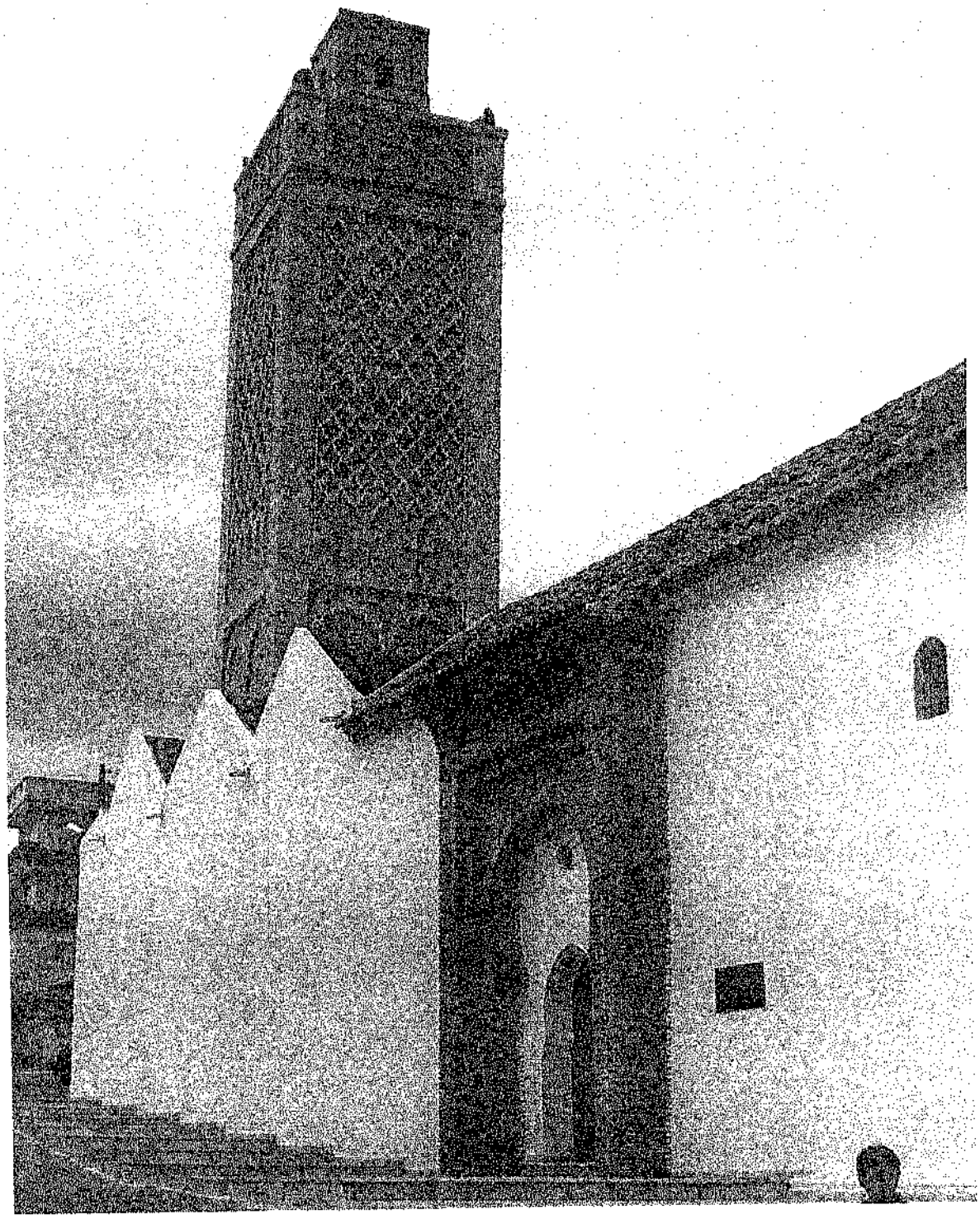

اللوحة رقم 35: نظرة عامة لجامع ندرومة بتلمسان

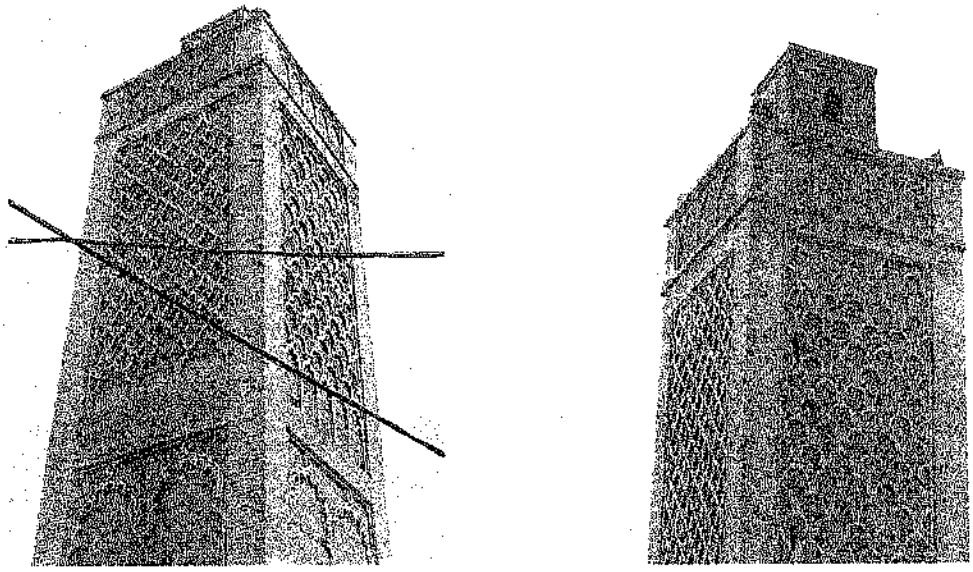

اللوحة رقم 36 أوجه المئذنة

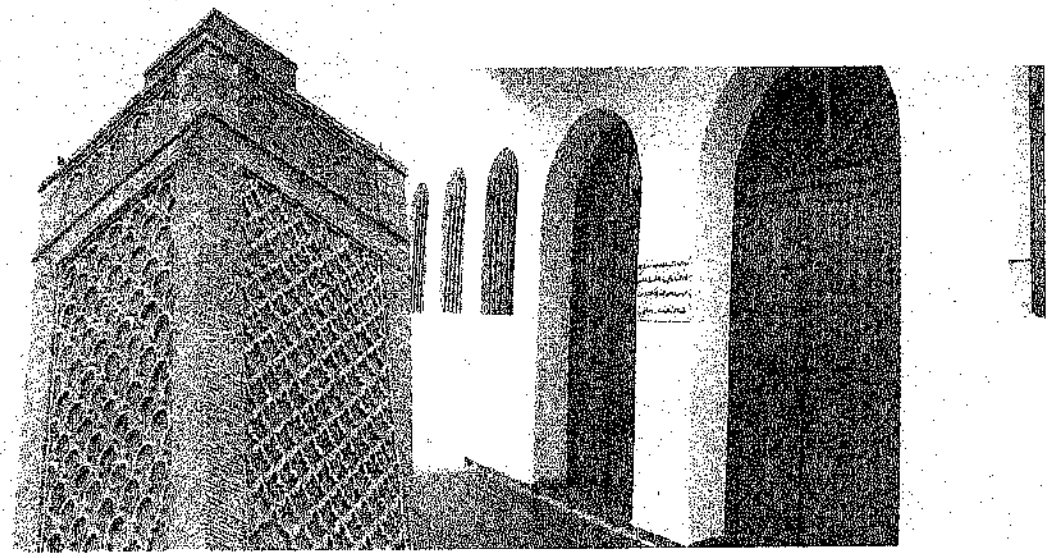

اللوحة رقم 37 مدخل قاعة الصلاة

اللوحة رقم 38 أوجه المئذنة

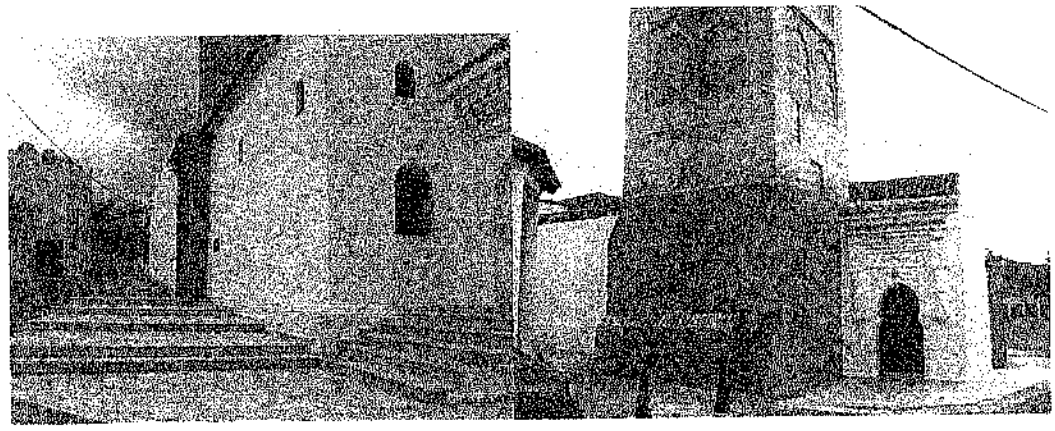

اللوحة رقم 40 مدخل المسجد

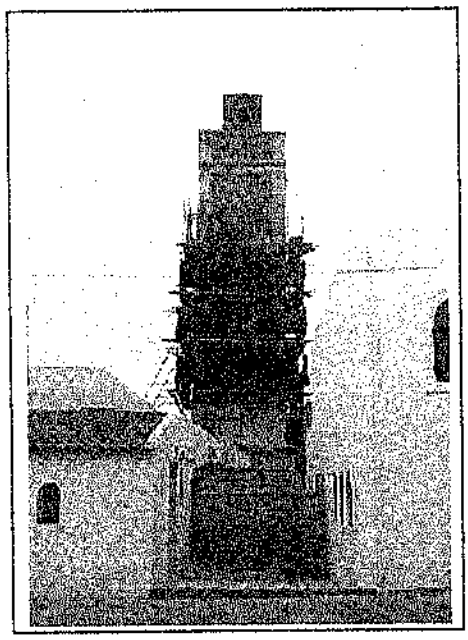

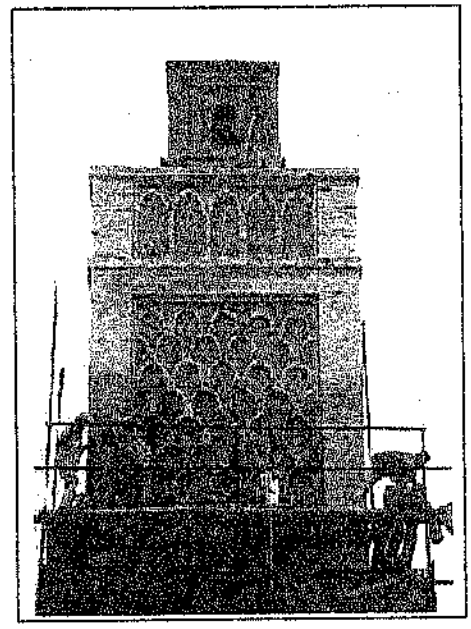

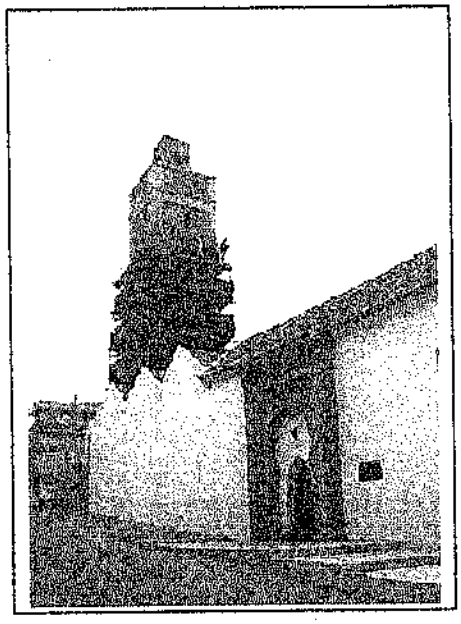

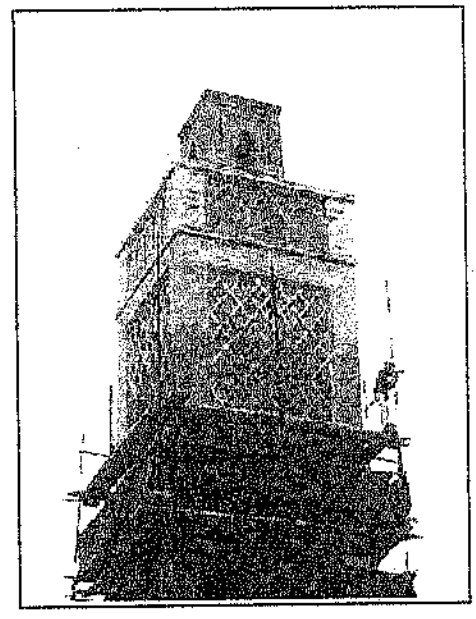

صور لترميم المئذنة للمهندس المعماري ع. شيعلي <u>اللوحة رقم 41:</u>

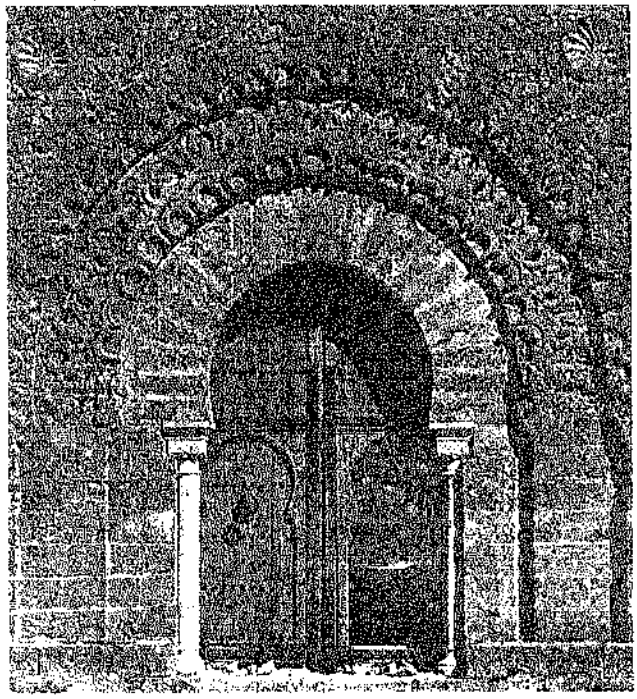

رقم42: مدخل جامع المنصورة قديما

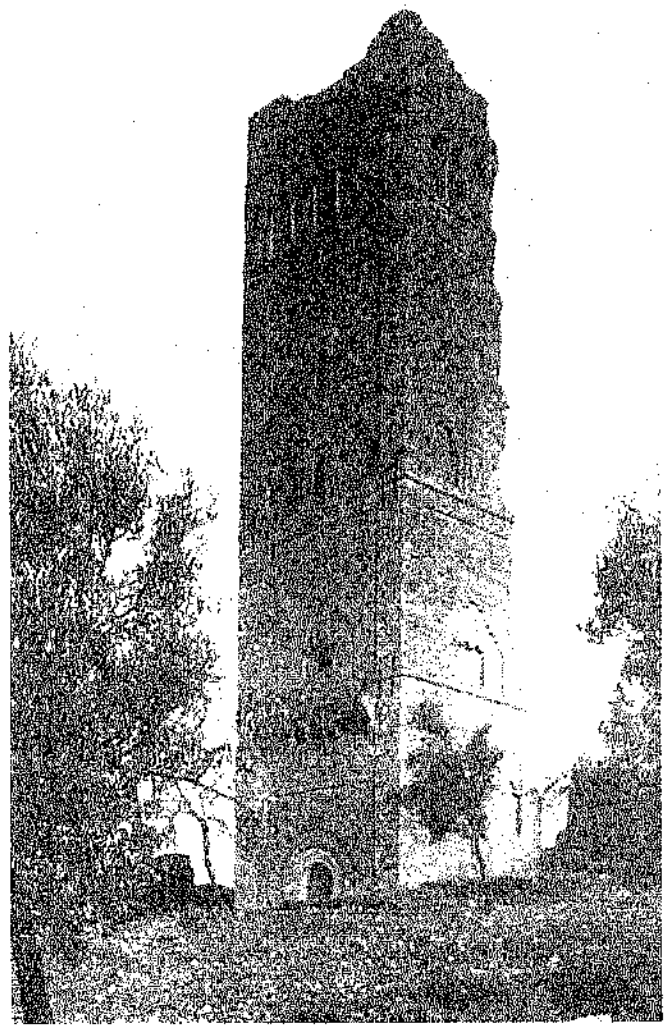

اللوحة رقم43: مئذنة جامع المنصورة قديما

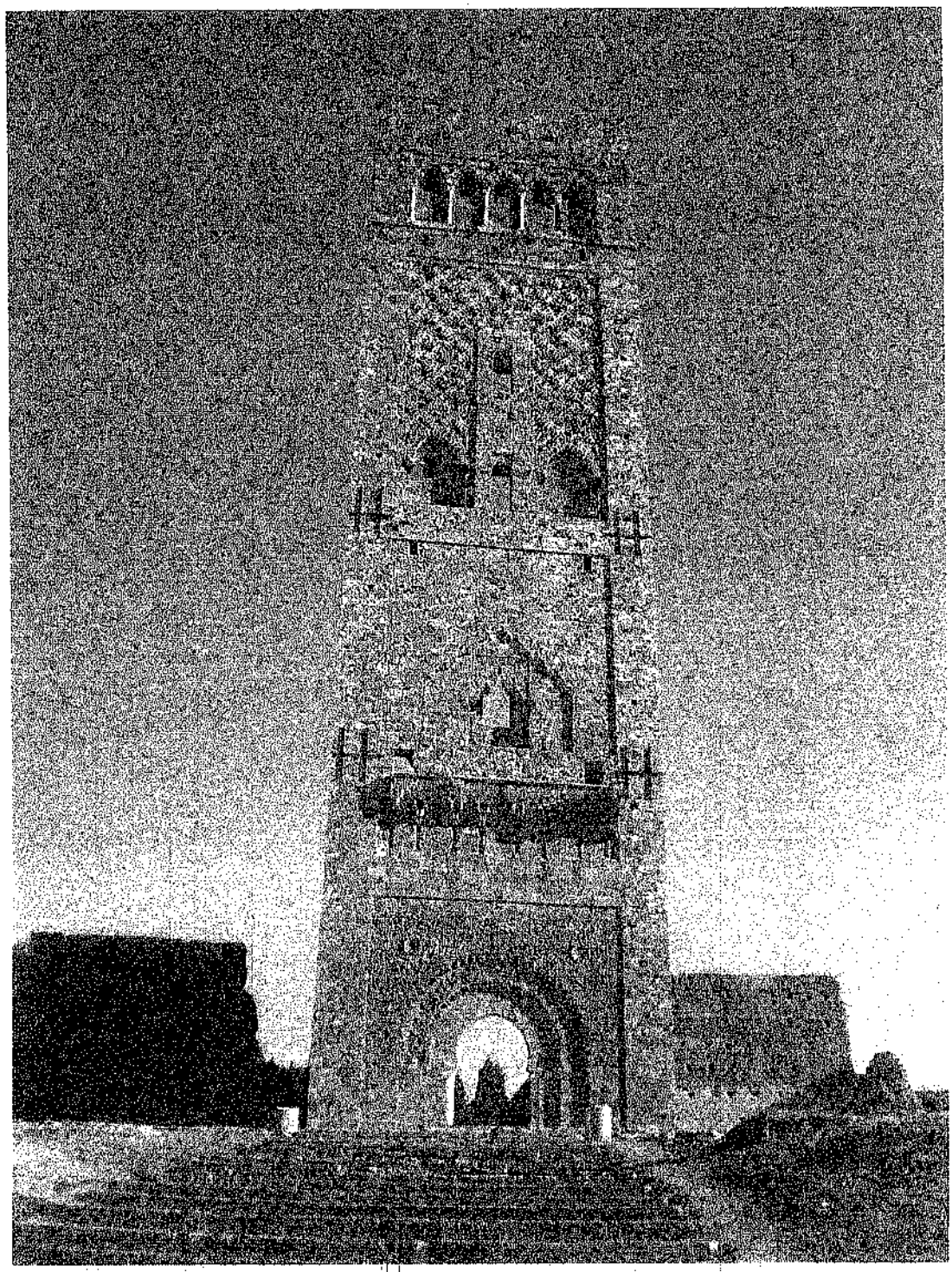

اللوحة رقم44 : نظرة عامة لمئذنة جامع المنصورة حاليا

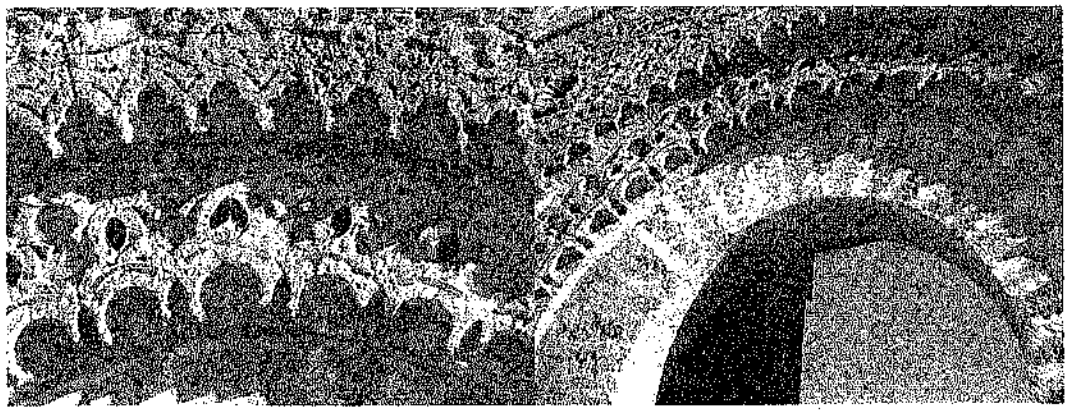

اللوحة رقم 45 : زخرفة المدخل الرئيسي لجامع المنصورة

اللوحة رقم 46 : عقود مقرنصة صغيرة

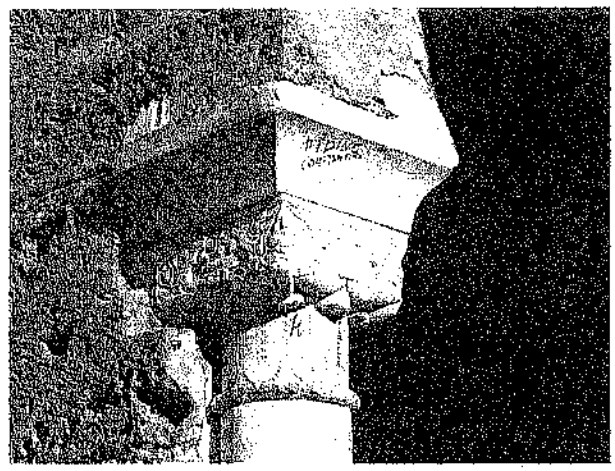

اللوحة رقم 47 : أعمدة المدخل الرئيسي لجامع المنصورة

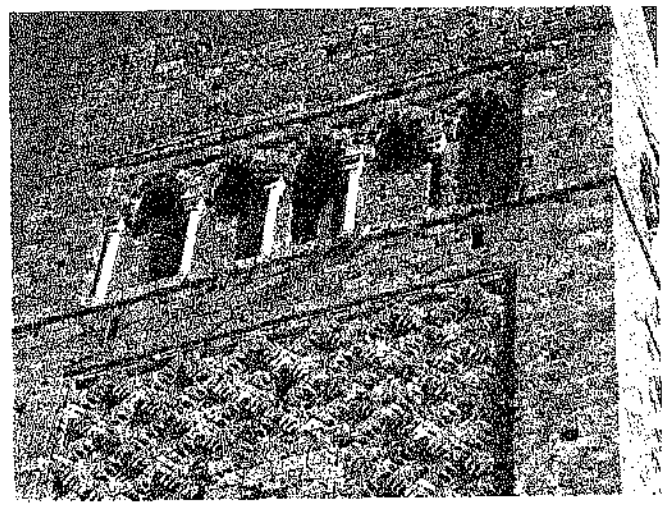

اللوحة رقم 1/48 : زخرفة المئذنة و الفتحات الموجودة في الواجهة الرئيسية

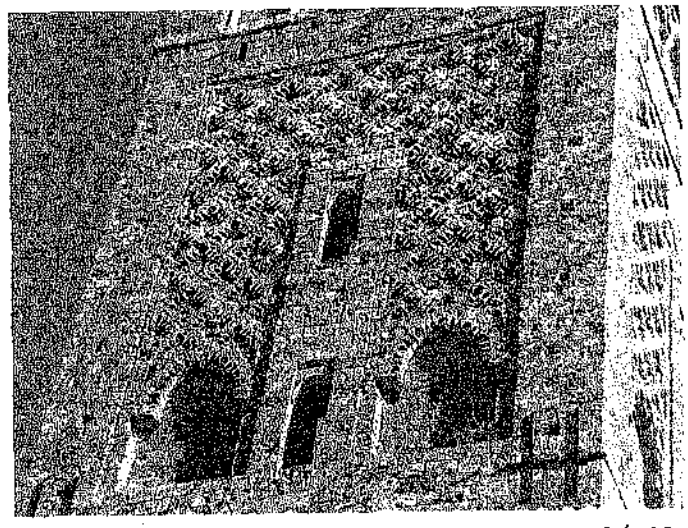

اللوحة رقم 2/ 48 : زخرفة المئذنة و الفتحات الموجودة في الواجهة الرئيسية

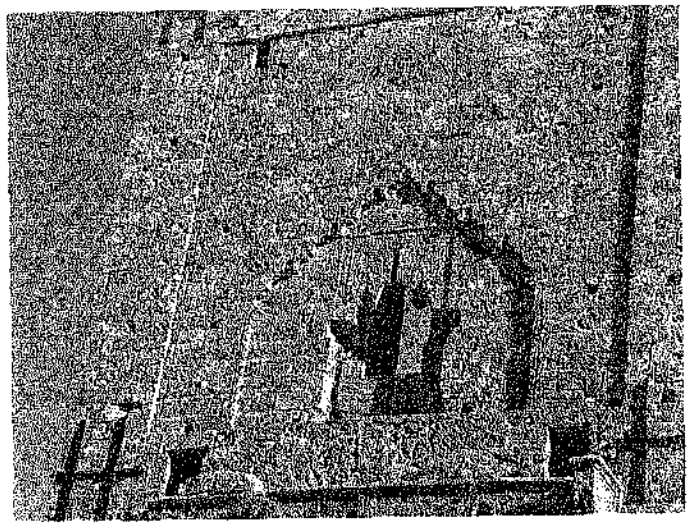

اللوحة رقم 48 : زخرفة المئذنة و الفتحات الموجودة في الواجهة الرئيسية

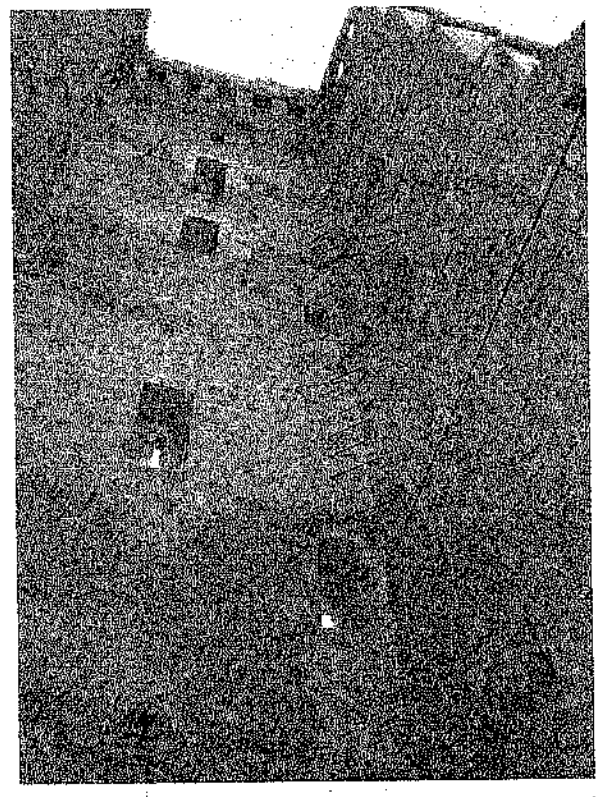

اللوحة رقم 49 : زخرفة المئذنة و الفتحات الموجودة في الواجهة الرئيسية

اللوحة رقم 50 : المدخل الرئيسي لجامع المنصورة من الناحية الشمالية

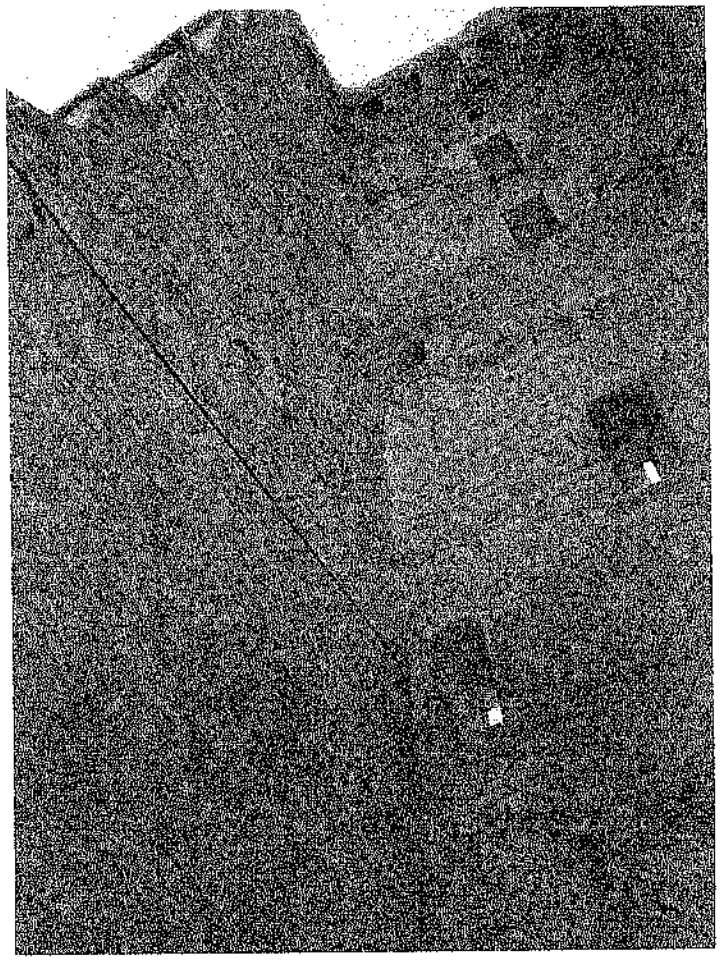

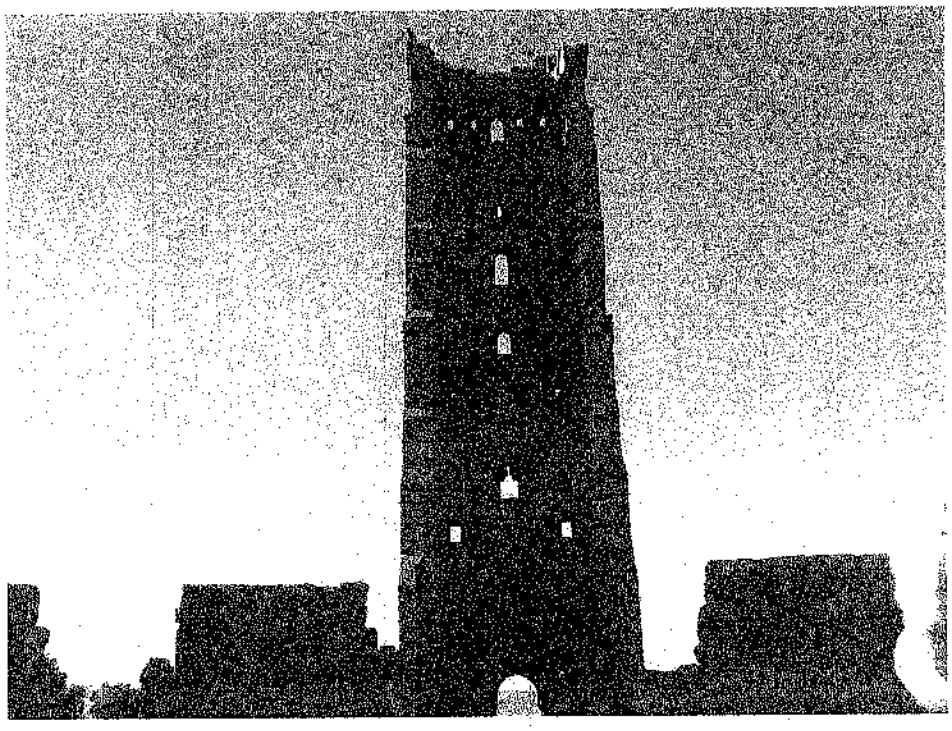

اللوحة رقم 51 :ما تبقى ممن منحدر المئذنة

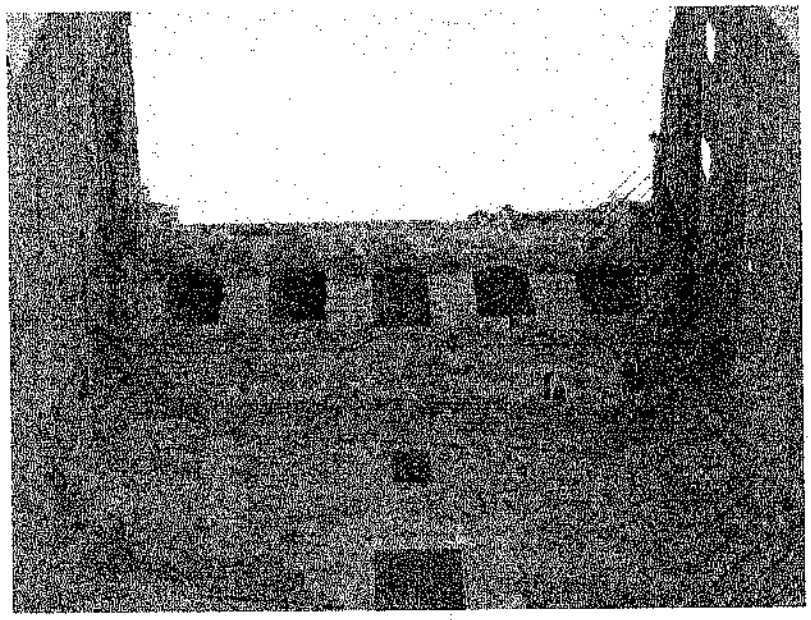

اللوحة رقم 52 :ما تبقى ممن منحدر المئذنة/فتحات المراقبة

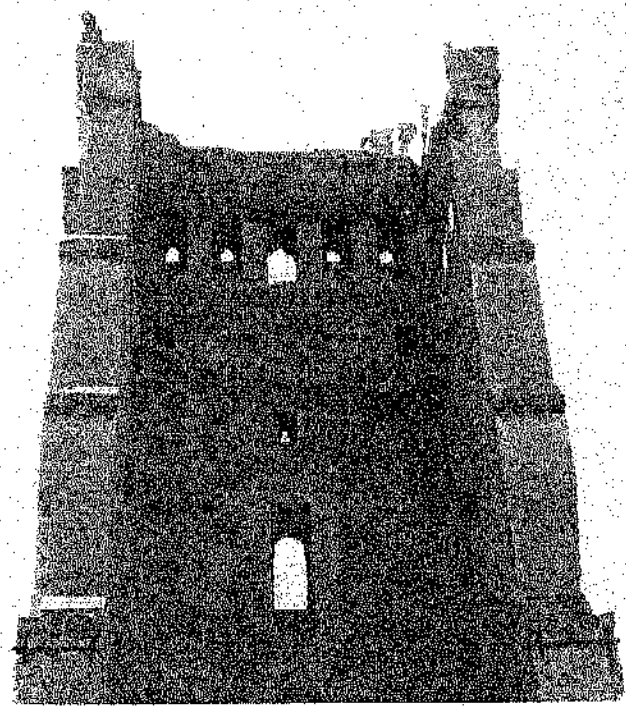

اللوحة رقم 53 :ما تبقى ممن منحدر المئذنة

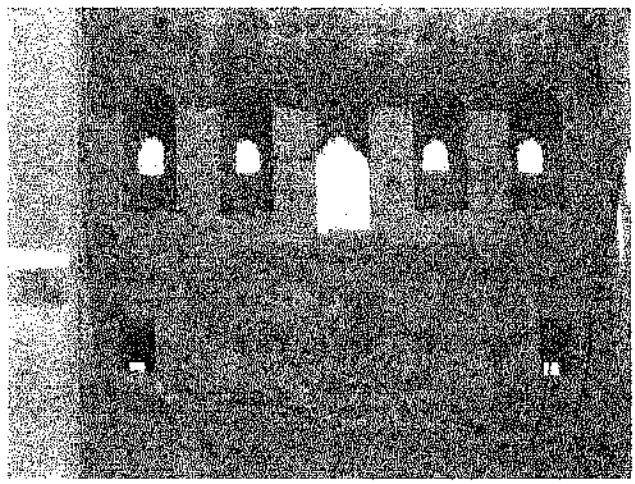

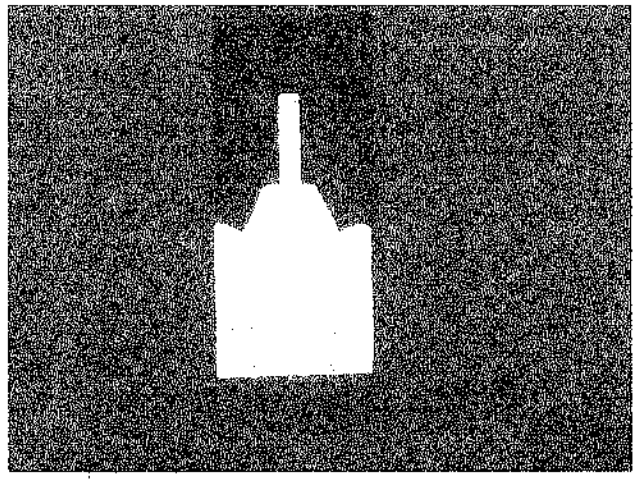

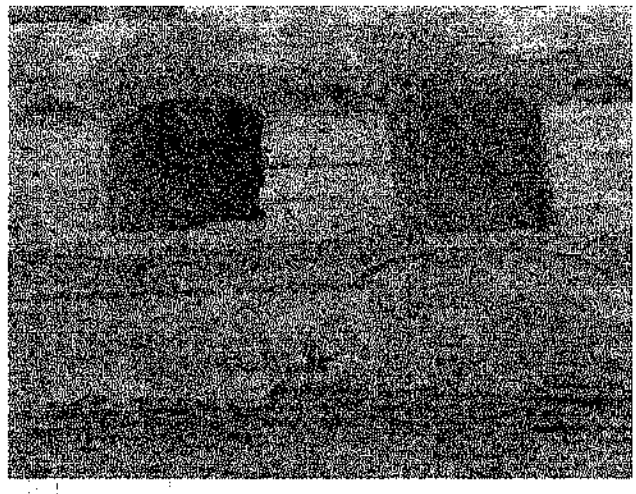

اللوحة رقم 54 :أنواع الفتحات

نظرة داخلية لفتحات المراقبة

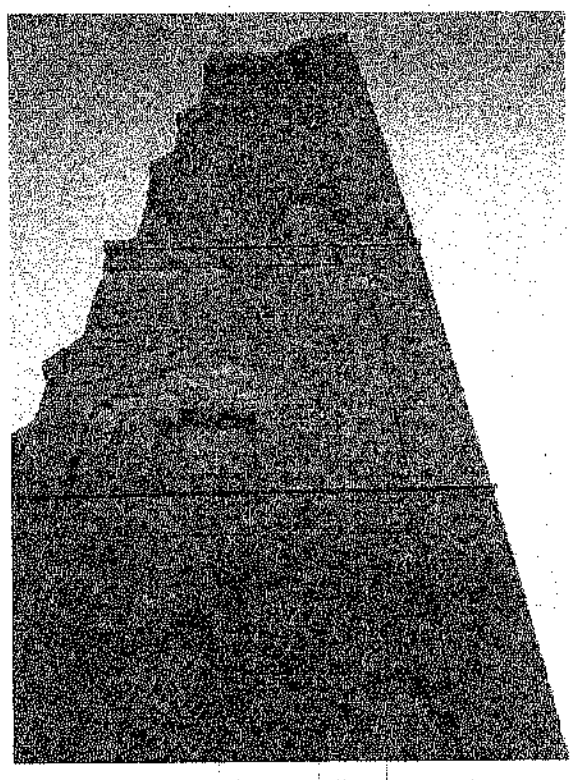

:ما تبقى من الواجهة الغربية للمئذنة

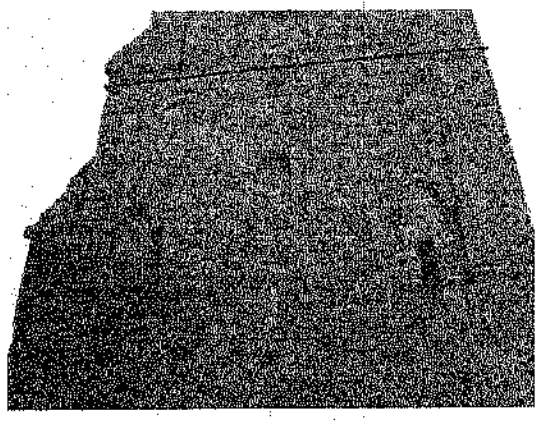

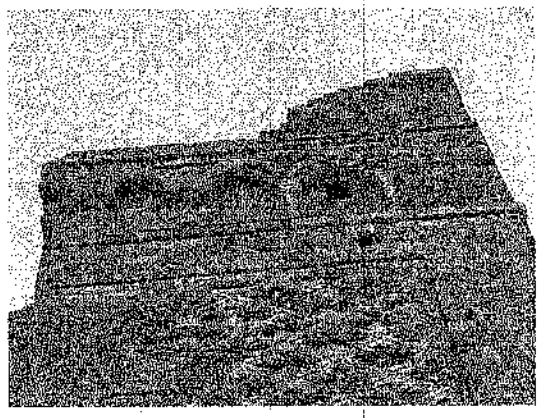

اللوحة رقم 55 :زخرفة الواجهة الغربية للمئذنة

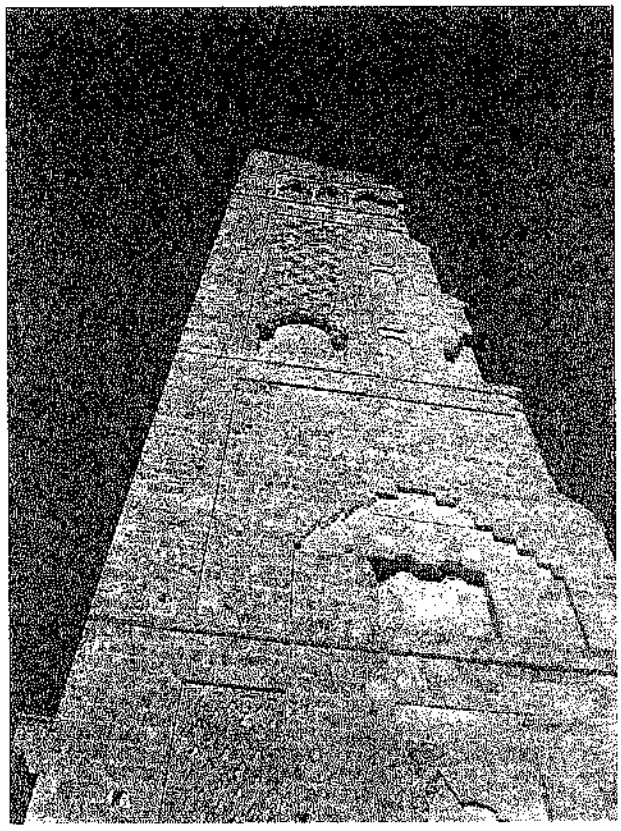

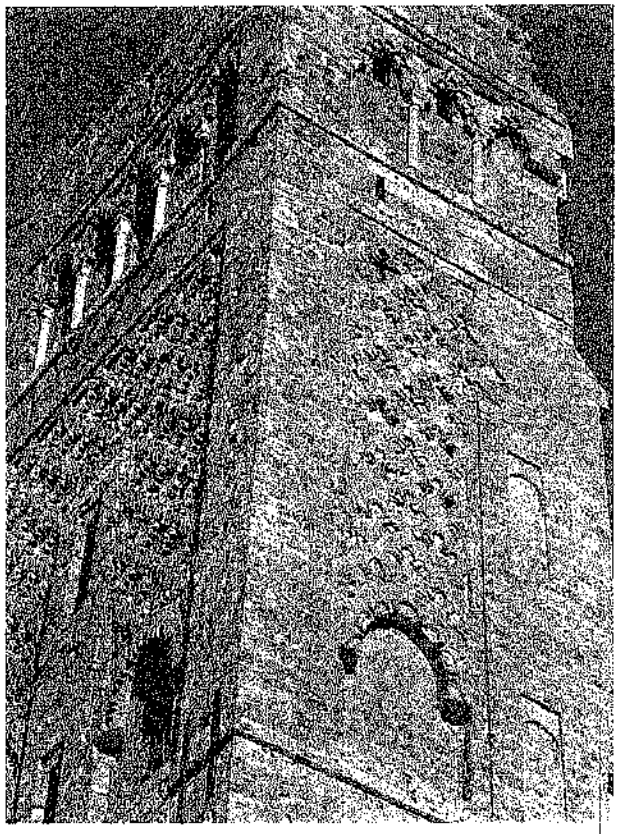

اللوحة رقم 56 :زخرفة الواجهة الشرقية للمئذنة

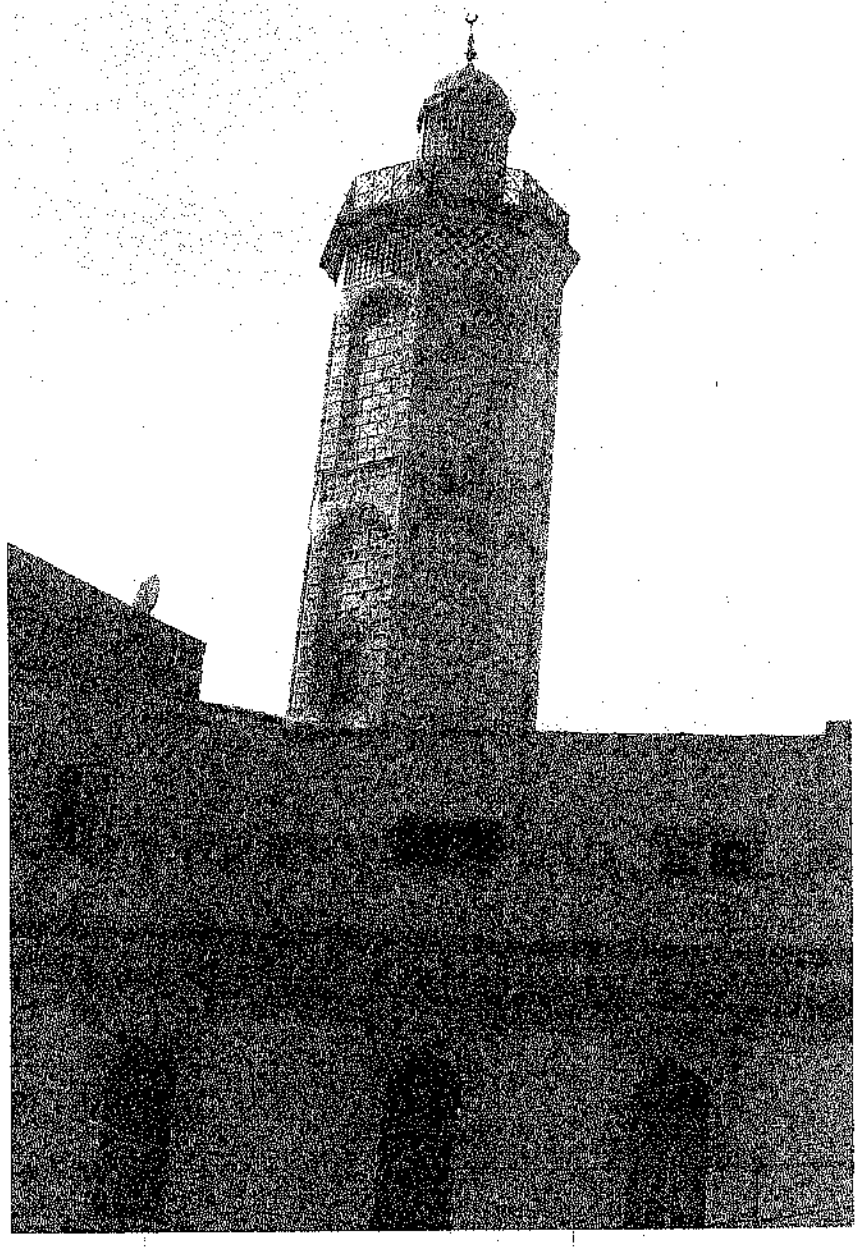

اللوحة رقم 57 : مئذنة جامع الباشا بوهران

اللوحة رقم 57 /1 : لوحة تأسيس جامع الباشا بوهران

اللوحة رقم 58 نظرة شاملة عن جامع الباشا بوهران

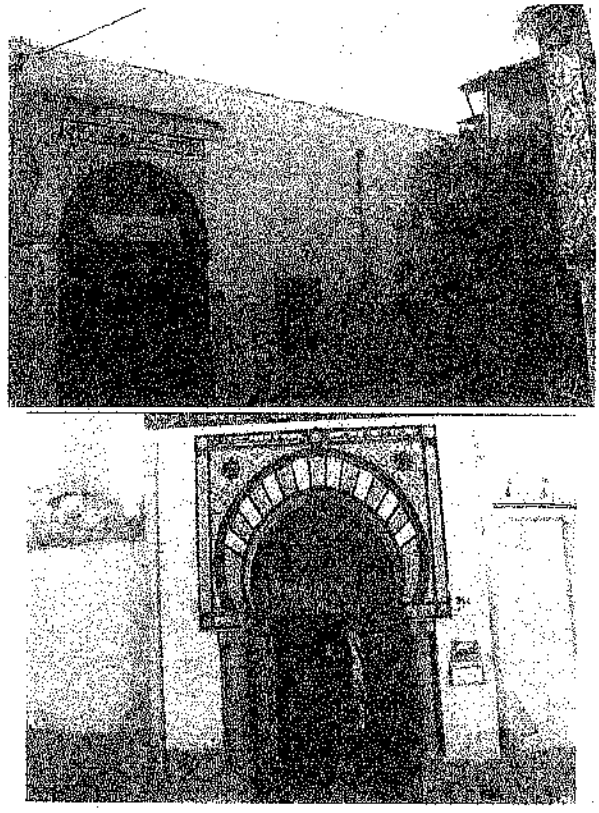

اللوحة رقم 59 نظرة شاملة عن مدخل جامع الباشا بوهران

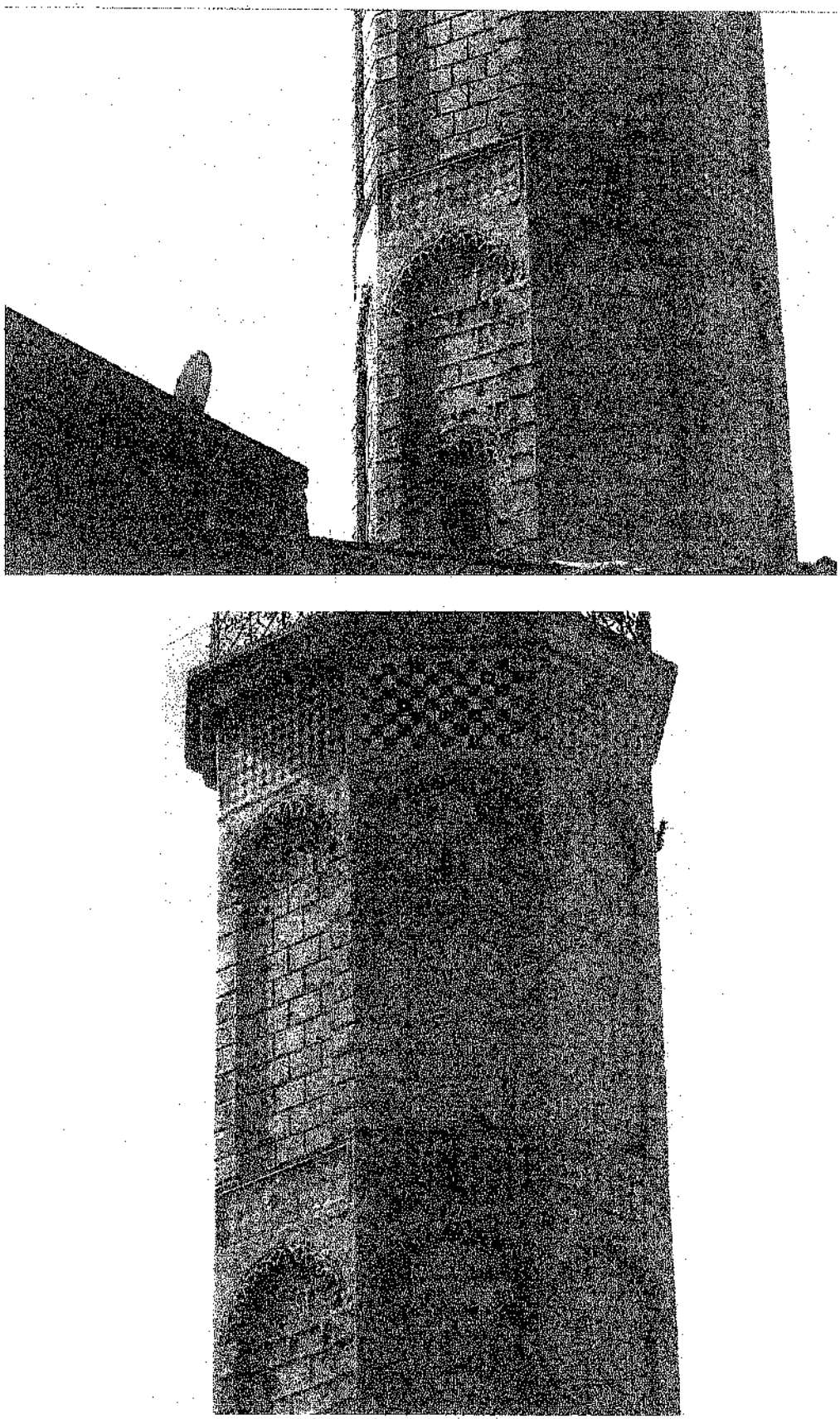

اللوحة رقم 60 زخرفة أوجه المئذنة لجامع الباشا بوهران

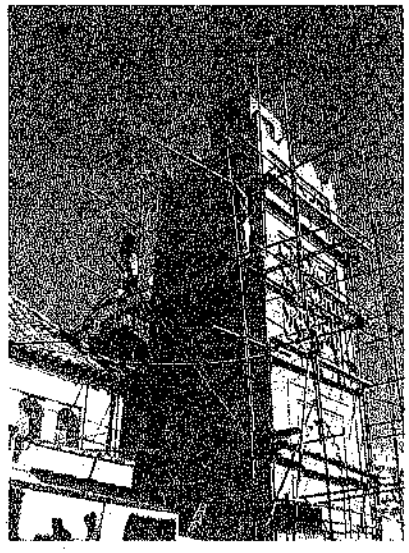

اللوحة رقم61 :ترميم مئذنة مسجد ابي الحسن – تلمسان

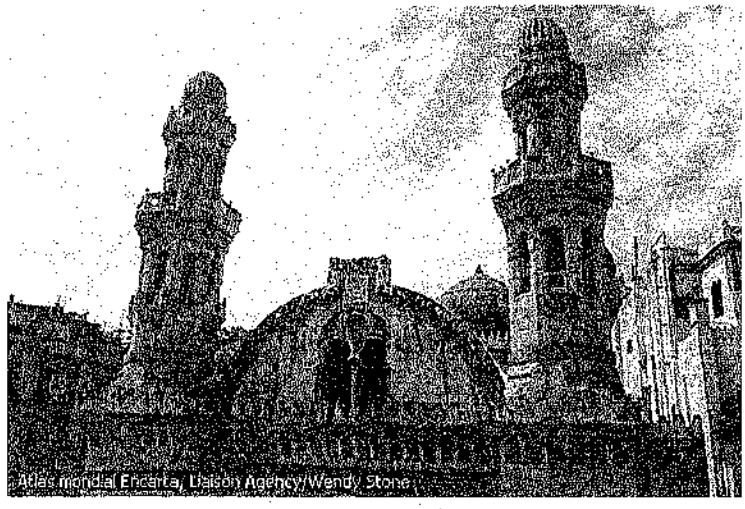

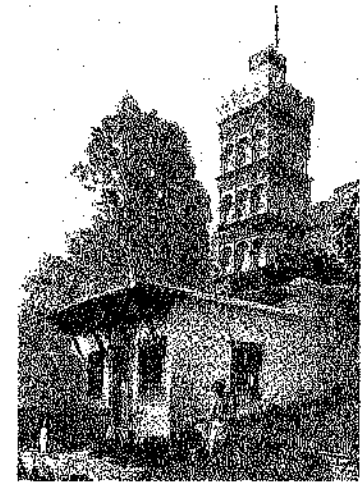

اللوحة رقم62 :لمئذنة سيدي عبد الرحمن

للوحة رقم63 :مسجد كتشاوة–الجزائر العاصمة

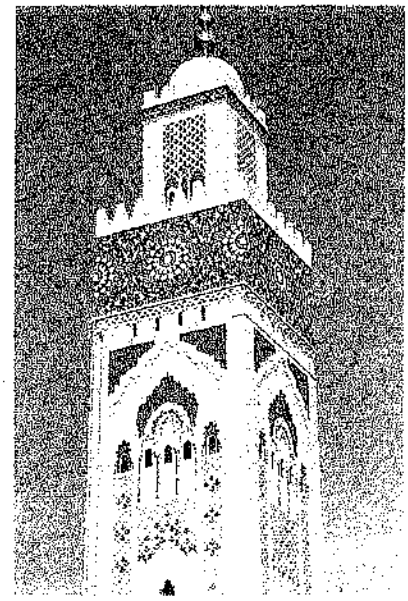

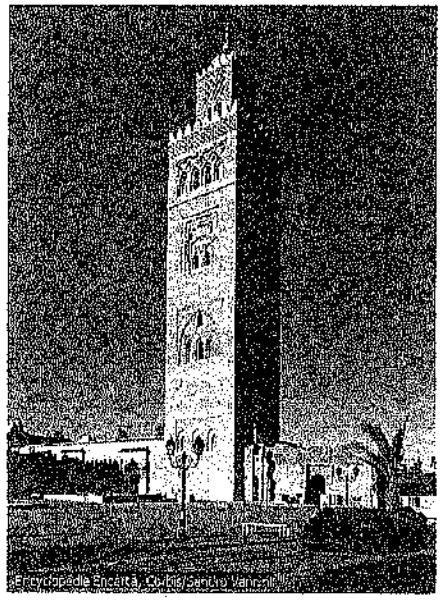

اللوحة رقم64 :لمئذنة الحسن بدار البيضاء– المغرب–

اللوحة رقم65 : مئذنة الكتبية مراكش–

المغرب– www visotera.com

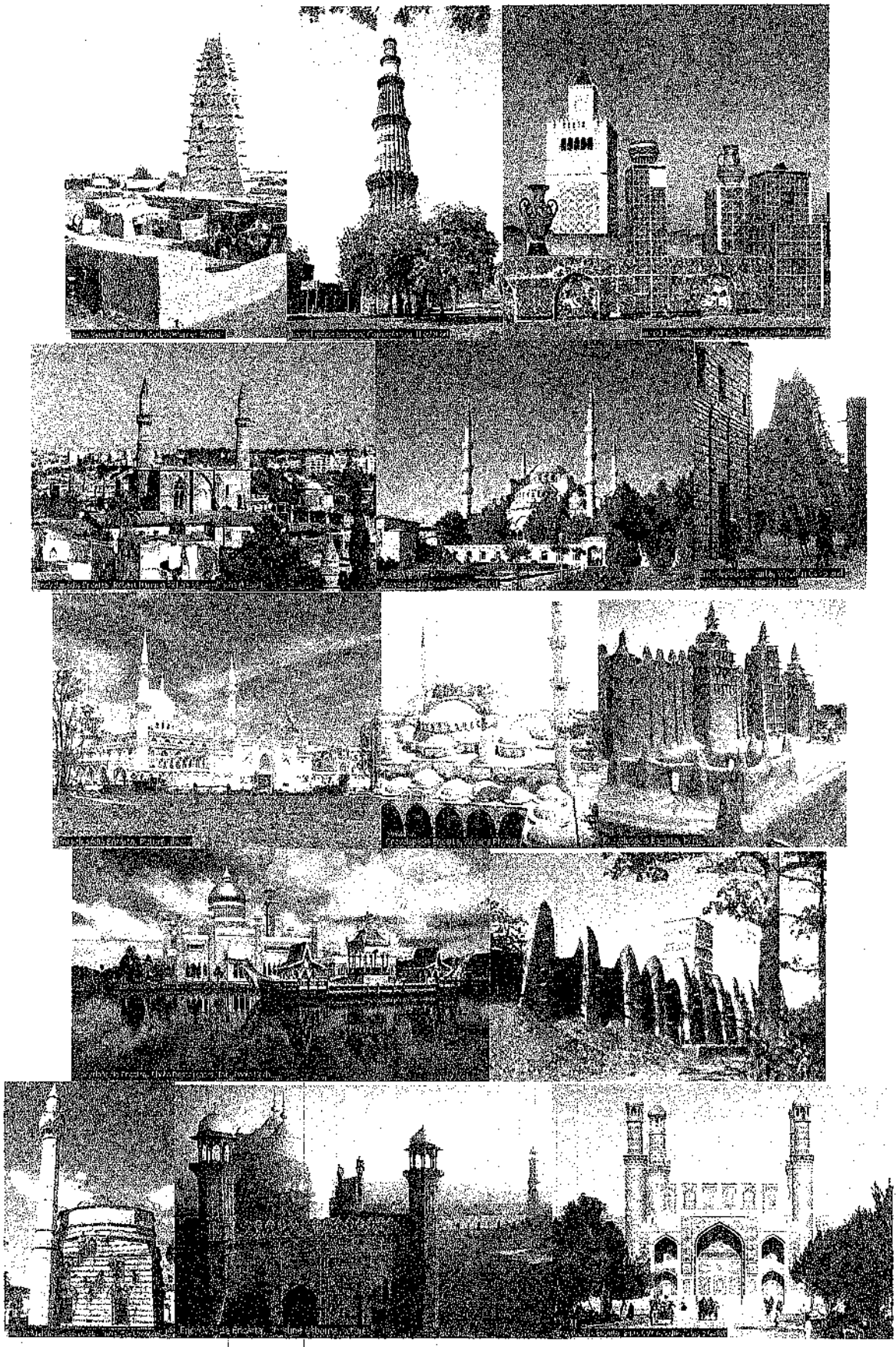

اللوحة رقم66 صور لمآذن في العالم الإسلامي

www visotera.com

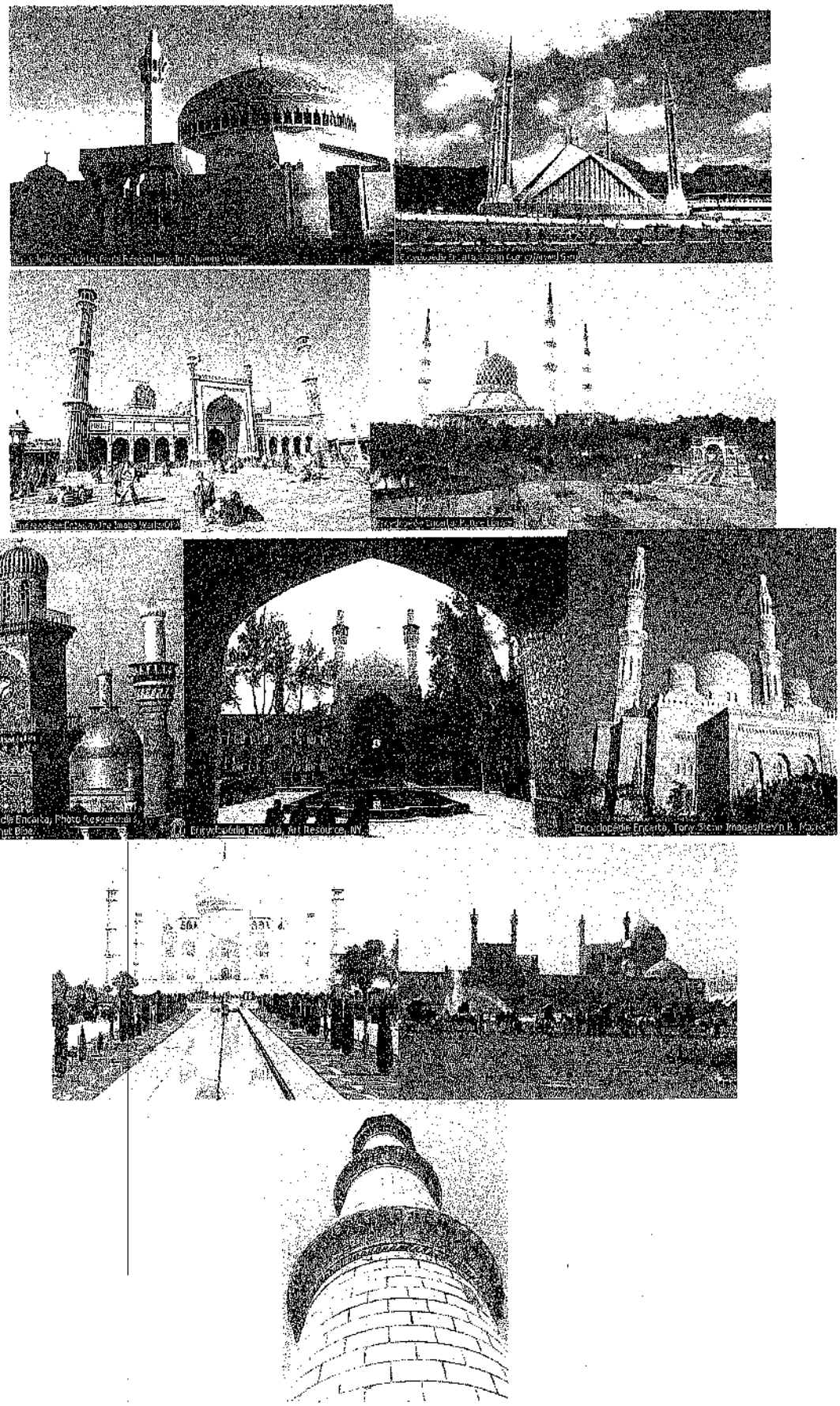

اللوحة رقم67 صور لمآذن في العالم الإسلامي

www visotera.com

فهرس الموضوعات

المقدمة ..... أ

الفصل التمهيدي 1

الاطار الجغرافي والتاريخي 1

1- الإطار الجغرافي 2

2- لمحة تاريخية عن المغرب الجزائري: 5

1- فتح إفريقيا 5

2- الدولة الرستمية: 11

3- دولة الأدارسة 14

4- الدولة الفاطمية 17

5- المغرب الأوسط في عهد بني زيري: 22

6- قيام دولة المرابطين في المغرب الأوسط: 441هـ-541هـ/ 1056م-1147م 26

7- قيام الدولة الموحدية في المغرب الاوسط: 29

8- الدولة الزيانية: 31

9- الحصار الطويل: 33

10- الاحتلال الإسباني لوهران: 37

11- دخول العثمانيين إلى المغرب الأوسط: 39

الفصل الأول: عمارة المئذنة 43

تعريف المئذنة: 44

أصل أوّل مئذنة في الإسلام: 46

تطور الفن الإسلامي: 48

أشكال المآذن في العالم الإسلامي: 49

التخطيط المعماري للمئذنة: 49

أهم المآذن في العالم الإسلامي: 51

عناصر المئذنة 54

تحديد موضع المآذن في المساجد: 55

المواد المستعملة في بناء المآذن: 56

الفصل الثاني: الطرز المعمارية للمآذن 57
1- المئذنة المربعة: 58
1- مآذن الجامع الأموي في دمشق: 59
2- مئذنة جامع القيروان: 60
3- مئذنة جامع صفاقس: 64
4- مئذنة قلعة بني حماد: 64
5- مئذنة جامع قرطبة بالأندلس: 66
2- المئذنة الحلزونية: 67
1- جامع سمراء: 67
2- مئذنة جامع أبي دلف في العراق: 68
3- مئذنة جامع ابن طولون بمصر: 69
3- المئذنة الأسطوانية: 71
4-المئذنة المثمنة: 72
مسجد الجامع الداي: 72
5- المئذنة الهرمية 73
المسجد القديم ببنورة BOU-NOURA 73
الفصل الثالث: طراز المآذن للغرب الجزائري 76
1- المسجد الكبير بتلمسان : 77
مئذنة الجامع الكبير: 78
2- المسجد الكبير بندرومة: 81
مئذنة جامع ندرومة: 81
3- جامع المنصورة: 83
مئذنة جامع المنصورة: 85
4- جامع سيدي أبي مدين: 90
مئذنة جامع سيدي بومدين: 92
5- جامع الباشا: 97
6- جامع عين البيضاء بمعسكر: 101
مئذنة الجامع: 103

الفصل الرابع: دراسة تحليلية للمآذن في الغرب الجزائري 105
عدد المآذن: 106
موقع المئذنة 107
شكل المئذنة: 110
تغطية جوسق المئذنة: 111
التركيب الداخلي للمآذن: 111
طول المئذنة : 114
شرفات المئذنة : 115
زخرفة المآذن: 116
الزخرفة النباتية: 116
الزخرفة الهندسية: 119
شبكة المعينات: 121
أشكال المعينات : 122
العقود: 123
الفسيفساء: 124
الزخرفة الكتابية: 125
الخاتمة 128
قائمة المصادر والمراجع 133
الملاحق 143
الخرائط 144
اللوحات 159